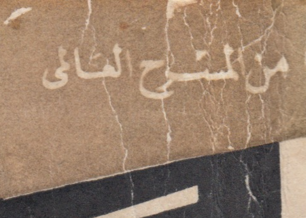


من الأعمال المختارة

موليير - ١

- مدرسة الزوجات
- نقد مدرسة الزوجات
- ارتجالية ڤرساي

ترجمة وتقديم : د. محمد م. القصاص

من المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

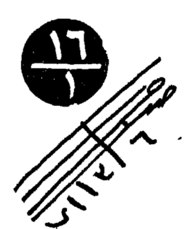
أحمد مشاري العدواني
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. محمد اسماعيل الموافي
استاذ مساعد الأدب الانجليزي بجامعة الكويت

زكي طليمات
المشرف الفني لشئون المسرح

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الارشاد والانباء
صندوق بريد ١٩٣



أول ينـاير ١٩٧١

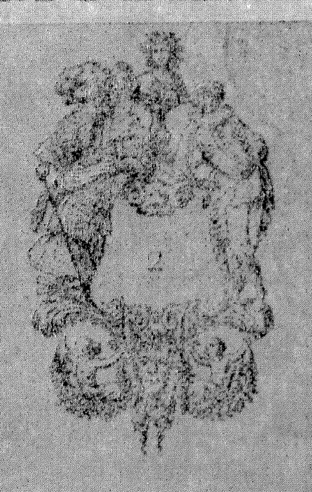
من الأعمال المختارة

موليـير - ١

- مدرســة الزوجــات
- مقدمة مدرسة الزوجات
- ارتجاليــة ڤرســاي

ترجمة وتقديم : د. محمد م. القصاص

MOLIÈRE



L'Ecole des Femmes
La Critique de l'Ecole des Femmes
L'Impromptu de Versailles
Le Mariage forcé
Les Plaisirs de l'Ile enchantée

La Princesse d'Elide
Le Tartuffe
Dom Juan
L'Amour Médecin



مقـدمة عـــامة
بقلـم المترجم

ترجمة الآثار المسرحية وكيف تكون

لما فكرنا فى اصدار ترجمة كاملة بالعربية الفصحى لأعمال موليير ، كنا على بينـة من الصعوبات التى لابد أن يلاقيها هذا العمل ، ومن ضخامة المجهود الذى يجب أن يبذل فى سبيله . ففرنسية موليير ليست بالضبط فرنسية عصرنا الحاضر ، وأعماله المسرحية تمتلئ ، – باعتبارها من الاعمال الكوميدية ، أكثر من أية مؤلفات مسرحية أخرى– بالاشارات التاريخية والاجتماعية والفكاهية والشخصية ، وغير هذه وتلك ، مما لايفهمه ولايتذوقه ، حق الفهم والتذوق ، قارئ من غير عصر المؤلف وظروفه الخاصة والعامة ، الا بالرجوع الى اصولها واستيضاح مرمى ما يقرؤه ، ولا سيما اذا كان هذا القارئ لايقرأ لنفسه فقط ، بل لنفسه ولغيره ويفرض فهمه على من عداه فى بعض النواحى ، كما هى الحال بالنسبة للمترجم . ذلك أن قارئ البحث قد يكتفى بالمضامين العامة التى يستطيع الخروج بها من مجرد القراءة ، دون الدرس ، تبعا لامكانيته الشخصية ، من ثقافة ومواهب طبيعية وغيرها . أما المترجم ، فنوع من المفسر ، عليه أن يبذل جهده فى أن ينقل لقارى اللغة التى يترجم اليها صورة صادقة دقيقة لما كتبه الكاتب ، وأن تكون هذه الصورة كافية بنفسها ، أعنى قابلة للفهم الكامل من جانب قارئ اللغة التى نقل اليها ، دون معونات خارجية ، اللهم إلا فيما يتصل بملكاته هو . ومن ثم يتحتم على مترجم هذه الأعمال ، بل وعلى قارئها الفرنسى اذا كان يريد أن يرتفع بقرائه الى مستوى الدارسين ، ألا يكتفى بمجرد القراءة والفهم العامين العاديين ، ومراجعة المعاجم المتداولة فيما يغلق عليـه

أو يرتاب فيه من كلمات وعبارات ومضامين ، وانما عليه أن يراجع دوائر المعارف والمعاجم التاريخية للغة وتفاسير الشراح فى كل ما يشك فيه ومالا يشك فيه ، مخافة أن يكون مخدوعا أو منساقا وراء العادة الراسخة فيما حسب أنه مطمئن إلى فهمه . وعليه أيضا ألا يترك موضعا فيه غموض يريب أو غموض يبدو غير طبيعى ، دون أن يتوقف عنده طويلا ، وأن يفكر فيه كثيرا ، وأن يبحث عما اذا كان غموضه راجعا الى لصوقه بظرف معين فى تاريخ العصر والبلد والبيئة التى كتب فيها النص ، فيفتش على هذا الظرف فى مكانه حتى يجده ، وحينئذ لابد أن ينقشع ما فى ذهنه من سحب تكتنف الموضع المقصود . أما الاشارات البينة الصريحة أو شبه الصريحة ، فأمرها سهل ، وأسهل منه الرجوع ما مصادرها واستجوابها ، وأسهل من الاثنين فهم النص على ضوئها فهما دقيقا قائما على أساس متين . وفى كلتا الحالتين حالة توقف الفهم الصحيح للنص على ظرف معين لايوجد ما يشير اليه فى نفس الموضع ، وحالة غموض الفهم بسبب اعتماد المعنى أو الفكرة أو التعبير على ظرف معين يوجد فى النص مايشير اليه بطريق مباشر أو غير مباشر ، ولو بالنسبة للمتخصصين أو كلتا الحالتين أن ينقل النص الذى هو بصدده الى اللغة التى يترجم اليها محررا من كل قيد أو ظرف خاص ، بحيث يستطيع القارئ فهم مرماه والتغلغل فى مقصود مؤلفيه دون الحاجة الى مراجعة الأصول أو الاعتماد على هوامش تفسيرية بقدر الإمكان .

أما عن صورة النص فى اللغة المترجم اليها ، أو صياغة النص لفظا ومضمونا فى لغته الجديدة ، فان نقل أى نص أدبى من لغة الى اخرى يعتبر دائما من الأمور غير السهلة ، لأنه يتطلب من المترجم ، فى هذا المجال ، أن يحافظ على عدة أشياء قد تؤدى شدة التمسك ببعضها الى التفريط فى المستوى الواجب للبعض الآخر ، ومع ذلك فلابد من شدة التمسك بها جميعا ، لأنها تكون — رغم مظهرية تعددها — كلا لا ينفصم ، ولأن التراخى فى مراعاة أحدها يؤدى بالعمل كله الى السقوط أو الزيف أو الابتذال .

ومن أهم هذه الأشياء التى يتحتم على المترجم مراعاتها بكل دقة :

١ — دقة الترجمة ، بمعنى أمانة النقل الى اللغة الجديدة بحيث لايترك المترجم فكرة أو ظل فكرة : معنى أو ظل معنى ، تلميحة أو ظل تلميحة ، دون أن تشملها ترجمته ، وأن تشملها بحذافيرها ، وألا تشمل شيئا غيرها .

٢– المحافظة دائما وبكل إخلاص على نقل الروح الذى بثه المؤلف فى مؤلفه عن شعور أو عن غير شعور ، وليس ذلك بالأمر السهل ، لأن الروح دائما شئ يحس ولا يمس. ومن الخطأ المضحك أن يعتذر مترجم أخذ عليه الخروج عن الأصل ، بل الخروج على الأصل ، بأن النص لايعنيه بقدر ما يعنيه روح النص . ولمثل هذا نقول : اذا بلى الجسد وانعدم ، فأين يكون الروح ؟ ، وقد يحدث عكس ذلك قد يحدث أن يكون نص الترجمة غير بعيد من نص الأصل ، ومع ذلك تكون الترجمة جافة كورق الشجر الميت ، لا روح فيها ولا حياة . وهذه أيضا خيانة للنص .

٣ – أن تكون الترجمة بلغة صحيحة سليمة (حتى ولو كانت باللغة العامية ، فاللغات العامية هى الأخرى لها قواعدها وأساليبها وعاداتها التعبيرية) ، وأن تكون سمحة سلسالة الاسلوب تحافظ على منطق اللغة التى قد كتبت بها روحا وجسما ، لايشعر قارئها بطعم الرطانة أو العجمة أو القبح .

ويصدق هذا الكلام على كل لغة ، وبالنسبة لكل نص أدبى . وتزيد المصاعب اذا تعلق الأمر بنص مسرحى ، ولا سيما إذا كان من النوع الكوميدى ، لأن النص المسرحى ينطوى بقدر يقل أو يكثر على كل ما تنطوى عليه جميع الأنواع الأدبية الأخرى من شعر وخطابة وحكاية وارتجال أو مايشبه الارتجال . . . الخ . فضلا عن الأسلوب الحوارى، وتتعاقب وتتقابل وتتعارض فيه الأحاسيس والانفعالات ، والعواطف والأوامر والنواهى والأجواء والحالات المختلفة بسرعة قد لا يدركها العقل ، ولا بد أن تكون حياة الكلمة فيه حياة من نوع خاص ، لا بد أن تكون دالة ومؤثرة ، منفعلة وفاعلة ، معبرة وقادرة على أن تحيك وتدفع الى التعبير جهازا بأسره ، جهازا ضخما يتكون من كائنات بشرية وغير بشرية ، جهازا يشتمل ، من بين ما يشتمل عليه ، على أدوات كثيرة من أدوات التعبير الفنى والمهنى بجميع أنواعها .

وإذا كان النص المسرحى من النوع الكوميدى وكانت اللغة العربية الفصحى هى التى اختيرت أداة للتعبير عنه ازداد الأمر تعقيداً ، لأن أداة التعبير فى الكوميديا هى لغة الكلام ، لغة الحياة اليومية الدارجة ، واللغة العربية ، سواء رضينا أم أبينا ، لغتان :

لغة الكتابة ولغة الكلام . الأولى تستخدم فى التعبير عن ثمار الفكر والروح التى ينظر اليها على أنها كذلك ، فى التعبير عن العلوم والفنون والآداب والفلسفة ، لا باعتبارها أشياء يصل اليها المرء عفو الخاطر دون قصد أو تنظيم أو تعقيد . انها لغة الدراسة وتسجيل ثمارها. أما الثانية فلغة الكلام الجارى فى البيت وفى الشارع ، لغة الحياة اليومية بهزلها وجدها ، بفكاهاتها وسفاسفها وحاجاتها العملية . لغة التفكير العفوى البسيط والنكتة التلقائية . ومن العسير على كل من اللغتين أن تقوم مقام الاخرى لطول ما تخصصت كل منهما فى مجالها . وهذا الانقسام بهذه الدرجة من الحدة ، يكاد يكون وقفا على لغة العرب ، وان وجد بصورة أخف فى كل لغات العالم . ولما كان المفروض فى لغة المسرح ، والمسرح الكوميدى بوجه خاص ، أن تكون هى لغة الكلام ، وان اختلفت مستوياته ، فقد كان يخشى أن تؤدى ترجمة الأعمال الكوميدية إلى اللغة الفصحى إلى تشويهها ووسمها بميسم التكلف المرذول ، والخروج بها عن طابع المتعة الفكهة المرحة الذى هو طابعها ، وجعل الجمهور يضحك عليها لا منها . ولكن هذا أمر يمكن تلافيه ، وتخفيف أثره الى الحد الادنى ، الى الحد الذى لا يكاد يحس . بل ويتلاشى نهائيا الى جانب مزايا الكتابة بلغة يقرؤها ويفهمها جميع العرب . وبالطبع لا يتأتى ذلك الا بالصبر والجلد من جانب شخص يتملك اللغة التى يكتب بها ويحيط بدقائقها .

وبالرغم من كل هذه المصاعب لم نر الاحجام عما اتجهت اليه النية ، لا لنا نعتقد أنه عمل يستحق ما يبذل فى سبيله من عناء ، لأسباب عديدة ليس هذا أوان الخوض فيها مخافة الإطالة .

وقد كان من المنتظر أن يكون ترتيب اصدار المسرحيات فى الترجمة هو نفس الترتيب الزمنى لظهورها على يدى مؤلفها . ولكن كان من شأن هذه الفكرة التى تبدو طبيعية أن تضطرنا إلى أن نفاجئ القارئ العربى أول ما نفاجئه بأقل مسرحيات موليير قيمة ، بفارساته الخفيفة التى بدأ بها دخوله ميدان التأليف المسرحى ، وقد يكون فى ذلك مايعطى القارئ المتعجل فكرة زائفة عن المؤلف قد تثبط همته عن الاستمرار فى قراءته ودراسته ، وان كان هناك من الدارسين — ولسنا منهم — من يفضل فارساته على كوميدياته . ولذلك

رأينا أن تكون فى كل عدد نصدره من الترجمة احدى كوميدياته الكبيرة المتكاملة ، وان تكون بقدر الامكان من اوائل ما كتبه من هذا النوع ، وأن نصحبها بفارس أو اكثر من اوائل ما كتب أيضا ، شريطة أن يمت اليها ببعض الوشائج ، أما الترتيب الزمنى الدقيق فيستطيع القارئ أن يعرفه من هذه المقدمة ومن القائمة الزمنية التى سنختتم بها المجموعة . وهذا ما فعله أيضا بعض المترجمين القريبين لاعمال المؤلف .

ومن البديهى انه ينبغى لا ستكمال الفائدة من الترجمة أن تكون مصحوبة بدراسة جادة لموليير وأعماله من الناحيتين التاريخية والفنية . ولكن مثل هذه الدراسة لا يمكن أن يتسع لها فراغ مقدمة تكتب فى مجلد ، ولذلك قررنا أن نفرد لها مجلدا قائما بذاته سيصدر بعد الانتهاء من الترجمة . ومع ذلك لم نر مناصا من أن يكون بين يدى القارئ منذ البداية بعض المعلومات الضرورية التى تعينه على معرفة الملابسات والظروف التى صاحبت نشأة هذه المسرحيات ، فكتبنا هذه المقدمة التى اقتصرنا فيها على بعض النواحى التاريخية التى احاطت بحياة الكاتب ونشاطه الفنى . كما قدمنا لكل مسرحية على حدة بكلمة قصيرة .

وبعد ، فاننا نشعر بأن الكتاب يكاد يغرق فى بحر من المقدمات ، فنرجو القارئ والهيئة المشرفة على هذه السلسلة فى وزارة الأرشاد والانباء الكويتية أن يقبلوا عذرنا بصدورهم الرحبة ، ولعدهم بأن ذلك لن يتكرر بطبيعة الحال ، فى الأجزاء التالية ، وللجميع منا أصدق مشاعر الشكر والعرفان .

وبعد هذا التمهيد ، أو تقديم التقديم ، نبدأ كلمتنا عن حياة موليير وأعماله .

موليير حياته واعماله

عمد جان باتست بوكلان Jean-Baptiste Poquelin المعروف بموليير Molière فى اليوم الخامس عشر من شهر يناير سنة ١٦٢٢ ، فى كنيسة سانت‌اوستاش Saint-Eustache بباريس . ويكون هذا تاريخ ميلاده ، إذا كان قد عمد فى نفس اليوم الذى ولد فيه ، والا فانه يكون قد ولد قبل ذلك بيوم أو أيام قليلة .

وكان أبوه « جان بوكلان » ، وهو « بورجوازى نبيل » تجمعه كثير من السمات بالسيد « جوردان » بطل مسرحية موليير المعروفة ، وعمه « نيقولا بوكلان » ، وجده لأبيه « جان بوكلان » وجده لأمه « لويس كريسيه » Louis Cressé وهو الآخر « بورجوازى نبيل » على غرار السيد جوردان أيضا حتى لا يوقع الاباسم « دى كريسيه » بالأداة الدالة على نبل الأسرة ، كانوا كلهم من تجار البسط الموسرين.

وقد ولد فى باريس ، مثل فرانسوافيون François Villon وبوالو Boileau وفولتير Voltaire ودى موسيه De Musset الذين كان لهم ما كان له من صفة الألمعية الساخرة وموهبة الذكاء النفاذ وروح النقد الهجاء . ويجمع المؤرخون على أن ميلاده كان فى شارع « سانت أونوريه » Saint - Honoré ولكنهم يختلفون بعض الشئ فى تحديد موقع البيت الذى ولد فيه من هذا الشارع .

وقد اطلق على المولود الجديد اسم « جان » ، ولكن لما رزق أبواه بولد ثان بعد ميلاد الأول بثلاث سنين ، وسمياه « جان » هو الآخر ، جرت العادة بمناداة مؤلفنا باسم جان باتست ، تمييزا له عن اخيه الثانى .

وفى العاشر من عمره ، أى فى عام ١٦٣٢ ، فقد الغلام جان باتست أمه التى ماتت تاركة وراءها ، عدا جان باتست هذا ، جان اللى أشرنا اليه ونيقولا وبنتا قيل إنها كانت تدعى « مارى » وقيل « مادلين » . وفى السنة التالية ، أى فى سنة ١٦٣٣ ، تزوج الأب ، من جديد ، بفتاة تدعى « كاترين فلوريت » Catherine Fleurette ابنة تاجر وبورجوازى باريس ، اسمه اوستاش فلوريت . ولكنها لم تعمر طويلا ، فقد وافاها أجلها بعد ثلاث سنين من زواجها ، أعنى فى عام ١٦٣٦ ، وقد ولد لها من هذا الزواج بنتان ، ماتت احداها اثناء الوضع . وبعدها لم يعاود الوالد جان الزواج مرة اخرى ، بل بقى عزبا ، وعلى كاهله خمسة اطفال ، ثلاثة بنين وبنتان .

ولكنه لم يكن ليعيا بتربيتهم ، لأنه كان من الأثرياء ، أو على الأقل ممن نسميهم الآن بالموسرين ، كما كانت تجارته رائجة رابحة .

فنحن نعلم انه حين اقترن بزوجته الاولى (أم مؤلفنا) على نظام الاشتراك فى الثروة ، دفع كل من العروسين ألفين وخمسمائة جنيه ذهبى . وعند احصاء هذه الثروة المشتركة لدى وفاة الأم « مارى كريسيه » ، وجد انها نمت كثيرا باستغلالها طوال هذه السنين ، وأن محلها التجارى كان ذاخرا بالسلع القيمة ، ناجحا فى نشاطه ، وأن مسكنها كان مؤثثـا بأفخر الرياش وأجمل الأثاث ، كما كان كل من الزوجين (بوكلان ومارى كريسيه) وكلاهما كان يحيا حياة الترف — يملك خزائن عامرة بالثياب القيمة والتحف والمصـاغ والمجوهرات وأدوات الزينة ذات الأثمـان الغالية . وكانت الاسـرة تقضى اجـازتها الاسبوعية وأيام المواسم والأعياد فى منزل ريفى يقع فى ضاحيةسانتاوان Saint - Ouen يملكـه السيد دى كريسيه ، ويذخر هو الآخر بكل أدوات الترف ووسائل الراحـة والتسلية . فهذه كلها من علامات الثراء البورجوازى الذى لا ريب فيه . بل مما يدل أيضا على ثراء الرجل وحرصه على الاستغلال وكسب المال ، ما اشتهر عنه ، فى كل ما آل الينا من اخباره ، من حبه الحظوة بالاحترام من النوع البورجوازى ، والمجد الخالفغ الصغير ، وجمع المال مع الحرص عليه . ومما يذكر فى هذا الصدد أنه قام ، فى سنة ١٦٣١ ، بشراء حق أخيه فى لقب « المتعهد العادى لتوريد البسط الملكية » ، وأنه انتهز ظروفا معينـة للاستيلاء على هذا الحق بأبخس الأثمان ، ولذلك عاد اخوه فى سنة ١٦٣٦ يطالب بتعديـل ثمن الصفقة ، وبعد محاورات ومداورات ومساومات مضنية ، اضطر جان الى دفـع مبلغ اضافى لأخيه ، مقداره مائة جنيه ، ومنه أيضا ، اتهام البعض اياه — دون أى دليل بإقراض مبالغ صغيرة ، لاناس صغار ، خلال مدد صغيرة ، « بالربا الفاحش . وقـد كان هذا العمل المربح جدا مما يباشره اثرياء التجار فى ذلك العهد ، ولكن ليس هنـاك ما يثبت ، من قريب أو من بعيد ، أن السيد جان بوكلان كان ممن يمارسونه . فأغلـب الظن أنه كان رجلا حريصا على ماله ، مما لا يمنعه من الانفاق على بذخه بسخاء ، كما كان يفعل السيد جوردان ، ولكنه لم يكن فى بخل « أرباجون » ، بطل مسرحية البخيـل .

أما امه فقد صورها المؤرخون فى صورة مثالية ، بينما حملوا زوجة أبيه بكل الأوزار . والحقيقة أننا لانكاد نعرف شيئا يذكر عن هذه أو تلك ، اللهم الا أن السيدة مارى كريسيه كانت تعرف القراءة والكتابة ، وانها كان لديها نسخة من الكتاب المقدس

من مؤلفات « بلو تارك » لعلها كانت لا تستخدمها – كما يقول أحد ظرفاء الكتاب ، متفكها – إلا فى إزالة تجاعيد الملابس ، أى فيما نستعمل فيه المكواة اليوم ، أما كاترين فكانت أمية لاتقرأ ولا تكتب . وليس من شأن هذه المعلومات الضئيلة أن تبرهن لنا ، كما يقرر البعض بكل إصرار ، على أن الأولى كانت « امرأة جديرة بمنح العالم هذه العبقرية التى لا نظير لها » ، وأن الثانية كانت « امرأة أب تافهة ، يأكل الحقد قلبها على ابن زوجها » .

نعم من الممكن أن يكون موليير مدينا لوالدته بالكثير ولكن ليس فى مقدور أحد أن يحدد الطباع وسمات الذكاء التى ورثها عنها ، كما لايمكن لأحد أن يؤكد أن زوجة الأب قد عاقت تعليم ابن زوجها ، أو حتى أهملته ، كما يقال أحيانا . فحين موت كاترين فلوريت ، كان الصبى جان باتست تلميذا ، لاندرى منذ كم من الزمن ، فى مدرسة كليرمون Clermont بشارع سان جاك Saint-Jacques وكانت مدرســة راقية ، يؤمها ابناء السادة من الأمراء والنبلاء وأثرياء الطبقة البورجوازية ، ولذلك يقول مؤلفو مقدمة طبعة سنة ١٦٨٢ من كتبه (وهى المقدمة التى يجدها القارئ تتلو هذه) ان موليير عقد فيها بعض الصداقات مع بعض هؤلاء الأمراء اثناء دراسته ، ولكننا لانعرف شيئا مستيقنا عن ذلك ، ولاسيما بالنسبة لمن يسمونهم بالذات .

ومما يذكر ايضا أنه أتم دراسته فيها حتى « البكالوريا » خلال خمس سنوات . والواقع أننا لانعرف شيئا عن ذلك مطلقا ، غير أنه من الملاحظ أنه غادر المدرسة فى الشهر الأخير من عام ١٦٣٩ ، على نحو ما أكده «لى بولانجيه دى شالوسيه Boulanger de Chalussay فاذا كان قد التحق بها عام ١٦٣٣ ، أى لدى زواج أبيه بكاترين ، فإنه يكون قد أمضى فى هذه الدراسة ست سنوات .

ولكننا نعلم علم اليقين أن جان بوكلان الأب قد حصل لابنه جان باتست فى سنة ١٦٣٧ على حق وراثة لقب « متعهد توريد البسط الملك » وأنه أقسم اليمين المعتادة فى مثل هذه المناسبة فى ١٨ ديسمبر من السنة نفسها ، وكان قد قارب السادسة عشرة من عمره .

ويقول جريمارست Grimarest إن موليير ، بعد أن حصل على شهادة الليسانس فى القانون ، سجل اسمه فى سلك المحاماه ، ولكنه اضطر الى إغلاق مكتبه ، ولم يمض على فتحه خمسة اشهر أو ستة ، لعدم وجود عملاء ، أو بالاحرى لعدم تحمسه ومثابرته ، مما صرف العمـــلاء عن ارتياد مكتبه . ويذكر جريمارست ايضا أن بوكلان الأب كان يحتم على ولده أن ينوب عنه ، احيانا ، فى مهام وظيفته ، وأنه بهذه الصفة قد صاحب الحاشية فى الرحـــلة التى قام بها الملك (لويس الثـــالث عشر) الى « ناربون » Narbonne فى عام ١٦٤٢ . وليس لدينا ما يعضد هذه الرواية أو ينفيها .

ويبدو أنه كان حوالى هذا التاريخ ، كما يذكر جريمارست أيضا ، أن عقد موليير عرى الصداقة بينه وبين « برينيه» Bernier « ولا شابل » La Chapelle وبذلك استطاع أن يحضر دروس « جساندى » Gassendi مـــع لاشبل وبصحبته سيرانو دى برجراك . ولكن احد مؤرخى موليـــير المحدثين ، (جوستاف ميشو Gustave Michaut) يصر على أن هذه الدروس لاوجود لها ، وذلك لانه يفسر قول جريمارست على أنه يجعل زمانها قبل سنة ١٦٣٩ ، أى وقت أن كان موليير لايزال تلميذا فى مدرسة كليرمون. ولكن جريمارست لم يحدد لها تاريخا ، كما أنه من المحتمل كل الاحتمال أن يكون موليير الذى انعقدت أواصر الصداقة بينه وبين لاشابل وغيره من هذا الوسط منذ عودته الى باريس ، قد عرف عن طريقهم سيرانودى برجراك وغيره من معارف جساندى ، واستطاع ، عن طريق هؤلاء الآخرين ، الاتصال بجساندى الذى كان يعمل فى باريس منذ سنة ١٦٤١ ، وحضور دروسه . ولا ينبغى لذلك الا أن يكون حضور هذه الدروس قد وقع بعد سنة ١٦٤٣ ، أى بعد عودة موليير الى باريس ، وهو لايتعارض مع منطوق الرواية التى لاتذكر أى تاريخ .

ولكن لعل أشد ما أثر فى حياة موليير تأثيرا صاحبه طوال حياته الخاصة والفنية على السواء ، هو تلك الصلة التى قامت بينه وبين آل بيجار Bejard منذ شبابه الأول . وآل بيجار هؤلاء أسرة بوهيمية العادات ، مخلخلة التقاليد ، يرتبط نشاطها بالمسرح ، وتسكن منزلا غير بعيد من منزل آل بوكلان . كان الأب ، جوزيف بيجار ، الذى يعمل جابيا

أو كاتبا بما يصح أن نسميه بادارة المياه والغابات ، يحمل — حتى فى المحاضر الرسمية — لقب « النبيل السيد دى بلفيل »الذى يبدو بوضوح انه اسم مسرحى . والأم مارى هرفيه ، يقال إنها كانت على علاقة غرامية بتريستان لرميت Tristan L'Hermite أما الابنة الكبرى مادلين،فيقال إنها كانت فى بادئ الامر ،تتمتع برعاية روترو Rotrou ومن بعده وصلت حبالها بمن يدعى البارون مودين de Modène أحد الذين يعملون فى خدمة الدوق دى جيز ورزقت منه ببنت سجلت باسمه فى الأوراق الرسمية بالرغم من أنه كان متزوجا . وكانت تقطن منذ سنة ١٦٣٦ منزلا لا تحيط به حديقة فى شارع توريني Thorigny بالقرب من مسرح الماريه . والثانية ،جنفييف (التى اطلق عليها فيما بعد السيدة هرفيه) ، والابن ، يوسف ، كانا هما ايضا يمارسان حرفه التمثيل ، ويقيمان مع والديهما فى منزل مثقل بالرهون بشارع لابرل . وكان الأفراد الذين يترددون عليهم ويعاشرونهم كلهم من اولئك الناس الذين يعيشون على هامش المجتمع السوى ، ما بين ممثل مغمورة أو معروفة ، وكاتب سكير وموظف أو شبه موظف يطرد من عمله وفتاة من بنات أحد اصحاب الحرف اليدوية أو ممن « يدرن على حل شعورهن » كما يقول التعبير الجارى . وهذا هو الوسط الذى كان يخالطه ويتردد عليه الشاب جان باتست بوكلان الذى كان يحس من نفسه انجذابا شديدا نحو المسرح. ولا ندرى ما اذا كان موليير هو الذى شد كل هذا الخليط إلى احتراف حياة المسرح أم هم الذين شدوه إليه ، فآراء المؤرخين متضاربة فى هذا الصدد ، ولكن الذى لا شك فيه أن والده السيد بوكلان حاول بكل قواه أن يصرفه عن هذا الاتجاه ، ويقول جريمارست إنه لم يدبر له رحلته فى حاشية لويس الثالث عشر الى ناربون الا على أمل أن ينسيه هذه الهواية والتعلق بالوسط الذى كان قد انغمس فيه . ولعل هذا السبب أيضا هو الذى حدا به الى قطع موارد الحياة عن ولده لكى يسترجعه الى الوسط البورجوازى الذى ولد فيه ، وحينئذ لم يجد موليير بدا من أن يفكر فى العمل مساعدا لدى احد اصحاب مخازن الأدوية المشكوك فى أمره .

ولكن السيد بوكلان لم يلبث أن استسلم ، مرغما على ما يبدو لرغبة ولده الملحة . ففى السادس من يناير سنة ١٦٤٣ دعا ابنه الى التوقيع ، أمام موثق العقود ،على وثيقة

بالتنازل عن حقه فى وراثة وظيفة ابيه ، وفى مقابل ذلك سلمه ، « بايصـــال مستوف لكل الشروط القانونيـــة » ٦٣٠ جنيها « بعضها نصيبه من التركة الذى آل اليه من أمه والباقى دين يستقطع ، مستقبلا ، من نصيبه فى تركة والده » .

وبهذه المناسبة اتهم البعض جان بوكلان « بالارباجونية Harpagonisme وهـــذا خطأ والا لم يكن ترك له الوظيفة التى جعله يتنازل عنها تحت تصرفه حتى ســـنة ١٦٥٠ . والواقع أن الرجل قد خشى ، بحق ، أن تكون بدايات ولده فى الطريق التى اختار لنفسه السير فيها بدايات عسيرة ، فاراد أن يقدم له من العون ما يجعله يقف على قدميه ، مؤملا فى قرارة نفسه أن تعاف نفسه هذا العمل ويفقد الرغبة فيه ، فيعود الى حظيرة العقـــــل والرزانـــة .

وفى السادس عشر من شهر يونية سنة ١٦٤٣ وقع بين موليير وآل بيجار وبعض من يحومون حولهم عقد بانشاء « المسرح اللامـــع L'Illustre Théatre» أو بالاحرى العقد الذى به يرتبط المتعاقدون معا بممارسة الكوميديا من أجل المحافظة على بقاء فرقتهم فقد كانت هذه الفرقة إذن قائمة من قبل ، ولذلك لم يذكر فيه شئ عن رأس المـــال ونصيب كل منهم فيه وتوزيع الربح المحتمل . ولا عن نصيب كل منهم فى الربح ، اذا كان هناك ربح ، ومعنى ذلك أن كل هذه المسائل كان متفقا عليها فى اتفاقيات سابقة ، وكان العقد مكملا لهـــا . وقد حدد فيه نظام الاستقاله والفصل وحقوق كل منهم والتزاماته فى كلتـــا الحالتين . ونص على أن لمادلين بيجار الحق فى أن تختار هى الدور الذى يعجبها ، أمايوسف بيجار وبوكلان وكليران Clérin فيتناوبون اختيار الدور فيما بينهم .

وكانت إدارة « المسرح اللامع » خلال الفترات الأولى من وجوده لمادلين بيجار ، وليست لجان باتست كما ظن البعض . وبفضل « ترستان لرميت » استطاعت الفرقـــة أن تحظى بحماية جاستون دورليان Gaston d'Orléans وان يكون لهـــا الحق فى أن تكتب تحت اسمها عبارة « تحت رعاية صاحب السمو الملكى » ، وقد كان ، فى حقيقة الأمر ، حقا شكليا بحتا لا قيمة له من الناحية المادية ، كما توسط لها البارون دى مودين ، خليل

مادلين ووالد ابنتها التي كانت قد بلغت الخامسة من عمرها ، لدى الدوق دي جيز ، فقدم لهـا منحة من الملابس المسرحية من أجل مادلين وبنس Benys وموليير .

وفي اليوم الثاني عشر من شهر سبتمبر سنة ١٦٤٣ استأجرت الفرقة ، لمباشرة عملها ملعبا للتنس يملكه الأخوان ميتييه Métayers وسمى باسمها . وكان يقـع على قطعة أرض مشتركة بين الشارعين اللذين يعرفان الآن بشارع السين وشارع مازارين . وفيما كان الملعب يعد ليكون مسرحا ، رحلت الفرقة إلى الأقاليم لتقديم بعض العروض . وفي اليوم الأول من يناير سنة ١٦٤٤ فتح المسرح اللامع أبوابه في باريس . ولكنه لم يعمر طويلا. فقد كانت الفرقة فقيرة في الموارد المالية ، والمصاريف ثقيلة ، وايجار المسرح باهظا . فاضطرت الفرقة إلى الاستدانة والعجز عن دفع أجور المساعدين (مدير الإضاءة وخبير الملابس وغيرهما) .

وأوشك كل ماقامت الفرقة بعمله على الانهيار الشامل الكامل . ولكن موليير الذي كان قد اتخذ لنفسه اسم موليير منذ يوليه سنة ١٦٤٤ ، حاول أن ينقذ الموقف وينتشل السفينة من الغرق . فأخذ على عاتقه إدارة المسرح بدلا من مادلين ، وفسخ عقد الملعب واستأجر ملعبا أقل أجرا ، يقع بالقرب من الميدان الملكى (في جزء من كورنيش السين يعرف الآن بكورنيش السيلستان (، ويسمى بملعب الصليب الأسود . وعمدت مارى هرفيه ، والدة آل بيجار إلى رهن منزلها بشارع البرل من أجل مساعدة الفرقة ، رغم أن هذا المنزل نفسه كان مثقلا بالديون من قبل . ولكن الفرقة ظلت غارقة في الديون عاجزة عن السداد ، حيث بلغت ديونها بضعة آلاف من الجنيهات ، وهو مبلغ غير معضل لولا فقر الفرقة المدقع جماعة وافرادا . ولم يمهلها الدائنون فترة واحدة ، فاستطاعوا استصدار حكم بسجن موليير ، ودخل موليير السجن ، ولم يطلق سراحه الابضمان شخصى وتعهد من الفرقة بأن تدفع لبوميير Pommier ٤٠ جنيهـا أسبوعيـا طوال شهرين فضـلا عن تعهدات اخرى لدائنين آخرين : وكانت آخر مرة نسمع فيها بوجود موليير بباريس خلال هذه الفترة من حياته حين ورد اسمه في حكم صادر في ٤ أغسطس سنة ١٦٤٥ باطلاق سراحه من السجن .

وبعدها تشتت أفراد فرقته ، ثم أعاد تكوينها فى ديسمبر من نفس العام ، وهاجر بها الى الاقاليم حيث لحقت به مادلين بيجار ، لاندرى اين بالضبط ، ولكن الارجح أنه كان فى بوردو أو بالقرب منها فى ذلك الوقـــت ، حيث كـــان الدوق ديبرنون Duc d'Epernon حاكم الاقاليم يرعى فرقة محليةتحت ادارةشخص يدعىدوفريـــن Dufresne فعين موليير عليها خلفا له ، وأصبحت هذه الفرقة تتكون من موليير ومادلين وجنفييف وجوزيف بيجار ومن تبقوا من فرقة دو فرين . وأخذت الفرقةتسير على صورة لا بأس بها وتمارس عملها فى بوردو وغيرها من مدن الاقاليم المجاورة. ولم يلبث الدوق أن تخلى عن رعاية الفرقة بعد زمن لم يطل من بدايتهـــا . ولم ييأس موليير ، فواصل الطواف بفرقته فى مدن الاقـــاليم من بيزناس وآجـــان وتولوز وبواتييه وليـــون وألبى وكركاسون وجرونوبل ،.. الخ فيلحق منها أناسا بفرقته ، ومن هؤلاء ماركيز أو تيريزدى جورلا Thérèse de Gorla التى تزوجت ديبارك فيما بعد،وفى بيزناس كان أحد ذوى النفوذ قد وقع فى غرام هذه السيدة ، فتوسط للفرقة لدى الأمير «دى كونتى» حاكم لنجدوك Languedoc الذى وضعها تحـــت رعايته . وراحت فرقة السيد الامير دى كونتى Le prince de Conti تواصل تنقلاتها بين مدن الاقاليم من جديد وتقدم عروضها بنجاح مشكور . ومن المدن التى تدل بعض الوثائق والدلائل عـــلى انها شوهدت فيها خلال هذة الفترة (غير القصور التى كان يتنقل بينها السيد الامير) : موتبلييـــه (ما بين ١٦٥٣ — ١٦٥٤) وليون وافينيون وبيزين وغيرها . وبعضها تردد عليها اكثر من مرة .

وفى هذه الاثناء سقط الامير مريضا وتحول الى حياة العبادة والتقوى على يد مطران اليت Aleth الورع وتخلى عن رعاية موليير وفرقته . فكانت تلك ضربة قاسية لفناننا العظيم . ولكنه ايضا فى هذه المرة كغيرها من المرات السابقة ، اعتصم بشجاعته ونشاطه المضنى ولم يستسلم لليأس ، خصوصا وأن احوال الفرقة المادية والفنيـــة كانت تسير طوال هذه الفترات من حسن الى أحسن . وفى هذا الحين كانت الفرقة تتكون مـــن موليير وآل بيجار الأربعة : مادلين وجنفييف التى كانت تمثل تحت اسم السيدة هرفيه ويوسف ثم لويس ، المعروف بالمشحوذ ، وهو شاب اعرج مرح المزاج . ويضاف الى

هؤلاء بيير ريفيون Pierre Révillon الذى دخل الفرقة سنة ١٦٤٧ واختفى منها في ١٦٥٥ ، ورينيه برتولو René Bertholot المعروف باسم رينيه البدين ودى بارك الذى كان قد تزوج ماركيز ومنذ سنة ١٦٥٠ انضمت اليها كاترين لكلير Catherine Leclereq التى تزوجت فيوكان Villoquin المعروف بدى برى فى سنة ١٦٥٢ ، ومنذ ١٦٥٢ انضم فورمارتان وآن رينييه ، Faure Martin et Anne Reynier اللذان تزوجا فى ليون سنة ١٦٥٥ ، وشاتونوف Chateauneuf منذ سنة ١٦٥٣ ، وهو مؤلف ممثل ، ثم أسرقج . ب . لرميت ، B.L. Hermite المعروفة: بالسيد فوسيل Vausselle والسيدة فوسيل وابنتهما مادلون Magdelon وبهذه الفرقة استمر موليير فى ذرعه مدن الاقاليم من شرقها الى غربها . وكانت اعماله دائما فى صعود مستمر واسمه يزداد انتشارا فى كل تلك الاقاليم التى ، كما قلنا ، كان يلتقط منها بعض الفنانين الموهوبين ، أو يعقد فيها بعض الصداقات المفيدة ، ومن ذلك أنه فى ليون عقد اواصر الصداقة مع مينار Mignard الرسام المعروف والذى اصبح فيما بعد رسام موليير — لدى عودته من روما سنة ١٦٥٨ .

ولعل هذه الفرقة الاخيرة لم تعرف شيئا اسمه البؤس ، بل لقد عرف افرادها ، على العكس من ذلك ، معنى اليسر ورغد العيش ، ولاسيما آل بيجار وموليير الذين اصبحوا فى أيسر حال من الناحية المادية . بل لقد بدأت مادلين منذ سنة ١٦٥٥ توظف النقود وتقدم القروض . ولم يكن موليير وآل بيجار قد قطعوا كل صلاتهم بباريس ، وانما احتفظوا فيها بعدد من الروابط والمعارف ، ومن ثم فقد قرروا ، فى سنة ١٦٥٨ — وكانوا وقتها فى روران — أن يعودوا الى العاصمة . وبالفعل شدت مادلين رحالها اليها ، وفى اليوم الثانى عشر من شهر يوليه سنة ١٦٥٨ كانت توقع عقد استئجار ملعب الماريه التنس لمدة ثمانية عشر شهرا تبدأ من اليوم التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٦٥٨ ، وتنتهى فى الثامن والعشرين من مارس سنة ١٦٦٠ ، متخذة لها محلا مختارا فى باريس « منزل جان بوكلان الأب » . فهل كانت تنوى هى وموليير ، فى بادئ الأمر ، أن تحل فرقتها محل فرقة الماريه ، لا أحد يدرى ، ولكن الذى حدث بالفعل أن السيد (Mon-sieur) ، الأخ الوحيد للملك ، رضى أن يضع هؤلاء الممثلين تحت رعايته ، ووعد

أن يمنح كلا منهم ثلاثمائـــة جنيه ذهبى ، وهـــو وعـــد لم ير الوفـــاء يوما من الأيام .

وفى اليوم الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٦٥٨ كانت فرقة السيد (الأخ الوحيد للملك) تلعب أمام لويس الرابع عشر مسرحية «نيكوميد لكورنى وفارسا « آخر مما كان موليير يسلى به أهل الاقاليم ، وهو الدكتور العاشق . وقد أعجب الملك بموليير فى هذا الأخير أكثر مما أعجب به فى تراجيدية كورنى ، فأمر من فوره أن يعطى لموليير الحق فىاستخدام مسرح قاعة البوربون الصغيرة الجميلة يوما من كل يومين بالتبادل مع فرقة الايطاليين بحيث تصبح أيام الاثنين والأربعاء والخميس والسبت وقفا عليه وعلى فرقته .

وقد كان تمثيل موليير وزملائه أكثر بساطة وواقعية ومباشرة من لعب« كبار الممثلين» ، فنال اعجاب رواد الصالة ، بوجه خاص ، بحيويته الطبيعية ، كما سبق أن نال من قبل اعجاب الملك وأشخاص الحاشية وكبار الشخصيات الباريسية . وانهال الكبراء والعظماء وأفراد الشعب على عروضه بحماس معدوم النظير ، وأقبل ذوو المكانة من كل طائفة وصوب يتّهافتون على دعوته للتمثيل فى حفلات خاصة « للزيارة » . وقد كان هو الآخر لبقا فى احاديثه وخطبه ، ماهرا فى مناوراته وتصرفاته الاجتماعية ، واستطاع أن ينتقى التراجيديا الناجحة فيعيد عرضها فى الوقت الذى يقدم فيه مسرحياته الخاصة بنجاح ساحق ، مثل : المخبول ، وخيبة الحب : وهكذا كان كل ذلك ايذانا ببداية مجده وسطوع نجمه .

وبطبيعة الحال ليس معنى ذلك أن حياته بدأت تجرى رخاء دون متاعب أو مصاعب . فالمؤلف الذى يعمل فى نفس الوقت ممثلا ومديرا لفرقة مسرحية ، لابد أن يصطدم بالكثير من العقبات وأن يلاقى الكثير من المشكلات التى يتعين عليه حلها ، كما لابد أن يثير ضده الخصوم والحساد .

واذا كان موليير قد التقى ، لدى رجوعه الى باريس ، باصدقائه القدامى أمثال لاشابل La Chapelle ولامـــوت La Mothe وفاييه Vayer فإن دائنيـــه القـــدامى ايضـــا لم يعدموا أن يلتقوا به هـــم الآخرون . فمن ذلك انه دفع لاحدهـــم

دينا مقداره ٢٩١ جنيها فضلا عن ارباحه من يوم اقترضه ، حين كان يقدم عروضه فى ملعب الصليب الأسود . هذا كما كان عليه أن يدير شئون فرقته ويدبر أمر أفرادها ويضمن لهم العيش الذى يليق بهم . وكان عددهم ، لدى حضوره الى باريس عشرة ممثلين وممثلات ، غير اولئك الطفيليين أو شبه الطفيليين ، الذين نراهم دائما يتعلقون بأذيال كل فرقة مسرحية ، وغير من كانوا يعملون فى الادارة وشئون المسرح الاخرى . ولسنا نرى من الضرورى ذكر أسماء هؤلاء الممثلين والممثلات ، لاسيما وأن منهم من ترك الفرقة بعد قليل منضما الى فرقة الماريه ، وحل غيرهم محلهم ، كما أن جلهم كانوا ممن سبق أن ذكرنا أسماءهم فى فرقته الاقليمية . ولكن كان منهم آل بيجار الاربعة وشاب من اسرة كريمة ، نخصه بالذكر لما عرف عنه من ذكاء وسخاء وتحمس للمسرح الذى كان يعشقه عشقا ، ولأنه كان يسطر فى سجل خاص كل اخبار الفرقة وافرادها سواء أكانت أخبارا خاصة أم عامة ، مما جعل هذا السجل مصدرا هاما لتاريخ الفرقة ، وأيضا لأنه هو الذى سيتلو موليير فى ادارة الفرقة بعد مماته . ويشترك فى اصدار طبعة ١٦٨٢ من مؤلفاته . وقد ظل هذا الشاب ، طوال وجوده فى الفرقة يمثل دور العاشق فى فى مسرحيات موليير . وهذا هو لاجرانج . واسمه الحقيقى كاملاهو : شارل فارليه دى لاجرانج Charles Varlet de la Gramge .

واذا كان موليير قد خلب لب الملك بما كان يقدمه امامه من فارسات و « كوميديدت ايطالية » فانه قد حاز نصرا مؤزرا ، بين أشخاص القصر وجمهور المدينة على السواء ، بتقديمه مسرحيته المتحذلقات المضحكات ، وهى ايضا من نوع « الفارس الذى يثير الضحك ، ولكنه فارس يدعو الى التفكير والتأمل ، لانه يصور الاخلاق والعادات المعاصرة » . وقد جر هذا النصر على مؤلفنا اولى الهجمات الحادة من جانب زملائه الحاسدين ، تلك الهجمات التى لم تكف عن ملاحقته طول حياته . فمثلا نرى أحد الزملاء المسمى بودودى سوميز Baudeau de Samaize يسطو على هذه المسرحية «ليصوغ شعرا ما صاغه موليير نثرا مهلهلا » على حد قوله ، ثم يستغلها لمصلحته والتشنيع على موليير فى آن واحد ، دون أى خجل وبكل وقاحة ، لانه منبوذ من بعض الكبراء ومنهم على مايبدو ، الدوق دى جيز نفسه . ويرى توماكورنى أو كورنى الصغير كما يسمونه

Thoms Corneile أن الجمهور قد هجر مسرح الماريه الذى تعرض فيه مسرحياتــه الى مسرح البوربون الصغير ، فيتّهم مسرحية موليير بانها تافهه ومسروقة ، ويقول عنه : « انه غير شجاع بما فيه الكفاية لـكتابة نقد « Satire » ، وليس بما فيــه الكفاية للسير فيه الى النهايــة » . ويهال دونـــو دى فيز يه Donneau de Visé فى « اخبــاره الجديدة » على مؤلفنا بالتقريع الشديد ، ويتهمه ، كممثل ، بأنه يعمل على ان يكون نسخة من سكاراموش Scarameucho وانه ينهب الايطاليين نهبا . ولكن كل هذه المعارك لم تزد الجمهور الاتحمسا للمسرحية واقبالا عليها .

كانت المسرحية الجديدة الأولى التى قدمها موليير بعد المتحذلقات هى سجاناريـــــل أو الديوث الواهم Sganarelle . فمـــن قبل كان موليير قد اتخذ مـــن اسم « مسكارى» علما لحمل سخريته والاضطلاع بأهاجيه الاجتماعية . ولكنه ، ابتداء من هذه المسرحيــة ، استعاض عنه باسم « سجاناريل » ، وهو شخصية مضحكة ، منحطة المشاعر ، تتمـــيز بالجبن والانتهازية . وسواء أجاء فى صورة خادم أو بور جوازى أو غير ذلك ، فانه يمثل ، فى كل الأحوال ، كما يقول سانت بيف « الجانب القبيح من الانسانية ، والذى يثـــير الضحك » . وبه استحق موليير لقب « ساخر فرنسا الاول » ، وجعل « لانيففلــين ، La Neufvillaine يكتب قائلا « لم أر فى حياتى أمتع مـــن مواقف سجا ناريـــل وهو خلف زوجته . . . وان شكل وجهه واشاراته لتعبر عن الغيرة بصورة لا يحتــاج معها الى كلام يدلل به على أنه اكثر الناس غيرة فى هذا العالم » . ويقول عـــنه إنه، كممثل يعتبر استمرارا موفقا لسكاراموش Scaramouche والحقيقة الـتى يشير اليهـــا الكثيرون من المعاصرين أن موليير يدين بالطابع العام لوجهه فى المسرح لهذا الممثـــل الايمائى المعجز « تيبر يوفيوريلى » Trberio Fiurelli المعروف فى عـــالم المسرح باسم سكاراموش : شارب كثيف يتدلى الى اسفل ولحية سوداء . كما أنه اقتبس الكثير من التقاليد الكاريكاتورية للفكاهى الشعبى « جيو جورجو » Guillot - Gorju الذى كثيرا ما أقنع الجمهور فى مسرح الاوتيل دى بورجونى ، والذى يحاكى الاطباء بأروع صورة . ويذكر دونو دىفيزيه Donneau de Visé فى المقال الذى نشره فى رثائه « أن كل ما فيه كان فكها ، من أخمص قدميه الى قمة رأسه . كان يبدو وكأنه يتكلـــم

بعدة اصوات فى آن واحد . كان كل ما فيه يتكلم . ويستطيع بخطوة أو ابتسامة أو طرفة عين أو حركة رأس أن يصور من الاشياء اكثر مما يستطيعه أبلغ المتكلمين خلال ساعة كاملة . والواقع أنه كان عديم النظير فى اللعب بوجهه وكل جسمه . ويصوره لنا لى بولانجيه دى شالوسيه Le Boulanger de Chalussay فى أحد مناظر الديوث وهو يمد جبهته العابسة الى الامام ، وقد شحب وجهه فجأة . ثم يتوقف دفعة واحدة ، وينفجر بالغضب المسعور : صورة حية للغيور المعتدى على شرفه الزوجى . وكان دوران عينيه فى منظر الحب الخائب مما يفجر عواصف من الضحك المتواصل . وكان مما يميزه فى ذاكرة جمهوره وفى خيالهم وأمام أبصارهم ، طريقته فى مد كتفه الى الأمام ، ووضع ساقيه لدى الوقوف فى صورة قوسين متقابلين ، وقلب عنقه بشكل نمطى ، الى جانب صوته حاد النغمات الى اقصى حد والذى تتزاحم فيه الكلمات تارة ، وتبدو حائرة مترددة تارة اخرى ، وتعترض فيما بينها نوبات الفواق تارة ثالثة . هذه الاوضاع ، الى جانب تلك التى سبقت الاشارة اليها ، اصبحت من لوازمه ، بل صارت نمطه المميز الذى اعتاده الجمهور وأعجب به كل الاعجاب ، حتى أنه حين ظهر فى مسرحية مبغض البشر دون شارب ليمثل دور الشاب أصيب المتفرجون بشىء من خيبة الامل وكادوا الا يتعرفون على موليير هم الحبيب .

وكان فن موليير الممثل وكذلك طريقة أفراد فرقته الممتازين ، مما أسهم بنصيب فى نجاح مسرحياته .

والحقيقة أن موليير لم يصبح مؤلفا الا منذ كتب المتحذلقات ، وهى أول مسرحية ينشرها ، وان كان الناشر قد استولى عليها منه ومعها حق النشر بطريق الخدعة .

راح موليير المؤلف وموليير الممثل ينتقل من نجاح الى نجاح رغم أنف الحاسدين ، وظل الجمهور يتدفق على مسرحه كالسيل المنهمر ، الى أن كان يوم ١١ من اكتوبر سنة ١٦٦٠ ، حيث استيقظ موليير من نومه فوجد معاول الهدم تنهال على مسرحه « البوربون الصغير » ، وكان ذلك بأمر من مراقب المبانى الملكية ، من أجل أن يقام مقامه بهو الأعمدة المعروف بقصر اللوفر ، ولكن حتى دون أن يبلغ صاحب المسرح مجرد تبليغ ،

فشكا موليير أمره إلى « السيد » الذى ابلغ الامر بدوره الى الملك . فأصدر الملك أمره بأن يعطى موليير بدلا منه مسرح « الباليه رويال » وأن يقوم المراقب العام باجراء ما قد يحتاج اليه هذا المسرح الأخير من اصلاحات وأن يسمح له بنقل جميع ما فى مسرح البوربون من مقصورات ومناظر وأدوات للاستعانة بها فى مسرحه الجديد ، ولكن الحاقدين عليه عملوا على حرقها قبل نقلها . وفى هذه الفترة من الفوضى والاختلاط التى استمرت شهورا ، حاول مسرح الماريه أن يغرى فنانيه بتركه والعمل فى مسرحهم. ولكنهم رفضوا جميعا فى عبارات يدل على حبهم وتعلقهم بالعمل معه هو دون سواه ، والفخر بما أصبح لرئيس فرقتهم ولهم ولمسرحهم من علو الشأن .

ولكن ذلك لم ينج موليير من الهجوم الذى انهال عليه من كل جانب ومحاولات فصل زملائه عنه لم تكف ، حتى ان عدوه سوميز Soumaize (من مسرح الاوتيـل دى بورجنى) حاول أن يفعل ذلك أيضا فى المقدمة التى كتبها لمسرحية المتحذلقات الحقيقيات. أما الأهاجى وضروب النقد المقذع التى وجهت اليه فعديدة جدا ، هى الأخرى .

ولكن كل ذلك لم يعق موليير وزملاءه (فرقة السيد) عن افتتاح مسرحهم الجميل فى الباليه رويال فى اليوم العشرين من يناير سنة ١٦٦١ . وكان افتتاحه باعادة عرض مسرحيتى (أوفارس) المخبول والديوث . ولكن موليير أراد أن يؤجج النار أكثر وأكثر فى قلوب خصومه ، فعرض فى اليوم الرابع من فبراير مسرحية جديدة ، ليست فارسا هذه المرة أيضا ، بل كوميديا بطولته ، كوميديا تراجيدية ، وهى دوم جارسى دى نافار Dom Garcie, de Navarre أو الاسير الغيور (Prince Jalavs) ولكنها فشلت فشلا ذريعا وكانت تلك خيبة أمل صارخة بالنسبة لمؤلف كان قد حصل من الملك ، قبل عرضهـــا ، بثمانية أشهر على وعد بطبعها .

ومن أجل أن يعالج هذا الفشل ، سارع موليير بعرض مسرحية اخرى جديدة ، مدرسة الازواج ، وهى كوميديا من ثلاثة فصول تجمع بين الفارس والكوميديا ذات الدعوى Pièce a thèse ولكن ملاحظة العادات المعاصرة فيها والتقاليد والملابس ورسم

الشخصيات تبدو فيها اوضح مما تبدو فى المتحذلقات بكثير ، وقد حازت الاعجاب ، كل الاعجاب منذ يوم عرضها وهو اليوم الرابع والعشرين من يونيو سنة ١٩٦١ . ولم يكد يمر على هذا العرض شهران حتى كان موليير يقدم على المسرح بناء على اقتراح فوكيه Fouquet مسرحية جديدة اخرى مرتجلة هي المزعجون (Fâcheux) التى تعتبر فى الواقع «كوميديا باليه» ، وقد اقترح عليه الملك نفسه أخذ مناظرها ، فقام بعمله ، وأهدى المسرحية كلها اليه برسالة شعرية بارعة . والحقيقة أن موليير كان قد بين بكل وضوح أنه على استعداد ، منذ ذلك الحين ، لانجاز « مسرحيات بالطلب » . ولذلك نراه يكتب بمناسبة منظر الصيد هذا : « يجب أن أعترف ، يامولاى ، بأنى لم أعمل شيئا بمثل هذه السهولة ولا بمثل هذه السرعة التى عملت بها ذلك الموضوع الذى اوصيتنى جلالتكم بصنعه . وانى لأشعر لطاعتكم ببهجة هى اكثر لى عونا من أبولو وكل إلاهات الفن ، ومن ثم فانى اتصور ما أنا جدير بعمله بالنسبة لكوميديا كاملة ، لو كان مصدر إلهامى أو امر من هذا القبيل . »

وفى سنة ١٦٦٢ أصبح يتقاسم ليالى مسرح الباليه رويال مع الإيطاليين ، ولكنه فى هذه المرة ، هو الذى فاز بالأيام العادية على حساب الإيطاليين . لقد أصبح سيد المسرح ، وفى اليوم العشرين من فبراير سنة ١٦٦٢ تزوج موليير من أرماند بيجار فى كنيسة سان جرمان لوكسرواه ويذكر فى وثيقة الزواج كما يذكر فى العقد الذى حرر من قبل (٢٣ يناير) أنها ابنة مارى هرفيه ، أى أنها أخت مادلين بيجار ، ولكن أهل القرن السابع عشر يعرفون أو يعتقدون أنها ابنة مادلين نفسها ، ونحن نعرف أن هذه الاخيرة كانت خليلة لموليير . ولذلك ثارت حول زواج موليير هذا — وقد كان اذ ذاك فى حوالى الاربعين من عمره وأرماند كانت فى السابعة عشرة أو التاسعة عشرة — إشاعات لا أول لها ولا آخر . أما أعداء الفنان فقد أصروا على أنها ابنة مادلين من موليير نفسه ، وبذلك يكون زوجها هو فى نفس الوقت أباها ، ويذكرون حول ذلك الأقاصيص ويجمعون ما يظنونه بينات تؤيد دعواهم ، وقد ذهبوا فى إصرارهم وعنادهم إلى حد أن رفعوا ضده الشكاوى الى الملك والكنيسة طالبين عقابه على جريمة زواج المحارم . وأما أصدقاؤه فكذبوا هذه التهمة ، تهمة زواج الممثل من ابنته ، ولكنهم ، هم الآخرين ، لم يكذبوا كونها ابنة مادلين من أب مجهول ، بل لقد قرروا ذلك صراحة ، ومن هؤلاء

بوالو وجريمارست ، وحبها لموليير واعجابها به وعطفها عليه من الأمور التى لاتحتاج الى بيان ، ومن ذلك نرى أن اصدقاءه لم يبرئوه الا من نصف التهمة. ولكن نقاد القرنين التاسع عشر والعشرين جميعهم قد عملوا كل مافى وسعهم لنفى التهمتين معا وإثبات ان ارماند ابنة السيدة مارى هرفيه ، وقد جمعوا وحللوا ما أمكنهم جمعه وتحليله من الوثائق التى تثبت صحة دعواهم . ونحن اذا كنا قد عرضنا لهذه المسألة على هذا النحو المقتضب ، فذلك لاننا لانرى فائدة من التوقف طويلا عندها ، وكفاها ما سال حولها من مداد على الاقــلام .

أما ما يهمنا من وراء كل هذه الحكاية فهو أن فرقة الباليه رويال قد زادت شخصا بزواج موليير من أرماند ، وشخصين آخرين انضما اليها من فرقة الماريه ، وهما بريكور ولاتوريير ، وكان ذلك فى العاشر من يونيه سنة ١٦٦٢ . وكان الثلاثة من خير الممثلين الذين ضمهم مسرح موليير . وقد اشترك اثنان من هؤلاء الثلاثة فى تمثيل مسرحية موليير القادمة ، وهى مدرسة الزوجات التى بدأ عرضها فى اليوم السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٦٦٢ بعد مدرسة الأزواج . وقد حاول البعض أن يرى فى هذه المسرحية قصة موليير نفسه مع أرماند . فأرنولف فى الثانية والاربعين (وكان موليير فى الأربعين) يريد أن يتزوج من فتاه صغيرة فارهة الجمال (وأرماند كانت فى السابعة أو التاسعة عشرة) ويحرص على ألا يكون ديوثا . ، نعم إن مدرسة الزوجات فيها اشياء اخرى ، فأرنولف مضحك غريب الاطوار ، وموليير ليس كذلك ولايريد أن يكون كذلك ، وأنييس على درجة من السذاجة لاتتوفر فى أرماند . ولكن موليير كان ينطوى على نفس القلق الذى يعذب ارنولف ، وفى نظرة أنييس شئ من الغزل الانثوى الذى كان من الاشياء التى تزيد فى تلألؤ جمال أرماند ونعومتها .

وقد لاقت مدرسة الزوجات أعظم نجاح عرفه موليير طــوال حياته الفنية بأسرها. فقد هرع الى مشاهدتها الجميع من مؤيدين ومعارضين ، وان كان هؤلاء الأخيرون قد وجهوا إليها أشد هجومهم وجه الى مسرحية من مسرحيات موليير . وكان قد أجمع على معارضتها ونقدها وهجاء صاحبها الكثيرون ، من متحذلقين ومتحذلقات ومركيزات ومؤلفين وممثلين ، ولكن ذلك لم يمنع الملك والاسرة المالكة والجمهور وبوالو من تحبيذها

والتصفيق لها . واتفق بمناسبة عيد الفصح أن قرر الملك معاشا لموليير ، وكانت هذه أول مرة يمنح فيها معاشا لممثل ، فزاد ذلك من بغضاء الحاسدين . وقد رد موليير على هؤلاء الحاقدين فى رسالة حوارية ، هى مسرحية نقد مدرسة الزوجات حيث نشاهد مناقشة حول المسرحية بين جماعة تتكون من امرأتين من المثقفات وواحدة من المتحذلقات ومركيز مهرج ومؤلف حاقد وشيفالييه (الفارس) ودورانت « المتكلم بلسان موليير » .وقدمها باهداء لبق الى الملكة الأم التى كانت ترعى حزب المتدينين ، ذلك الحزب الذى أخذ على على المؤلف انه فى مسرحيته هذه قد أهان الطقوس الدينيـــة حين سخر من العهد الجديد والوصايا العشر .

فثارت ثائرة المعارضين وكتب بورسو بعد فيزيه ردا على هذا الردينقد فيه المسرحية ومؤلفها ، سماه « صورة الرسام والنقد المضاد لنقد مدرسة الزوجات » ، وعرضه مسرح الاوتيل دى بورجونى على خشبته . فطلب الملك من موليير أن يرد عليهم ، خصوصـــا وأنهم كانوا قد أخذوا يلوكون بألسنتهم متاعبه الزوجية فى كل مكان . فكتب موليـــير ارتجالية فرســاى التى عرضت لاول مرة فى فرساى أمام الملك وجميع أفراد الحاشية . وفى هذا الحوار يرى موليير وفرقته يجرون تجربة على مسرحية مرتجلة يحاكون فيها بصـــورة كاريكاتورية كبار الممثلين والممثلات من الحزب المعارض . أما شتائم المؤلف بورســو فلا تلقى من مؤلفنا الا كل احتقار . وكان رد بورسو على ذلك أن نشر مسرحيته آنفـــة الذكر ومعها مقدمة فيها من الاقذاع ما فيها . كما كتب فيزيه ردا فى شكل مسرحية مثلت على مسرح الاوتيل سماها : رد على ارتجالية فرساى . وكتب روبينيه ردا آخر اطلق عليه هذا العنوان الساخر : خطب وعظية فى مدح الزوجات . وبعد ذلك بقليل نشر فيزيـــه مسرحيته ، وقدم مونتفلورى الابن مسرحية الى « كبار الممثلين » سماها ارتجالية مسرح الاوتيل دى كونديه . وفى آخر المطاف قام مونتفلورى الأب بتقديم شكوى الى الملك فى حق موليير حول مسرحياته الثلاث المتقدم ذكرها .

وكان موليير قد أشار فى الارتجالية الى أن كل ما سبق له قوله ليس الاشيئا ضئيـــلا بالنسبة لما لم يقله ، وينوى أن يقوله . والغالب انه كان فى ذلك الحين يفكر فى ترتوف .

ولكن يبدو أنه قبل ان يقطع فيها شوطا ما ، تلقى أمرا من الملك بتقديم كوميديا تالية على غرار المزعجون ، فقام اذن فى التاسع والعشرين من يناير سنة ١٦٦٤ بعرض الفارس الباليه والمعروف باسم الزواج بالاكراه ، وهو يدور حول رجل فى الخمسين من عمره يريد الزواج من شابة صغيرة ، ويستشير اصدقاءه فى الموضوع الخطير الذى هومقدم عليه ، وهى مسرحية بهيجة مسلية يلعب فيها موليير دور سجاناريل من خليلتيه مادلين بيجـار والسيدة دى برى . ولكن ارماند لم تشارك فيها لانها كانت على وشك الوضع ، وقـد وضعت بالفعل فى اليوم الثامن والعشرين من يناير ولذا سمى لويس الذى جعل الملك مـن نفسه عرابا له مع « السيدة » زوجة اخيه .

وفى ربيع هذا العام نفسه أظهر له الملك رغبته فى أن يقدم للملكتين (الملكة والملكةالام) ولمدام دى لافاليير Madame de la VallièreLe احدى صديقات الملك حفلـة «تسلية» من نوع غير عادى. ولما لم يكن موليير قد أكمل كتابة ترتوف بعد ، فقد قدم له فى سرعة خاطفة مسرحية الجزيرة المسحورة ، التى لعله اخذها عن أصل اسبانى ، وقديكون السبب — كما يذكر ميشو — « انه أراد مجاملة الملكتين ، وكلتاهما اسبانية الاصل» ،ولكن الأصوب أن هذه المسرحية الخفيفة تضمن بموسيقاها وفواصلها الراقصة ، تحقيق رغبـة المـلك .

أما أميرة ايليد فقد بدأها شعرا ، ولكنه لما أعوزه الوقت أكملها نثرا . وهى مسرحية مرحة بفضل دور المهرج موورون الذى كان قد اختفى من المسرحيات الهزلية منذ زمن ما وكانت هـذه المسرحية نصرا ساحقا لا رمانـد التى لم يزدها الوضع والنفاس الا جـمالا ونضارة ، كما لا حظ الكثير من النبلاء ورجال القصر فى شهر مايو هذا ، شهر الجـمال والورود والزهور ، التى ، كما جاء فى بعض ما كتب عنها فى ذلك الحين ، أغراهـا الاحتكاك بهذا الوسط اللامع خلال حنان الربيع المورق ، بالخلود الى شئ من الغزل والخفة وعدم التبصر . وبدلا من أن تركز سمعها على نشيد الحب الذى يوجه اليها ، أو بالاحرى يوجه الى الاميرة (ايليد) التى كانت تقوم بدورها ، من المحب الذى يمثل دوره موليير ، راحت تصيخ باذنيها الى كلمات الاطراء والغزل من جانب المعجبين بجمالها وفنها ورقصهـا وغنائها على السـواء .

بعد أربعة أيام من عرض أميرة إيليد التى كانت قد انجزت بسرعة خاطفة كما أسلفنا ، كان موليير يمثل فى فرساى الفصول الثلاثة الأولى من ترتوف التى لم تكن قد إستكملت بعد (١٢ مايو ١٦٦٤) . وقد أعجب الملك بهذه الفصول الثلاثة ، ولكنها لم تعجب الملكة الأم ، ولا غيرها من أصحاب الورع والتقوى ، واخطر الملك امام الحاحهم الى الامر بوقف عرض المسرحية ، وكان ذلك أمرا ثقيلا على نفس موليير ، لانه فى هذه المرة لم يكن لديه شئ جديد للعرض ولذا تكرر اغلاق المسرح وتأجيل العرض . وقد زاد من محنته فى هذا العام انه قرب أو اخره ، فقد صديقه وزميله دى بارك ؛ وباكورة اولاده لويس .

ولكن كان لا بد له من العمل بطريقة أو بأخرى ، « لكى يتمكن من إعانة أفراد فرقته » ، ففكر فى موضوع مضمون النجاح كان قد سبقه الى معالجته اصحاب الفرق الاخرى ، وهو دون جوان خداع النساء الذى مات مصموقا محروقا بانتقام مؤاكله الحجرى . وقد أخرج موليير من هذا الموضوع مسرحية غريبة فى بابها صور فيها واحدا من عظماء اولئك السادة الاشرار الذين كان يرى منهم الكثيرين فى هذه الفترة من الزمان. وبالرغم من أن القصر فى أوائل عهد لويس الرابع عشر كانت تطغى عليه موجة من الالحاد بعض الشئ ، وبالرغم من أن المسرحية اعجبت الملك والجمهور على السواء ، فإن اصحاب الورع والتقوى ورجال الدين قد هاجموها اعنف هجوم وحملوا الملك على الامر بايقاف عرضها هى الاخرى ، وان كان قد حاول الدفاع عنها أمامهم بقوله : ان دون جوان لم يلق جزاء الاخيار فى نهاية المسرحية ، وانها على أية حال لم تطبع ، واذا كانت دون جوان من نوع « الكوميديا دلارته » ، فان موليير قد اعطاها عمقا وابعادا جعلا منها مسرحية حقيقية .

وهكذا صدرت لموليير مسرحيتان فى سنة واحدة ، هما ترتوف ودون جوان ، وذلك فى الوقت الذى تفاقمت فيه متاعبه الزوجية وازداد فيه نشوز زوجته الحسناء . وفى هذه الظروف كان حريا بالرجل أن ييأس وتثبط همته ، لولا أن لويس الرابع عشر ظل يناصره ويشد من أزره . ففى الثامن عشر من شهر يونيه من نفس العام طلب منه

أن يمثل امامه مسرحية معشوق مدموازيل دى جاردان Le Favori de Mlle des-Jardins فى مسرح مزين بأشجار البرتقال. وكان موليير قد كتب لها مقدمة (proloque) ولكنها فقدت بكل أسف . ويقول لاجرانج « ان موليير يظهر فى هذه المقدمة فى صورة مركيز مضحك يريد الصعود على المسرح رغم منع الحراس اياه ، ويعقد محادثة تثير الضحك والسخرية مع ممثلة تلعب هى الاخرى دور مركيزة ، وتقف فى وسط الصالة بين الجمهور . » واذا صح ذلك ، ولاشئ يمنع من صحته ، فاننا نرانا امام نزول المسرح الى الصالة . ولكن ليست هذه اولى السمات ولا آخر السمات التى نعثر عليها فى المسرح المليرى ، ونعتقد أنها من خلق القرن العشرين . فاننا ، مثلا ، نجد بدور التمثيل داخل التمثيل فى مسرحيته ارتجالية فرساى التى سيراها القارئ فى هذا الجزء الذى بين يديه من أعمال موليير .

وفى الرابع عشر من أغسطس أرسل الملك الى موليير واخبره أن فرقته سيصبح اسمها منذ ذلك التاريخ فرقة الملك ، لافرقة أخى الملك (السيد) ، وانه قرر لها معاشا قدره ستة آلاف جنيه ذهبى فى العام . ولم يمض شهر على ذلك حتى كان موليير يمثل ، بناء على طلب الملك ايضا ، «كوميديا باليه جديدة » ، هى الحب الطبى ، التى لايسخر فيها من الأطباء بوجه عام ويجعلهم اضحوكة الضاحكين فحسب ، بل أيضا من أطباء معينين منهم طبيب الملك وطبيب الملكة وطبيب الملكة الام وطبيب اخى الملك ، فيهزأ بهم فى ملابسهم ولاتينيتهم المتحذلقة وتعويجات تقاسيم وجوههم وادعائهم أن كل ماتسوقه الصدفة أو قوى الطبيعة مما يساعد على الشفاء انما يرجع فضله اليهم . ويذكر بعض التفاصيل والاشارات التى تتجه بطريق مباشر نحو اشخاص بعينهم استقاها من طبيبه الخاص . وقد أصابت هذه المسرحية كمعظم مسرحيات المؤلف نجاحا كبيرا .

وفى هذه الاثناء حيث كان موليير قد عمد مولوده الثانى ، ونعى ابنته اسبرى مادلين ، انفصل ايضا عن السيدة دى كروازى ، كما حدث بينه وبين ممثلى الاوتيل بعض الوقائع الاليمة ، منها أن فيزيه ، بعد أن تصافى مع موليير ، كان قد حكى لكينو Quinant (من فنانى الاوتيل) موضوع مسرحية يزمع موليير تقديمها على مسرح الباليه رويال ،

وهى مسرحية الأم الغزلة ، فسبقه وقدم مسرحية فى نفس الموضوع لممثل الاوتيل الذين عرضوها عليه من فورهم . وكانت كل هذه ضربات قاسية بالنسبة لموليير الذى كان يعانى فى نفس الوقت من مساعيه المضنية لفك الحصار عن ترتوف ، ومن استهتار زوجته المتزايد بعد وضع طفلتها اسبرى مادلين .

كل هذا مضافا الى المجهود المتواصل الذى كان يبذله منذ ثلاث سنوات أثر على صحته ، فدهمه المرض الذى ألزمه الفراش منذ اليوم السابع والعشرين من ديسمبر سنة ١٦٦٥ حيث أصيب بالتهاب رئوى حاد وبحمى شديدة ، وقد أبت عليه حيويته المتأججة الا أن يغادر الفراش قبل الأوان فأصابته نكسة هوجاء وجد على أثرها مغمى عليه أمام منزله ، اضطر بعدها الى ملازمة الفراش من جديد اكثر من شهرين ، اغلق خلالها مسرح الباليه رويال أبوابه . وتجمع المصادر على أن موليير كان متين البنيان ، مكتنز الجسم ، قصير العنق جدا ، أميل الى السمنة . ولكنه لم يكد يتجاوز الثلاثين من عمره ، حتى اصيب (فى سنة ١٦٦٤) بنحافة مسرفة . ومنذ ذلك الحين ، بالضبط منذ الرابع عشر من ديسمبر من هذا العام كف عن الاستمرار فى أن يكون خطيب الفرقة الذى كان ينحصر عمله فى الخروج على المسرح بعد كل عرض ليخطب فى الجمهور ويشكره على تشجيعه القيم ويجيب على اسئلته ويعلن له اسم المسرحية المقبلة . فترك هذه المهمة للاجرانج يقوم بها مكانه . ولكن اعماله ككاتب فى خدمة الملك ، ونشاطه المضاعف فى ادارة الفرقة وفى التمثيل ، ومشاغبات زوجته التى اصبحت لاتكف وتعضدها فيها امها أو أختها مادلين بيجار حتى كانت تؤدى فى بعض الاحيان — على ما يبدو — الى انفصال الزوجين ، ومعاكسات الحاسدين والمنافسين والمتآمرين ، كل ذلك قد أوهن صحة الفنان وأضعف مقاومتـــه .

ولم ترجع صحته ، بعد هذا المرض الأول ، الى حالتها العادية قط ، فقد خرج منه بسعلة مزمنة وحمى خفيفة دائمة وعينين غائرتين وشحوب لون لا يزايله . ولم يكد يبدأ الشتاء التالى حتى اصيب بنكسة اخرى الزمته الفراش أربعة أشهر هذه المرة ، فلم يستأنف نشاطه المسرحى الا فى شهر يونيه من نفس العام (١٦٦٧) ، ولكن بقوة الارادة لابقـــوة البدن .

ومما يعرف عن موليير انه لم يكن مرحا قط فى حياته الخاصة ، ولا يكاد يتكلم فى مجلس الا اذا كان الحاضرون يعجبونه ، وانه كان بطبعه مكتئب المزاج حالما ،وكان يهرب من متاعبه الجمة فى سجن من كآبة الانطواء ، وبهجة العمل القاسية . واخيرا لم ير بـدا من التظاهر باحتمال خفة زوجته ونزواتها ، فترك لها حرية السلوك الذى تريده لنفسها . واستأجر له شقة منعزلة فى حى أوتى (Auteuil) كان يعكف فيها على العمل ، واستقبال الخلصاء من اصدقائه ، ولم يكونوا يتجاوزون الأربعـة : بوالو ، الكاتب الناقـد المعروف ، وراوو Rahaut ، مفكر ديكارتى المذهب ، وشابيل ، متحدث مـرح وسكير بعض الشئ ، وقد كان هو ولا جرانج اللذين قاما بطبعة سنة ١٦٨٢ من مؤلفاته ، ثم بارون ، وهو شاب وسيم يتيم الابوين يقال انه كان يعجب الرجال فى حداثتـه ، ثم اصبح معبود الحسناوات فى رجولته .

وفى وسط هذه المتاعب والمصاعب التى تهد الجبال لم يتوان موليير عن اخراج مسرحية جديدة ، هى مبغض البشر Le Misanthrope فى الرابع من يونيه سنة ١٦٦٦ . وليس من الصحيح ان هـذه الرائعة قد اسئ استقبالها ، وان كان من المؤكد انها تلقى مـن النجاح ، لدى الجمهور بوجه خاص ، ما لقيته مدرسة الزوجات وكوميديات الباليـه مثلا ولسنا نرى ضرورة الذكر جميع الاشخاص الذين عناهم موليير بهذه المسرحيـة ، ولكن من الاكيد أنه عنى نفسه من بين من عناهم حيث عبر عن نفوره من البشر بلسان هذا السوداوى المزاج ، وعن حكمته بلسان العاقل فيلانت ، أما سيلين فمن الواضح انها أرماند ومبغض البشر مسرحية شخصيات وعادات ، قال عنها بوالو بحق « انها لاتعجب الا المثقفين المرهفين ، أما جمهور الصالة فلابد أن يكون اقل تذوقا لهـا ، لأنها تخرجه عن محيطـه وما تعود الاهتمام به » . وقال عنها فولتير : « إنها من عمل حكيم يكتب للمستنيرين ، وكان لا بد لهذا الحكيم أن يتخفى فى زى مهرج ساخر لكى يعجب الجماهير » . وأيا ما كان فـان المسرحية لا تزال تعرض بنجاح على جميع مسارح العالم المتحضر ، وقد سمعت من استاذ الأدب الفرنسى فى جامعة بواتييه انه رآها تمثل فى اليابان بالملابس الحديثة ، مما يدل على انها تعالج موضوعا لا يبلى ، وقد شعر موليير نفسه بفتور حماس الجماهير من ناحيتها فأقبل على كتابة كوميديا أخرى خفيفة ، نوع من الفارس التهريجى يعوض به جماهيره عن جدية

مبغض البشر ، ونعنى مسرحيـــة طبيب رغم أنفه ، وهى تطوير لفارس سبق لموليير أن عرضه فى الاقاليم تحت عنوان طبيب بالاكراه . وتتلخص فى أن مارتين الفلاحة التى كان يضربها زوجها سجاناريل البسيط السكير تؤكد امام خادمين لجيرونت أن زوجها هذا طبيب نطاسى . وكان هذان الخادمان فى سبيل البحث عن طبيب لعلاج ابنـــة سيدهما التى اصيبت بالبكم فجأة . واضطر سجاناريل ، تحت تهديدهما إياه بالعصا ، ان يلبس ثـــوب الاطباء الفضفاض وقلنسوتهم المدببة ، ويذهب معهما لعلاج المريضة التى هى الاخرى مريضة زائفة ، لجأت الى هذه الحيلة لكى تستطيع الزواج من حبيبها الذى يرفض اهلها أن يكون زوجا لها لافلاسه . وكان من شأن روح المسرحية الكوميدى الساخر ومحاكاة موليـــير الكاريكاتورية (وكان يقوم بدور سجاناريل) ولا تينيته السيئة أن تفجر ضحـــــك المشاهدين من أول المسرحية الى آخرها . وكان عرضها فى اليوم السادس من اغسطس سنة ١٦٦٦ .

ولما كان على الفرقة أن تبرر اسمها الجديد « فرقة الملك » فقد عمد موليير — حـــوالى آخر العام ، أى من ٢ ديسمبر ١٦٦٦ الى ٢٠ فبراير سنة ١٦٦٧ — الى الاســـهام فى « باليه » آلهة الفن التى يبدو أن بنسيراد Benserade هـــو الـــذى كتب كتيبها ، وهى تتكون من ثلاثة عشر مدخلا ، توزع بالطبع على ثلاث عشرة ليلة ، وكل مدخل (وهو العمل المسرحى فى الليلة) تتخلل اجزاءه الفواصل الموسيقية والراقصة . وكان من الاجزاء التى اسهم بها موليير فى هذا الباليه مدخل الجزء الثالث ، وهو عبارة عن مسرحية كوميدية سميت كلها باسم تالى Thalie (بما فيها فواصل الموسيقى والرقص) ، وكان مـــــن المفروض أن تتكون من خمسة فصول . ولكن لما كان موليير لم يحضر ، كالعادة ، إلا فى وقت متأخر ، فانه لم يكتب غير فصلين اثنين من مسرحية حب رعوية سماها ميليسرت Mélicerte وتدور حول راعيتين ، اسم احداهما « دفينه » Daphné والاخـــرى « ايروكسيم » Eroxème وكانتا تحبان ، كلتاهما ، شخصا واحدا ، هو « ميرتيل » Myrtil الذى كان يحب أخرى غيرهما هى ميليسرت التى كان يعتقد انها فتاه فقـــيرة . ومع ذلك فان « ليكارسيس » Lycarsis والدميرتيل ، كان على وشك أن يوافق على

زواج ابنه من ميليسرت حين يعلم أن الملك قد حضر لاصطحاب ميليسرت وتزويجها من أمير عظيم . أما ما حدث بعد ذلك ، فلا نعرفه ، ولن نعرفه ، لأن موليير لم يتم كتابة مسرحيته . وقد انتزع موليير باذن من الملك الصغير « بارون » من الفرقة التى كان يعمل بها « لاريزان La Raisin » وآواه الى بيته ، وهناك سرعان ما أكمل تدريبه على أداء دور ميرتيل الذى أبدع فى تمثيله إبداعا أثار الغيرة فى قلب أرماند ، باعتبارها ممثلة ، لا زوجة ، مما جعلها تصفعه أمام الملأ ، فغضب الشاب واستأذن الملك فى الرجوع الى فرقته ، فأذن له ، ولذلك ، حين أعيد عرض هذا الجزء فى الخامس من يناير ، استعيض عن ميليسرت بكوميديا رعوية اخرى .

وفى ليلتى الرابع عشر والسادس عشر من فبراير قدم موليير مدخلين آخرين ، هما كوميديا الأتراك Les Turcs وكوميديا المغاربة Les Maures وقد ضم الى الاخيرة الصقلى وهى كوميديا باليه من فصل واحد تجمع بين خصائص الاوبرا الكوميدية والفارس الراقى ، ولكن موضوعها عادى جدا ، بل ربما كان تافها ، غير أنها تبلغ القمة من حيث الشكل والاسلوب ، فقد كتبها المؤلف نثرا مسجوعا « خفيفا كالأثير » ، ولذلك تعتبر - من هذه الناحية - شيئا فريدا فى مسرح موليير .

ويقال إن الملك وحاشيته من رجال وسيدات كانوا يرقصون فى هاتين الليلتين متخفين فى أزياء تركية ومغربية ،وقد بلغ به السرور حدا جعله يهدى معطفا قيما لكل من السيدتين موليير ودى برى اللتين مثلتا دور جاريتين اغريقيتين عاشقتين لادراست Adraste

ودوم بيدر Dom Pèdre كما أصدر الاذن لموليير شفويا باستئناف عرض ترتوف. ولكنه لم يستطع الاستفادة من هذا الاذن الا فى الخامس من أغسطس ، لأن مرضه ومشاغله كانا قد اضطراه الى التأجيل فترة من الزمان . ومع ذلك لم يستطع مواصلة هذا العرض ، فقد كان الملك قد اضطر الى مرافقة جيوشه فى اقليم الفلاندر ، وانتهز أعداء موليير فى القصر وخارج القصر هذه الفرصة ومنعوه ، مرة أخرى ، من الاستمرار فى عرضها.

وعقب ذلك كان المرض قد اضطره الى اغلاق مسرحه حتى الخامس والعشرين من شهر سبتمبر .

وفى السادس من نوفمبر ذهب الى فرساى بدعوة من الملك الذى كان قد عاد اليها ، وقدم اربع مسرحيات منها أتلا Attila لكورنى ، ولكن ليس بينها مسرحية واحدة من تأليفه .

واستطاع موليير ، رغم كل شئ ، أن يكتب فى هذا الاثناء أمفتريون Amphitryon التى قدمت لأول مرة على مسرح الباليه رويال فى الثالث عشر من يناير سنة ١٦٦٨ . كما عرضت بعد ذلك فى قصر التويلرى Tuileries أمام الملك وجميع أفراد حاشيته . وهى مكتوبة بالشعر الحر ، وقد قال عنها احد المعاصرين ، روبينيه Robinet فى خطاب له الى الملكة الأم : « انها ، حقا ، احدى الروائع فى قصتها الكوميدية البطولية ، وفى ديكوراتها وملابسها ، وقد بدت فيها السيدة موليير فى مستوى من الجمال والتألق لم تصل اليه من قبل . »

وبعد أن تم الصلح فى حرب الفلاندر والفرنش كونتيه القصيرة بمعاهدة اكس لاشابل Aix-La-Chapelle أراد الملك أن يعوض القصر عن المدة التى قضاها فى شبه تقشف ، فقرر اقامة مهرجان فى حدائق فرساى ، فاقيم فيها مسرح فخم تكسوه البسط الفاخرة من الداخل وأوراق الاشجار من الخارج ، ويتسع لثلاثة آلاف مقعد ، وفيه قدم موليير مسرحيته الجديدة جورج دندان Georges Dandin أو الزواج المهان ، وكان ذلك فى الثامن عشر من يوليه سنة ١٦٦٨ . وهى كوميدية كتبت على عجل ، كما هى عادة موليير فى معظم الاحوال ، وتقوم على أحد مواقف « الملطخة » . وقد نحس فيها شيئا من المرارة ، وهى كذلك بالفعل ، لأن موليير فيما يبدو ، قد أفرغ من ذات نفسه فى شخصية جورج دندان ، كما أفرغ من شخصية أرماند فى شخصية أنجيليك (التى كانت ارماند تمثل دورها) ولكن يروى — رغم ذلك — انها كانت تثير عواصف كاملة من الضحك ، وكيف لايضحك الناس من زوج مخدوع تحيق به الاهانة فى كل فصل ، وتحوطه الذلة فى كل وقت؟ والمسرحية من ثلاثة فصول تتخلل أربعة فواصل موسيقية كتب شعرها موليير ولحنها « لولى » Lulli وتختتم المسرحية بمهرجان باكوس بهيج يرقص فيه بعض الرعاء من الجنسين خلف باكوسين وباكوسيات .

وبعد ذلك بأقل من شهرين كان موليير يقدم البخيل L'Avare وهى ، كأمفتريون ، لاتينية الأصل ، اذ أن مصورها هو « فارس الحلة» L'Aululaire للكاتب الرومانى بلوتس Plautus وهى كوميديا من خمسة فصول كلها بالنثر ، لأن موليير ، كما قيل ، لم يكن لديه الوقت الذى يمكنه من كتابتها شعرا ، ولا الوقت الذى يساعده على جعل عقدتها غير تحكمية ، وحلها أقل تقليدية .

وفى الحادى عشر من شهر ديسمبر من هذا العام (١٦٦٨) الخصب ، ماتت احدى الممثلات السابقات بفرقة الملك ، المركيزة دى بارك (مترقصة الاليين) التى كان « راسين » قد سلبها موليير قبل ذلك بعام ، وكانت أجمل « أند روماك » فى رائعة الكاتب التراجيدى الاولى . ويروى انها كانت فارهة الجمال ، متناسقة الجسم ، من أمهر الممثلات الكوميديات ، سريعة الاستجابة للحب ، تستطيع الرقص العادى ورقص الباليه ، ذات جاذبية لاتقاوم ، « وهى التى ابتكرت مايوه الرقص خلال عملها فى فرقة موليير ، وكانت تؤدى بعض الحركات التى عرفت بها حيث تدور حول نفسها ، فتظهر ساقاها وجزء من فخديها عن طريق فتحتين على جانبى « الفستان » ، وقد لبست جوارب من الحرير وشبكتها من أعلى بسروالها الصغير .

ولا ندرى ماذا كان موليير قد حزن لموت دى بارك التى كانت ، كما سبق أن قلنا ، قد تركت فرقته حبا فى راسين . الذى لاشك فيه أن حنق موليير على الكاتب الشاب لم يكن قد هدأ بعد ، بدليل أنه فى ربيع هذا العام نفسه قدم على مسرحه (الباليه رويال) مسرحية المعركة المجنونة أو نقد أند روماك التى كتبها احد اعداء راسين .

وقد ادخل الصلح مع الكنيسة الذى تم فى الشتاء التالى شيئا من الرضا فى نفس موليير ، فقد أصدر لويس الرابع عشر فى اليوم الخامس من فبراير سنة ١٦٦٩ أمره برفع الحظر عن تمثيل ترتوف . وفى اليوم نفسه كانت المسرحية تعرض على مسرح الباليه رويال حيث استمر عرضها حتى عيد الفصح ، ووصلت حصيلة ايرادها الى ٢٨٦٠ جنيها ذهبيا ، وهو مبلغ لم تصل اليه أية مسرحية اخرى من مسرحيات موليير ، حتى مدرسة الزوجات . وكان سرور موليير بذلك لايقدر ، كما يبدو من خطاب رفعه الى الملك يلتمس فيه خدمة

لابن طبيبه الخاص. أما اقبال الخاصة والعامة على المسرحية واعجابهم بها ، فكان منقطع النظـــير .

وفى هذا العام ايضا فقد موليير والده « البرجوازى النبيل » جان بوكلان . وفيه كتب الالتماس الذى اشرنا اليه ، والذى يفهم منه انه قصد به ايضا اصلاح ما بينه وبين الاطباء . ولكنه لم ينسهم فى أول مسرحية ظهرت له بعد ذلك ، وهى السيد بورسوينياك Monsieur Pourceaugnac (٥ اكتوبر سنة ١٦٦٩).وهى كوميديابالية وضع لولى موسيقى اغانيها ورقصاتها ، وفيها اختار المؤلف موضوعا لسخريته طائفة من النبلاء فى الريف ، وجعل من البطل المهرج الذى يمثلهم رجلا مصابا بالعلل وبداء الوهم فى آن واحد مثـــل موليير نفسه ويحاصره الاطباء من كل جانب . ويذكر جريمارست أن موليير كتب هذه المسرحية بمناسبة حضور نبيل من مقاطعة ليموج أحد العروض وظهوره بمظهر يثير الضحك والسخرية فى معركة لهمع الممثلين . وقد يكون ذلك صحيحا ، ولكن من المعروف – على أية حال – أن أهل هذه المقاطعة كانوا فى ذلك الحين موضوع فكاهة الباريسيين وتندرهم كما هى الحال فى أيامنا هذه بالنسبة لســكان الأوفرنى Avergne وبريتنى ، كما أن نبلاء الريف كانوا دائما موضع احتقار نبلاء القصر بسبب فقرهم وجشعهم وفظاظة سلوكهم وعاداتهم ، وسوء حظهم فى الحياة الزوجية ، وقد كانت الخيانة الزوجية فى قصور هؤلاء النبلاء منبعا للفكاهة لاينضب له معين . كما كانت الاسماء المضحكة التى تخلع عليهم والملابس المزركشة التى يلبسونها مما يرشحهم ايضا لفارسات موليير الخفيفة . ومما يعطى هذه المسرحية شيئا من الروح الملحمى هذا الرقص والصخب المجنون الممتد من جانب الأطباء والصيادلة وأيا ما كان، فان المسرحية لقيت نجاحا كبيرا فى القصر وفى المدينة على السواء .

استمر موليير – رغم مرضه – فى العمل من أجل الملك . فقد قامت فرقته فى الرابع من فبراير سنة ١٦٧٠ خلال مهرجان « التسلية الملكية » بتقديم مسرحية غرامية خفيفة من نوع أميرة ايليد كان لويس الرابع عشر نفسه هو الذى اقترح موضوعها الذى يتلخص فى أن « أميرين متنافسين ذهبا الى وادى تمبى Tempé لحضور احد المهرجـــانات ، وأخذا

يمطران احدى الاميرات وأمها بكل ما يستطيعان من عبارات الغزل والهيام » . وقد اطلق على المسرحية اسم العشاق الفخام ، وهى مسرحية مناسبات تناول موليير فيها ، بين ما تناوله – بناء على رغبة مدام دى مونتسبان Montespan احدى رفيقات الملك ، – طائفة المنجمين الذين يقرءون البخت للناس فيضرونهم أكثر مما ينفعونهم . وقد نجحت المسرحية فى مسرح القصر ، ولكنها فشلت فى الباليه رويال لخلوه من تلك الأدوات المعقدة الضرورية لتنفيـــذها .

وفى خريف هذا العام قدم موليير ، بناء على طلبها أيضا ، البورجوازى النبيل فى شامبور Chambord ، حيث كانت تقام هناك احتفالات بمناسبة الصيد . وقد أدخل فيها الغناء والرقص ولإرضاء مدام دى مونتسبان ، وقدر ما من السخرية الغليظة ، استجابة لطلب الملك وكولبير ، (Collbert) من أجل التهكم على مبعوث تافه للسلطان اسمه سليمان باشا ، استقبله لويس الرابع عشر فى فرساى وسط انواع الرياش والجلال ، فاظهر أنــه لم يبهر بها ولم ير فيها ما يمكن أن يكون غريبا عليه ، وكل ذلك قد صبغ الكوميديا بشىء من الخفة والمرح ، حيث كان موليير ، وهو يمثل فيها ، يفكر – على أغلب الظن – فى أبيه وغيره من البرجوازيين الذين يهفون الى ألقاب النبلاء ، وفى بعض النبلاء الحقيقيين المتكلفين المضحكين . أما عقدة المسرحية فحكاية بسيطة ، يشتبك السيد جوردان فى أحداثها ، وترسم فيها تخطيطات لصورة سوقية الطبع ساذجة ، هى مدام جوردان ، و « مركيز » غامض يتسم بالتعصب الى حد ما ، هو الكونت دورانت وتنبعث منها قصة حب فاشلة تتبادل فيها الردود بشكل متواز متعادل ، وتتدرج الى الالتحام فى بعض الرقصات بين كليونت Cléonte ولوسيل Lucile وكوفييل Covielle ونيكول Nicole السيد والسيدة ، والخادم والخادمة . وقد لعب لولى دور المفتى وعلى رأسه عمامة عالية زينت بست شمعات موقدة ، كما لعب موليير دور السيد جوردان بحركاته وايماءاته المثيرة للضحك . وتشيد الروايات التى لدينا بنجاح المسرحية .

وفى نوفمبر من عام ١٦٧٠ حاول موليير – الذى أدى خلافه مع راسين الى تقربه من كورنى – أن يعارض بيرينيس Bérénice لراسين وطائفة الممثلين الكبار ، بمسرحية تيت وبيرينيس تلك التى تتكون من شعر بارد » ولكنه لم ينجح .

وفى هذه الاثناء طلبت منه مدام دى مونتسبان والملك أن يكتب مسرحية جديدة ، ففكر فى كتابة نوع من بسيشيه Psyché الجديدة ، مستعينا بديكورات الجحيم المحفوظة فى خزائن الملك ، مستغلا بعض القصص ، ومنها احدى قصص لافونتين ، وهى مأساه باليه ، وضع هو تصميمها وكتب مقدمتها (prologue) والفصل الاول منها ، والمنظر الأول من الفصل الثانى ، والمنظر الأول أيضا من الفصل الثالث أما الباقى فقد كتبه كورنى ، واشترك معه كينو Qunaull ولولى Lulli فى ترتيب اجزاء الباليه ووضع فواصلها الموسيقية الراقصة . وقامت ارماند بتمثيل دور بسيشيه ، وقد ظهرت فيها أكثر جمالا ولطفا ووداعة من أى وقت مضى . وقام الصغير « بارون » بدور الحب Amour ، وكان قد التحق بفرقة موليير منذ فترة ، وفيه ابدع كل الابداع وحاز اعجاب الجميع ، حتى اعجاب أرماند شريكته فى الدور نفسها . ويقال إن فرقة موليير لم تكن يوما فى تمام حالها وقمة روعتها اكثر مما كانت فى هذا الوقت وفى تنفيذ هذه المسرحية بالذات. ولاشك ان المسرحية استحقت كل ماحازته من نجاح بضخامةمشاهدها وجمال ديكوراتها ، لما احتوت من جنة وجحيم وآلهة وحوريات وغيرها من كائنات الميثولوجيا ، ثم تلك الوثبات والحركات الخطرة التى كانت تقوم بها بعض هذه الكائنات. ثم لاننسى أيضا نصيب هذا الشعر الجميل الذى كتبه كورنى وموليير فى تحقيق هذا النجاح.

بعد هذا النجاح الساحق الذى احرزته المسرحية ، رأى موليير أن يعيد عرضها على مسرح الباليه رويال ، ولكن كان لا بد لذلك من تغيير سقف المسرح واجراء تعديلات جوهرية فيه ليصلح « لاحتواء كل تلك المكائن وتشغيلها » .

وقد كانت هذه الاصلاحات التى شوهت وجه المسرح بعض الشئ والتى أدت الى جلوس الموسيقيين بعددهم الكبير على المسرح بعد أن كانوا يجلسون فى مقصورات مسيجة ، نقول ، كانت هذه التعديلات ذريعة او سببا لاختلاف أدى الى الانفصال بين لولى وموليير .

وفى الخامس عشر من ابريل ، كانت القاعة قد اصبحت جاهزة ، ولكن لمـا كانت بسيشيه من المسرحيات التى يتطلب اخراجها واعدادها للتنفيذ وقتا طويلا فقد فضل موليير أن يقـدم قبلها « فارسا » منتعشا بالحيوية ، يتكون من ثلاثة فصول ، وهو « تفاقيـات سكابان Les Fourberie de Scapin (٢٤ مايو سـنة ١٦٧١) والمعروف أنه مأخوذ من فارسين سابقين ، هما جورجيبوس فى المصيدة Gorgibus dans la sac الذى سبق تمثيله فى الاقاليم ، وفورميون Phormion لتيرنس ، مع بعض الملامـح الملتقطـة من هنا وهنـاك ، وبوجه خاص من سيرانو Cyrano وغيره . وهى مـن المسرحيات الهشة الخفيفة التى خصها بوالو الوبألذع فقرات نقده.ومهما يكن من شئ،فإن نجاحها كان محدودا . ثم بدأ تجارب بسيشيه فى اليوم السابع من يونيه ، والعرض الأول فى الرابع والعشرين من يولية . وقد لاقت نجاحا كبيرا ، ولكن لايقارن بنجاح مدرسة الزوجات وتارتوف مثلا ، كما أنها لم تستطع تعويض النفقات الباهظة التى بذلت فى سبيلها.

تزوج السيد أخو الملك للمرة الثانية من الاميرة « بلاتين » Platine وأراد الملك أن يقيم فى قصره بضاحية « سان جرمان » Saint Germain حفلا كبيرا تكريمـا لزوجـة أخيه الجديدة . فاختيرت له قطع مختلفة من الباليهات التى سبق عرضها فى مسارح القصور الملكية . وضم بعضها لبعض فى باليه كبير ، سمى باليه الباليهات . وطلب الملك من موليير أن يكتب له كوميديا جديدة تقوم لهذه القطع مقام الاطار العام . فكتـب « كونتيـسة اسكاربانياس La contesse d'Escarbagnas وفى هـذه المسرحية يسخر موليير ، لا من نبلاء الريف وحدهم ، الذين لم يكونوا هذه المسرحية من مقاطعة ليموج ، بل أيضا من رجال المال (٢ ديسمبر سنة ١٦٧١) .

لم تكد تنتهى بدايات سنة ١٦٧٢ حتى كان موليير غارقا فى الحداد والاحزان . فقـد ماتت مادلين بيجار صديقته القديمة وأم زوجته أو اختها. التى كانت تقيم لدى موليـير وأرماند ، وتتناول طعامها معها . وكانت وفاتها بعد مرض طويل . وكانت قـد انقطعت للتقوى والعبادة ، بحكم السن ، عقب انسحابها من الحياة المسرحية بعد أن خلقت شخصية « نيرين » Nérine فى مسرحية السيد بورسونياك . وفى التاسع من يناير أملت

وصيتها أمام موثق عقودها الذين وجدوها طريحة الفراش » ولكنها سليمة العقل والذاكرة والحكم » . وفى هذه الوصية تركت بعض الاشياء لأخواتها واخيها ، وجعلت من ارماند الوارثة الوحيدة لكل تراثها ، مع حق نقل هذا التراث لابنتها « مادلين – سبرى» ولمن يولد لها من زوجها من أطفال . وفى اليوم السابع عشر من فبراير فاضت روحها عن خمسة وخمسين عاما ، ودفنت – باذن من كبير مطارنة باريس– فى مقبرة كنيسة القديس بولس ، بالقرب من قبر مارى هرفيه .

وموليير الذى انجبت له زوجته طفله الثالث والاخير فى الخامس عشر من سبتمبر ، لم يعمر بعدها الا عاما واحدا .

وفى الحادى عشر من مارس سنة ١٦٧٢ بدأ موليير عرض مسرحيته الكبرى النساء العالمات التى كتبت بالشعر وتضم خمسة فصول ، وكان يعمل فيها منذ أربعة أعوام . وهو يعالج فيها أيضا موضوع دور النساء فى المنزل ، الذى كان يشغل باله منذ مدرسة الأزواج ومدرسة الزوجات ، وموضوع ميل النساء ، لا إلى الاشتغال بقرض المقطوعات الشعرية الخفيفة وكتابة قصص الغرام المتحذلقة ، كما هى الحال فى المتحذلقات ، بل الى الاشتغال بالفلسفة والعلوم . ولاشك أن مذهب موليير ، (من ناحية ما فيه من صدق حس) ، يمكن استخلاصه من فم كليتاندر Clitandre وهنرييت Henriet أكثر مما لو التقطناه من فم كريسالد Chrysalde الثقيل الظل والخادمة مارتين Martine ولكنه مع ذلك مذهب ضيق الافق ومتأخر بالنسبة لعصره وعلى جانب كبير من التفاهه . فموليير ، كصديقه بوالو ، يعتبر من أعداء المرأة ، ويريد أن يقيدها الى المطبخ والحياكة وتربية الاطفال ، أو بتعبير آخر ، الى « الشواء والكستبان وتربية ثمرات احشائها » . وقد حظيت النساء العالمات ، وهى اكثر مسرحيات موليير نصيبا من عنايته واهتمامه ، بنجاح يفوق بكثير نجاح البخيل ومبغض البشر . ولكن سرعان ما ضعف الاقبال عليها وقل ايرادها ، فأوقف عرضها .

فى هذه الاثناء كان الموت يحوم حول موليير الذى كانت صحته فى تدهور دائم . ومما زاد الأمر حرجا انه نكب فى شهر مايو بموت صديقه الحميم والقديم « لاموت لى فيير »

La Mothe, Le Vayer وفى شهر اكتوبر بموت ثالث أبنائه ميلادا، بيير – جان باتست – ارمانــد – .Pierre - Jean - Baptiste Armand ولم يكن قــــد مضى على مولده ثلاثة اسابيع . ومن جهة اخرى قامت بينه وبين البعض قضايا زادت فى تعكير صفو حياته . وربما كان اكثر من ذلك كله تمزيقا لصحته البالية دسائس لــولى الذى يبدو أنه كان فى سبيل الحلول محله فى حظوة الملك ، والذى كان قد حصل على حق احتكار موسيقى الباليهات الموسيقية .

وبالرغم من كل هذا فقد كتب مسرحية المريض بالوهم Le Malade imaginaire واستطاع أن يحصل من لولى ، ولكن بصعوبة ، على حق استخدام ستة مغنيين وتسعة مــن لاعبى الكمان . وقد قام شارنتييه Charpentier بوضع موسيقى هذا الفارس الضخم المعقد الذى زود بالفواصل والمداخل من كل نوع لكى يحوز رضاء الملك. غير أنه لم يتمكن من عرضه أمام الحاشية ، فعرضه على مسرح الباليه رويال ، حيث كان اول عرض له فى اليوم العاشر من فبراير سنة ١٦٧٣ .

ويعتبر هذا الفارس أقذع نقد وجهه موليير الى الطب والاطباء ، فقد سخر منهم سخرية استاذ فى فنه ، ومريض ومعنى يشعر بمرارة اليأس من الشفاء .وقد ذاعت شهرة المسرحية فى حينها حتى بلغت عنان السماء ونجحت اكبر نجاح ، فبلغ ايرادها ألفى جنيه ذهبي .

وفى اليوم السابع عشر من فبراير ، يوم العرض الرابع للمسرحية ، ذهب موليير الى المسرح والحمى تكفكفه وتبدو عليه علامات الارهاق الساحق ، وكانت زوجته وبارون قد توسلا اليه أن يعتكف فى بيته ويستريح هذه الليلة ، ولكنه أبى الا أن يمثل دوره ،وهو دور المريض ،على خشبة المسرح . وأثناء تمثيل منظر الاحتفال الكاريكاتورى فى المسرحية دهمته شهقة عصبية حاول اخفاءها بضحكة مفتعلة ، كما كان يفعل أحيانا ، ثم تحامل على نفسه ، متذرعا بارادة لا تقهر ، واستطاع الاستمرار فى أداء دوره . حتى نهاية المسرحية. وبعد اسدال الستار استطاع أن يذهب حتى مقصورة « بارون » زحفا على ركبتيه . ومنها نقل ، فوق كرسى ، الى بيته فى شارع ريشيليو . وكان يشكو من أن يديه أصبحتـــا باردتين كالثلج . وعرض عليه بارون أن يقدم له شيئا من الحساء الحار ، ولكنه فضل أن

يتناول قطعة صغيرة من الجبن وكسرة من الخبز . وبعدها ساعدته خادمته « لا فورست» على التمدد فى فراشه . ولم تمض لحظة حتى أخذته نوبة شديدة من السعال ، وبدأ يبصق دما. وهرول بارون لاستدعاء أرماند ، لأنها لم تكن بالبيت فى هذه اللحظة ، وبقى موليير وحده مع راهبتين من الراهبات الشحاذات كانتا هنالك بالمصادفة . وانطلقت لافورست وخادم موليير للبحث عن قسيس . ورفض لنفان Lenfant ولوشاه Lechat من قسس أبرشيه سانت أوستاش أن يحضرا موت مؤلف تارتوف . واستمر الدم ينزف من فم موليير بغزارة حتى فاضت روحه . وكان زوج جنفييف بيجار (جان أوبرى) Jean Aubry قد اتصل هو شخصيا بالأب بيزان Paysant ودعاه للحضور ، فحضر بعد أن كان كل شىء قد انتهى .

وطلبت أرماند أن يدفن زوجها فى مقبرة كنيسة سانت أو ستاش. فقال قسيس الابرشيه : ان موليير مات بعد خروجه من التمثيل فى المسرح ، ولم يتلق المراسيم الدينية الاخيرة ساعة احتضاره ، ورفض أن يسمح بدفنه فى مقبرة الكنيسة . فتوجهت أرماند بالتماس الى الاسقف هارليه Harlay ، فلم يستجب للرجاء . وحينئذ سارعت الى سان جرمان يصحبها قسيس حى اوتى Auteuil لتلتمس العون من الملك الذى كان بارون قد أبلغه الخبر . وبعث الملك فى طلب السيد هارلى ، وهو أسقف أديب متملق الى حد الذلة ، يقول عنه المطران فينيلون « فاسد ، فاضح ، غير قابل لأى اصلاح ، زائف ماكر ، منافق ، عدو لجميع الفضائل » . وطلب منه الملك أن يتلافى الفضيحة . فرجع كبير مطارنة باريس عن قراره السابق ، على شرط أن يكون الدفن ليلا ودون احتفال .

وفى يوم الثلاثاء الموافق يوم الواحد والعشرين من شهر فبراير سنة ١٦٧٣ شيعت جنازة جان باتست بوكلان موليير ، « متعهد البسط الملكية والخادم الخاص والكوميدى اللامع» دون أى احتفال ، اللهم الا حضور ثلاثة من رجال الكنيسة الرسميين . وقد قام أربعة من القسس بحمل الجثة فى نعش من الخشب غطى بقطعة بساط ، وصحب الجنازة ستة شمامسة يحملون شموعا فى شمعدانات من الفضة ، وكثير من الخدم الذين حملوا ، هم الآخرون مشاعل من الشمع . ووزعت أرماند مائة جنيه ذهبى على الفقراء الذين هرعوا الى جنازة الفقيد .

ومع ذلك فقد اجتمع حول جنازة موليير حوالى ثمانمائة مشيع ، وكان من بينهم اصدقاؤه منيار وشابل وبوالو الذين رافقوا جثة صديقهم حتى مثواه الاخير ، وكل منهم يحمل بيده مشعلا ، وهناك فى مقبرة القديس يوسف التى تتبع مصلى فرعيا من مصليات سانت أوستاش دفن موليير تحت علامة الصليب .

ويقول أحد الرواة إنه لم يكد يوارى التراب حتى نقل جثمانه ، ودفن فى مكان مخصص للأطفال الذين يموتون دون تعميد : ومعنى ذلك أن طرد هذا المحروم من رحمة الكنيسة قد نفذ خفية . ولكنا لا ندرى مبلغ هذه الرواية من الصحة ، غير أنه مما لاشك فيه أن حقد المتنطعين قد لاحق موليير حتى بعد موته ، تدل على ذلك تلك المقطوعات الشعرية الصغيرة من مثل تلك التى تكتب على شواهد القبور ، والتى لا تزال محفوظة بمكتبة الأرسينال بباريس . وكلها تبعث بجثة « هذا النجس » الى نار الجحيم .

موليير امام النقد

موليير فى عصره

مات موليير ولم يكد يتجاوز الواحدة والخمسين من عمره . وبالرغم من توقف نشاطه بموته ، فان ماتركه لنا يكفى للحكم بأن ما ينطوى عليه هذا العمل من تنوع وروعة فى الروح الكوميدى وقوة فى تصوير الحقيقة الواقعة لايوجد له نظير فى أى زمان أومكان ، اللهم الا فى أعمال ارسطو فان هذا هو الحكم الذى يكاد يجمع عليه نقاد عصرنا الحاضر ومؤرخوه . ولكنه لم يكن حكم المجتمع الذى عاش فيه بأية حال . يقول السيد اميل هنرى Emile Henriot فى يناير من سنة ١٩٢٢ بمناسبة الذكرى الثلاثمائة لميلاد موليير : « ليست هناك مناسبة خير من مناسبة الكلام على موليير لمن يريد أن تكون لديه فكرة عن مقدار ماتصل اليه درجة الحقد والحماقة البشريين اذا كانت العبقرية هى التى تثيرهما ، وعن الثمن الذى يتحتم على صاحبها أن يدفعه فى سبيل وصوله الى القمة ، مادامت هناك قمة . » واذا كان قد أمكن كتابة مجلد ضخم عن أعداء موليير ، اذ أن أعداءه هم

انفسهم اعداء راسين ، يزداد عليهم اولئك الاعداء الذين كان يخلقهم هو لنفسه بعد كل مسرحية يمثلها ، من جراء نقده لهم ولعاداتهم وطبائعهم وسلوكهم ، وجعلهم اضحوكة الضاحكين فى مجتمعهم . وفى ذلك يقول بوالو : الجهل والخطأ كانا يأتيان الى مسرحياته الناشئة ، فى ثياب مركيزات وفساتين كونتيسات ، لكى يشنعا على احدى روائعه الجديدة ، ويهزا الرأس استنكارا فى اكثر المواضع جمالا »

وقد كان من الذين ناصبوا موليير العداء طوال حياته : المتحذلقات ، والمركيزات ، والمتظاهرون بالحنبلية والطهارة ، والمدعون ، ومحترفو التدين أو المغالون فيه ، يضاف اليهم (وربما كان هذا طبيعيا) معظم زملائه الحاسدين وغالبية النقاد ، فضلا عن المغالين فى نقاء اللغة وصفائها والمرهفين المتمسكين بأناقة الاسلوب وجماله الفنى البحت .

فما كادت تظهر المتحذلقات المضحكات حتى هب لمهاجمتها كبار « المنافقين والمنافقات من المنحلين والمنحلات » وغيرهم ممن هم أصغر منهم شأنا . ذلك أن الحذلقة لم تنته ، وأن انتصار موليير عليها فى سنة ١٦٥٩ لم يكن حاسما ولا نهائيا ، بدليل أن مسرح موليير ومثله مسرح راسين بأسرهما ليسا الا تاريخ المعارك مع المتحذلقات . ففى فترة مدرسة الزوجات مثلا ، كتب سوميز Soumaize الذى كان فى ذلك الوقت على رأس عصابة الدفاع عن الحذلقة يهاجم موليير قائلا : هـذا الرجل « الذى استخلص كل مجده من مذكرات جيوجورجو Guillot Gorgeu التى اشتراها من ارملته » . ومن أدلة ذلك ايضا أن موليير عاد الى نقد الحذلقة فى النساء العالمات ، ولـذلك ظلت الحذلقة لـه بالمرصاد طوال حياته ، بل وبعد مماته .

وكان المركيزات يظاهرون المتحذلقات . فقد كتب كاتب كان يعتبر المتكلم بلسان هذه الطبقة من النبلاء اثناء فترة ما ، يهاجم موليير ويتهمه عن سوء نية « بأنه لايحـترم الملك » بسخريته ممن يحيطون به ، بل لقد قيل إن البعض قد اعتدوا عليه بالأيدى .

وبالطبع ينضم إلى هذا الثنائى من الخصوم طائفة المرهفين المتظاهرين بالحنبلة الذين تجرح شعورهم النكتة الجارحة ، والمدعين والمدعيات ، الذين لا تعتبر المتحذلقات إلا

صنفا من أصنافهم ، فقد كانت المدعيات — على حد قول بلزاك ، قبل موليير بثلاثين عاما — تناقش قاعدة الوحدات الثلاث وغيرها . أما المرهفون المترفون ، فكانوا يرون أن موليـــير « فظ وسافل » فى كلماته وعباراته ويهاجمونه فى حياته الخاصة ويتهمونه بالزواج من ابنته ويطلقون لألسنتهم العنان فى الكلام على متاعبه الزوجية ، وأما المدعون فكانوا لا يكفون عن اتهامه بالسرقة من هذا الفنان أو ذلك .

ولكن المتعصبين فى الدين كانوا أشد الأعداء هجوما عليه وتجريحــــا له واستعـــداء السلطات ضده . وأقوال هذا الحزب وأفعاله الرامية إلى القضاء على موليير كثيرة لا تقع تحت حصر ، وكان بوسعنا أن نذكر منها بعض العينات لولا الخوف من اطالة لاضرورة ملحة لها . ويكفى أن نشير إلى أن هذا الحزب كانت تتصدره الملكة الأم ، على مالها من نفوذ فعال ، والكثيرون من كبار النبلاء ذوى السلطان ، وكل كبار رجال الدين تقريبا ، وقد كان تأثيرهم فى هذه الفترة كبيرا ، مما أدى إلى مصادرة ترتوف ودون جوان لمدد طويلة ، ومدرسة الزوجات لفترة قصيرة . وكل ذلك لا يدهشنا فى شئ ، ولكن الذى كان من شأنه أن يثير دهشتنا أن يستطيع موليير الصمود لولا مساندة الملك وبوالو اياه . ولعل الذى حدا بالملك إلى اتخاذ هذا الموقف ان موليير كان يقوم بتسليته ، وان ذوقه كان يتجه إلى المسرح الحقيقى ، كما كان مسرح موليير (وراسين) ، ولأنه بعد هـــذا وذاك ، بل قبل هذا وذاك ، كان من نفس الجيل الذى ينتسب اليـــه موليير وراسين وبوالو ، ويشعر شعورا قد يكون غامضا بأن مسرح موليير هو المسرح الجديد حقا ، الجدير بتحويل الفارسات الايطالية من تهريج سكارون Scarron وسيرانو Cyrano بل ومن تعقيدات بيير كورنى وأخيه توما كورنى ، إلى طـــريق جديد ســـليم .

أما بوالو فكان رجلا يتمتع بوضوح التمييز ، وأصالة الحكم ، والثقة فى النفس ، بقدر يجعل منه واحدا من أعظم النقاد الذين رآهم التاريخ البشرى ، وكان يجمع إلى ذلك سخاء القلب والعقل والروح . وقد عكف على ملاحظة موليير وتمعن فيه بهذه المواهب ، لذلك لم يلبث أن اتخذ جانبه ، وكان ذلك منذ اليوم الأول من يناير سنة ١٦٦٣ غـــداة

عرض مدرسة الزوجات ،فبعث اليه برسالة جد مشجعة ، نقتبس منها هذه الأبيات التى نترجمها فيما يلى .

عبثا يا موليير ، تحاول آلاف النفوس الحاسدة ، أن تشوه أجمل أعمالك : فان بساطته الساحرة ، ستظل إلى الأبد ، تنتقل من عصر إلى عصر لتسلية الأجيال اللاحقة . ماأرضاك حين تضحك ! ما أعلمك حين تمزح ! إن ذلك الذى استطاع أن يقهر نومانس Numance الذى فيما مضى أخضع قرطاجنة لقانونه ذلك الذي اطلق عليه اسم ، تيرانس هل يستطيع أن يمزح خيرا مما تمزح . ؟

ويقول المتخصصون فى دراسة المسرح الكوميدى فى فرنسا ان ذكر تير انس هنا انما اريد به ان المسافة التى تفصل بين بلوتس Plautus (ذلك المهرج السطحى) وبين تير انس هى نفس المسافة التى تفصل بين موليير من جهة وبين سكارون وغيره من « الاكروباتيين » الايطاليين من جهة اخرى .

وقد كان فى وسعنا ايراد الكثير مما قاله « بوالو » فى مدح موليير وتحليله ولكن ضيق المقام يجعلنا نكتفى باحالة القارئ الذى يريد الاستزادة الى كتاب بوالو . ولكن بوالو لم يلسق فى تقريظ موليير دون تحفظ أو نقد ، لأن هذا ليس من طبعه ، فقد سجل عليه بعض المآخذ ، ولكنها كلها لاتمس المكانة التى احتلها عنده موليير ، فهو فى نظره الكوميدى الأول ، بل الوحيد ، فى عصره ، وانما تتعلق فقط بالاسلوب ورشاقة النظم ورصانة التعبير كما سنرى بعد قليل .

لقد كان رأى « بوالو » فى عبقرية موليير هو رأى غالبية أدباء فرنسا فيه غداة موته حينما اخذوا يقيسون عظمته بالفراغ الهائل الذى تركه ولم يكن من الممكن سده . وفى ذلك يقول « لافونتين » فى ابيات كان يراد لها أن تكتب على شاهد قبره :

« تحت هذا القبر يرقد بلوتس وتيرانس ، ومع ذلك فان موليير وحده هو الذى فيه يرقد ، فان عبقرياتهم الثلاثة لا تكون غير عقل واحد ، هو الذى كانت فرنسا تستمتع

بفنه الجميل . لقد ذهبوا . وانى لقليل الامل فى ان أراهم مرة أخرى . فانى بالرغـــم من كل تطلعاتى وآمالى ، أرى كل المظاهر تدل على أن بلوتس وتيرانس وموليير قدماتوا ، ولزمن طويل . » ويقول عنـــه شابلان Chaplain (أديب معـــــاصر لموليير) : ان موليير نا ، تيرانس وبلوتس عصرنا . "ويكتب بيل Bayle (أديب معاصر)لاخيه الاصغر ، فيقول : « ليس فى القدامى من يفوق موليير فى الفن الكوميدى ، وأرجو ألا يشـــق ذلك على أرسطو فان وبلوتس وتيرانس . " واخيرا نرى أن بـــوسى Pussy (أديب معاصر) ، وهو الخبير الصارم ، لم ينتظر موت موليير حتّى يكتب عن أعمالـــه « انها تجل عن المقارنة » وأنه « أراد أن يحاكى تيرانس ، فتجاوزه » .

لذلك لم يكد يمر عامان اثنان على وفاته حتّى انعقد الاجماع على أن الفراغ الذى تركه لم يملأ . فيقول بيل فى نفس الخطاب الذى سبقت الاشارة اليه (وتاريخه ٨مارس ١٦٧٥) منذ أن رحل عنا موليير ، لم أر مسرحية كوميدية واحدة تستحق عناء قراءتها » . الى أن يقول : « نعم ان مؤلفى الاوتيل دى بورجونى لا يكفون عن امطارنا بالمسرحيات ، ولكن هؤلا مؤلفون بالممارسة ، اذا ما قورنوا بموليير . « وكلما تعاقبت السنون ازددا الناس شعورا بفراغ المسرح الكوميدى . وفى هذا الصدد يحكى البعض أن ماريشال كبير مات وترك وراءه ماريشالات آخرين فقيل « لقد ذهب ، وترك لنا « الفكة » . « ثـــم اضاف قائلا : ولكن موليير ذهب ولم يتركلنا حتّى « الفكة » ، أو كما قال بوالو : « بموته ، صرعت الكوميديا . »

سبق أن قلنا ان بوالو ، رغم اعجابه الفائق بموليير كمؤلف كوميدى ، لم يطره ويسهب فى الكلام عن فنه وعبقريته دون تحفظ . كذلك فعل كل المحافظين المتمسكين بنقاء العبارة ورشاقة الاسلوب واختيار الكلمة اللائقة والمجاز الأنيق. فنراه يقول فى اسلوبه : « موليير يفكر دائما تفكيرا سليما ، ولكنه لايكتب دائما اسلوبا سليما ، لانه يسرف فى اتباع البادرة الاولى بعبقريته المتأججة ،وليس لديه من الوقت ما يمكنه من مراجعة أعماله. » بل هناك من المرهفين عشاق نظرية الاسلوب وكفاية التعبير من يذهبون الى أبعد منذلك . فلابرويير La Bruyère الذى يعترف بأن موليير ينطـــــوى عـــلى شعلة العبقرية

والفطرية والفكاهة والتأثير الاخلاقي وغير ذلك مما لانجده لدى تورانس ، يقول عن أسلوب موليير فى شئ من القسوة : « لم يكن ينقص موليير الا أن يتجنب الرطانة والعجمة ، وان يكتب بأسلوب صاف نقى » ويقول فينيلون Fenelon : « انه يفكر جيدا ويتكلم فى غالب الاحيان سيئا : وما يقوله تورانس فى أربع كلمات ، وبكل بساطة وأناقة ، لايقوله صاحبنا هذا الا فى حشد حاشد من المجازات والاستعارات التى تقرب من اغراب الاعجام » .

كان من الممكن مناقشة هذه الآراء ، لولا خوف الاسهاب الذى لاتحتملـــه هذه المقدمة كما سبق ان قلنا ، فبالرغم من أنه لايمكننا أن ننكر أن موليير يقع احيانا فى متاهات عدم التناسق فى مجازاته ، أو التعقيد والقصور فى تراكيبه ، فانه هو نفسه يرد مقدما على أمثال لابروبير وفينيلـــون ، حين يشير فى نقد مدرسة الزوجات الى أن ما يؤخذ عليه من أخطاء أسلوبية ليست الا من سمات الشخصية التى يعالجها ، وتزيد فى صدق التصوير : يقول : أما عن عبارة . . . الاطفال من الاذن « فانها ليست فكهه الا بالنسبة لأرنولف . فالمؤلف لم يضع هذه العبارة باعتبارها جيدة فى حد ذاتها ، بل على أنها شئ يبين شخصية الرجل فقط » ويزيد فى تصوير غرابة أطواره ، مادمنا نراه يكرر تلك الحماقة التافهة ، التى فاهت بها أنييس ، باعتبارها أجمل شئ فى العالم ، وتدخل عليه بهجة لايمكن تصورها . »

لذلك لم يكن من الاسراف فى شئ أن رد البعض على لابروبير وغيره من المرهفين بأن « رطانة موليير المزعومة » قصد بها زيادة الاتقان فى تصوير الطبيعة ، وأن « الفلاح الساذج أو الخادم لايمكنها التكلم بالدقة التى يتكلم بها رجل يتطلع الى احتلال مقعد فى الاكاديمية » .

موليير فى القرن الثامن عشر

لا نقابل ، خلال القرن الثامن عشر ، أحدا ممن يعتد بآرائهم ، اتفق مع لابروبيـــير وفينيلون فى شدة الحملة على أسلوب موليير ، غير فوفينارج Vauvenargues الـــذى يقول : . . . . نجد لديه كثيرا من ضروب الاهمال ومن العبارات السوقية النابية وغير

الصحيحة ، حتى أنه لا يوجد أكثر منه بعدا عن الصحة إلا القليل من الشعراء . وهنـاك آخرون يأخذون على موليير بعض الهفوات الاسلوبية ولكنهم لا يذهبون الى حد تطرف فو فينـارج ولا برويير وأمثالها ، بل ويردون عليهم ، ومـن هـؤلاء مارمونتل Marmontel الذى يتفق مع لابرويير فى أن موليير لا يلتزم جانب الصحة دائمـا ولكنه لا يقبل منه اتهامه بالرطانة ، فيقول : « أى رطانة كان على موليير أن يتجنبها ! لاشك انها ليست رطانة المتحذلقات أو النساء العالمات فانها من جوهر موضوعها . وليست رطانة جورجيت وآلان (فى مدرسة الزوجات) اللذين تساعد لغتها على تشخيص سذاجتها القروية ، وتعمل على ابراز الجانب المضحك لدى من اتخذ منهما حارسين لأنييس . كذلك ليست تلك اللغة التى يجريها موليير احيانا على ألسنة رجال القصر والمجتمع الراقى، لأنه لا يحاكى غرائب لغتهم المتكلفة الا من أجل السخرية من هذا التكلف نفسه واثارة الضحك عليه . . . . الخ . واخيرا يتهم لا برويير بغيرة صاحب المهنة من رسام العـادات الاجتماعية الأول .

وكذلك يفعل فولتير الذى يتقمص روح عصره فى رده على فينيلون ، فيذكر أن بعض الناس يتسابقون فى تفضيل نثر موليير على شعره جريا وراء مطران كبريه (فينيلـون) الذى يبدو أنه كان يذهب هذا المذهب ، ويقرر أننا اذا استثنينا بعض ضروب الاهـمال القليلة – التى يحتملها العمل الكوميدى – وجدنا أن اعماله ملأى بالشعر الجيد الجميل الذى يرسخ فى الذاكرة بكل سهولة . ولم يترك فولتير مناسبة الا كان له فيها الثناء من جميـع الوجوه ، ومن ذلك قوله مخاطبا اياه فى قصيدته المسماه « معبد الذوق » : « لقد كنت رسام فرنسا : فبورجوازيونا ذوو الآراء البلهاء الخاطئة ، ومركيزونا الصغار المصـعرو الخدود ، وكبار موظفينا الذين هم دائمـا متأنقون ، كلهم يهرعون اليك للتعرف على أنفسهم ، وقد كان فى مقدورك اصلاحهم ، لو أن النفس البشرية كانت تقبل الاصلاح .

وهو اذا كان يأخذ عليه أنه نزل الى ذوق العامة فى فارساته التى يكفى ذكر اسـمها للدلالة على الروح الكوميدى الرخيص » فانه لا يلبث أن يضيف قائلا : « ان موليير لم يكن ليعتقد أن امثال غدرات سكابان والزواج بالاكراه تتساوى والبخيل أوترتوف أو

مبغض البشر أو النساء العالمات مثلا ، أو انها من نفس نوعها ، ولكن هذه الكوميديـــات الرخيصة كانت ضرورية لتوفير وسائل العيش لأفراد الفرقة .

وكذلك اذا كان يقول « بالرغم من أن موليير يعتبر احدى العجائب فى مجاله ، فانه لا يوجد لديه عقدة جوابه ولا حل موفق » فانه يلقى مسئوليته فى هذه الحال « على صعوبة الفن الدرامى » ، بل نراه يقول فى خطاب له الى احدى الصديقات على طريقته الرقيقة : « لقد قرئت لى اليوم احدى مدائح موليير التى ستدوم ما دامت اللغة الفرنسية : وهـــى ترتـــوف » .

ويذكر دالمبير D'Alembert فى خطابه التقديمى للأنسيكلوبيديا « أن موليـــــير بتصويره الرقيق لمضحكات العصر وعاداته قد تجاوز الكوميديا القديمة ببعيد » وبالرغم من أن روســـيو يعتـــبر أن مسرح موليير « مدرسة الرذائل والعادات القبيحة » ، فانه لم يستطع منع نفسه من اغداق مديحه على « اعظم مؤلف كوميدى عرفنا مؤلفاته » والذى هو « اول من يعجب بمواهبه » . وأشد ما يراه روسيو مستحقا اللوم لدى موليير هو اثارتــه الضحك من مبغض البشر ، لأنه — على حد قوله — كأنه يثير الضحك من روسيو نفسه ، لأنه هو مبغض البشر ! فهذا كلام شخصى وليست سلامة العقلية فوق الشبهات .

والحقيقة أننا اذا أردنا أن نسترسل فى ذكر آراء النقاد ورجال الأدب الفرنسيين فى القرن الثامن عشر فى موليير ، وتسجيل اطرائهم اياه رغم بعض الهفوات التى يأخذهـــا عليه البعض دون مساس بأستاذيته ، فاننا قد نملأ مجلدات كاملة . فالغالبية تجمع على أنـــه عبقرية خالقة ومشرعة ومتقننة فى مجالها . ويذهب البعض الى « انه اعمق واسمى وأكثر ابتكارا من اساتذة الدراما المشهورين فى أثينا وروما » (من خطاب لأندريه ليريتـــون فى الاكاديمية الفرنسية) وقد خلا ميدان الكوميديا طوال هذا القرن ممن يمكن أن يقارن انتاجهم بانتاجه أو يدانيه ، حتى لا نجد من يمكن أن يذكر اسمه مع اسم موليير الاماريفو مع بعد الشقة بينهما ، لان مسرح ماريفو لا يخلو من الافتعال والتكلف كما أن كوميديات موليير هى التى احتلت مكان الصدارة على خشبة المسرح طوال هذا القرن . بل يبدو كـــما يقرر سانت بيف ، ان اعظم انتصار لها كان فيما بين السنين ١٧٩٤ — ١٨٠٠ حيث كان

الناس قد تخلصوا من دكتاتورية روبسبيير ، وراحوا ، فى ثمرة الانطلاق والبهجة ، يبحثون عن الضحك والمرح ، اللذين كانوا قد فقدوهما منذ زمن ما ، فى المسرح الكوميدى بوجه عام ومسرح موليير بوجه خاص .

موليير فى القرن التاسع عشر

ظلت استاذية موليير سائدة خلال القرن التاسع عشر ، وان كان رومنسيو هذا القرن لم يستطيعوا فهمه كما فهمه فولتير وغيره من مفكرى القرن السابق . ولكنهم كانوا يتعاطفون معه ويقدرون عبقريته اكثر من أى كلاسيكى آخر . فبالرغم من أن دى موسيه يصف أعماله بالقتامة والسوداوية ، الا انه يعترف بعبقريته القائمة على صدق الحكم الفطرى ويثنى على « شموخه » و « بساطة اتساقه » ، واذا ما قارن بينه وبين كتاب عصره الدراميين « القرن التاسع عشر » « من صناع الدرامية الجارين وراء زى العصر ، نزل بهم الى الحضيض . »

أما فكتور هوجو فانه لم يضع اسمه فى تلك القائمة الغريبة التى ضمنها أسماء أربعة عشر شاعراً قال انهم اعظم عبقريات الشعر الذين رأتهم البشرية ، وجعل منهم القديس يوحنا والقديس بولس ، ولم يسلك بينهم من فرنسا غير « رابليه Rablais » . ولكنه يعتبر موليير ، كشيكسبير ، من جبابرة الكتاب . واستندال لا يكف عن قراءته والتعليق على كل مواضعه ، ويعترف بعظمته وان كان ينكر عليه الروح الكوميدى . ولعله لا يوجد احد من كبار نقاد هذا القرن وأدبائه لم يتناول موليير بالدراسة وازجاء الثناء ، وقل منهم جدا من تناوله بالنقد . وسنختار بعضهم ممن نعتقد أن اقوالهم فيه اكثر فائدة وأدق تحديدا ، لنذكر شيئا من كتاباتهم عنه . يقول سانت بيف : « اذا بحثت الأمم عن الكاتب الذى يمثلها خير تمثيل ، فان انجلترة تختار شكسبيرها وألمانيا جتياها ، أما فرنسا فلن تتردد فى اختيار موليير . » فكل شخص ينضم الى قائمة من يعرفون القراءة ، لا بد أن ينضم الى قراء موليير » ويقول : « هناك شئ واحد فى فرنسا لا يمكن للناس أن ينسوه أو أن يملوه ، وهو سماع المديح فى موليير . . . . ان حب موليير يجعل صاحبه بمعزل . . .

عن التعصب السياسي البارد ، الجاف ، القاسي ، الذى لا يعرف الضحك ويفوح بضيق الأفق ويجد الوسيلة لجمع كل انواع المرارة لخلطها وعجنها معا ، كما يجمع فى مذهب مر واحد كل أنواع الكراهية والحقد والقسوة من جميع العصور . . . حب موليير واعزازه معناه نفور المرء من كل تكلف فى اللغة والتعبير . . . . حب موليير معناه عدم الاستعداد لحب الأدب الزائف أو العلم الدعى . . . . معناه حب الصحة والاتجاه المستقيم للعقل لدى النفس ولدى الآخرين . » أما نيزار Nisard فيعتبر موليير سيد الكوميديا الفرنسية الذى لا ينازع ، ويقول عنه : « عبقرية لا يفيض لها معين ويجعل لكل نصيبه بنوع من التحرر لا نظير له ، يكتب للقصر والمدينة ، من أجل اولئك الذين فى مقدورهم ان يخرجوا بفائدة من متع المسرح ، واولئك الذين لا يذهبون اليه الا من أجل التسلية يكتب المسليات الخفيفة للجمهور والرائعة لذوى العبقرية ، لأمثاله ، يغطى بمسرحياته الحاضر والمستقبل ، فرنسا والعالم ، انه اكبر الاسماء فى مسرحنا بخصوبة عبقريته الخاصة به وثرائها ، تلك العبقرية التى لا بداية لها ولا نهاية والتى تنعش بالحياة فى آن واحد. تخطيطاته الاولى حيث كان لا يزال يبحث عن فنه ، ولوحاته الخالدة التى يصل فيها الى حدالكمال . لم يرد ظننا أى شاعر يفوقه خيالا أو حساسية أو عقلا ، أو من حيث الاتساق الكامل . أما غيره فمنهم من تغلب عليه احدى هذه الملكات على حساب غيرها،فيجلب على نفسه النقد لأن كفة العاطفة الحنون مثلا قد غطت ما عداها ، ومنهم من يسرف فى اتباع طريق العقل المنطقى ، أو يطغى على عمله الخيال المجنون . أما موليير فقد وفق بين جميع الأذواق . فاولئك الذين تهفو أذواقهم نحو حنان العاطفة ، لا يجدون أنه قصر فيها أو تجاوز الحد ومن يجنحون نحو الخيال لايعدمون ما يريدون وبالقدر الذى يريدون ، والذين يريدون المنطق فى كل مكان لا يفاجئون لحظة واحدة خارج حدود ما هو طبيعى وحقيقى . »

أما «تين» صاحب نظرية أن الفنان ليس الا نتاجا طبيعيا لبيئته وعصره وجنسه ، فانه يوجه كلامه عن موليير نحو بعض هذه النواحى ، ويشير الى قول الممثل الانجليزى كبل Kemble بن موليير يعتبر موطن الكوميديا نفسه ويوافقعلى أنه كذلك فى حدود كونه من ابناء القرن السابع عشر وفرنسيا ، ويضيف قائلا : « انه لم يفكر ، كما فكر ، الا باعتباره فرنسيا يخاطب فرنسيين من أهل المجتمع . إننا نذوق لديه متعنا القومية . . .

ويعطينا نماذج دون أن يتردى فى هوة الادعائية، دون أن يمس الجانب المأسوى ، دون أن يدخل فى مجاله الاحتفالية . وهذا النموذج هو الرجل السوى ، كما كانوا يسمونه فى ذلك الحين : فيلانت ، أرست ، كليتاندر ، اراست ، وليس هناك غير هؤلاء من يمكن أن يكونوا مصدر تعليم وتسليه لنا فى نفس الوقت . . . . وموليير يحس منذ الوهلة الاولى ما يصح أن يقال وما لا يصح أن يقال ، والى أى حد وبأى صورة وفى أى طريق ملفوف محدد يجب عليه أن يهيئ الحقيقة وزى العصر ، والى أى درجة يمكنه أن يرخى لنفسه العنان أو أن يتوقف ، وأى حد دقيق يفصل بين اللياقة والملق ، بين الصدق والحمق. ونراه يسير قدما على هذا الخط الرقيق دون ارتباك أو انخداع ، دون أن يفقد توازنه عن طريق الاصطدام ، دون أن يسمح لابتسامة الانسان المهذب الرقيقة أن تغادر شفتيه ، دون أن يعدم المناسبة لاستقبال خشونة جاره وخرقه بالضحكة المنبعثة عن طيب المزاج .

وأما سارسيه Sarcery الذى يحكم على العمل المسرحى فى أغلب الاحيان من وجهة نظر « المسرحية جيدة الصنع » فانه يعتبر موليير رجل المسرح الأول فى جميع العصور والأزمان . وهو ينافس فولتير فى اعتبار تارتوف « مسرحية لا نظير لها ، وانها أنجح مسرحيات موليير » بل انجح مسرحية فى أى بلد وأى زمن وأى نوع مهما كانت الصورة التى تقدم بها والمسرح الذى تقدم عليه « فنراه يقول بالحرف الواحد : « لم اشاهد تارتوف عشر مرات ، ولا عشرين مرة ، بل مئات المرات ، وفى كل مكان ، وعلى أشد المسارح خصوصية ، وأمام الجماهير من كل نوع . شاهدتها تمثل فى الاقاليم وفى مونمارتر Montmartre وفى سان كلو Sant Clud وفى مسارح لا اسماء لها من مسارح الضواحى ، رأيتها تمثل أمام مشاهدين من الواضح انهم لا يعرفونها ، وربما لم يكونوا قد سمعوا باسم موليير ، ولكنهم كانوا ينظرون اليها كما لو كانت احدى المسرحيات المألوفة لهم فى أحد مسارح العرائس ! وأستطيع أن أقول دون أن أخشى تكذيبا من أحد، ان الاثر كان رائعا فى كل الاحوال ، وأن الفصل الثانى كان يشيع البهجة فى جميع أنحاء الصالة ، والثالث تعلقت عليه أنفاس الجميع ، أما المفاجأة المسرحية فى الفصل الرابع فقد كانت انتصارا باهرا .

ويتكلم برونتيير Bruntière فيطنب فى الكلام عن طبيعية موليير برقته ودقتـــه المعهودتين ، ويقول : « ان موليير من فصيلة رابليه وفـــولتير ، حر العقل مثلهما ، مستقل المزاج ، وثنى الدين مثلهما ايضا ، واذا شئنا ، فانه مثلهما فى عبادة الطبيعة والبشرية ، فمن الذين يهاجمهم ، ومن الذين يهاجمونـــه ؟ انهم المتحذلقات : كاثوس ومادلـــون وفيلامانت ، هم المدعون : أورونت ، تريسوتان ، فاديوس . انهم ايضا المتحنبلون ... انهم الماركيزات والمتأنقات الغزلات ، والمتصابون العاشقون والمنافقون . . . و والمتصابون العاشقون والمنافقون . . . انهم كل اولئك الذين يمكن تسميتهم بالمضحكين الذين تنحصر نواحيهم الكريهة جوهرياً فى طلاء الطبيعة بالزغل أو فى تنكيرها أو فى تغطيتها أو فى الخروج بالطبيعة عن طبيعتها ، أعنى تشويههـــا .

وفى الواقع يمكننا أن نتساءل فعلا ، ما الحذلقة ؟ ، ما الادعاء ؟ ، انهما بلاشك تعنيان اشياء اخرى كثيرة ، ولكن بوجه خاص اولئك الذين يلبسون انفسهم طبيعة مصطنعة بدلا من الطبيعة الحقيقيـــة ، الطبيعـــة الوحيـــدة التى على حد تعبير الفلسفة الملييرية ، لا يمكن لنبضاتها أن تخدعنا مطلقـــاً . »

وكان شيرر Schérer قـــد كتب عـــن موليير يقول : « انـــه كاتب سيئ بما لايمكن أن يكون هناك أسوأ منه » ، وانه « ينقصه الاسلوب العضوى » . وهنا ينبرى برونتيير للرد عليه وعلى امثاله من حنابلة الاسلوب بما لا يستطيع أن يفعله الا ناقد فنان رقيق الحس ناضج الذوق كبرونتيير . وبين له أن الكوميديا ربمـــا لاتكون « مكان الاسلوب العضوى » وأنه « لو كتب موليير كما كان يكتب (تيرنس) لما كان الانصف موليير » ثم يوجه أطيب الثناء على أسلوب موليير من حيث أنه « درامى وكوميدى فى آن واحد » بمعنى أنه يطابق طبائع شخصياته وانه ايضا « بورجوازى ، مما يميزه عن أسلـــوب راسين » ، وانه « ثرى فى سماحة ، مما يميزه عن اسلوب رينار Regnard وأنه حى ، مما يميزه عن اسلوب بوالو ، الذى وان كان يجرى فى شرايينه نفس الدم ، إلا أنه « اسلوب كتاب » على أية حال .

وبهذه المناسبة لايفوتنا أن نشير الى ان الناقدين لاسلوب وليير قد قل عددهم كثيرا خلال القرن التاسع عشر ، كما سبق أن ذكرنا ، ولعل بعضهم – رغم جوانب عظمتهم – من اولئك المتطهرين الذين لو عاشوا فى عهد موليير لكانوا من المواد الصالحة لاشخاص مسرحياته. ومن هؤلاء القليلين تيوفيل جوتييه Théaphile Gautier الذى يذكر أن مسرحيته « مبغض البشر فى غاية السوء ، وانها رديئة الاسلوب ، ولكن جوتييه الذى لايهتم الا بتنميق الكلمات والجمل ، ليس ممن يعمل على آرائهم فى صدق الحكم . ومنهم ايضا رينان الذى يهاجم مسرحيات موليير أسلوبا وموضوعا ويعتبرها « سوقية وغير اخلاقية وضارة » .

ولكن ، مهما يكن من شئ ، فان موليير فى القرن التاسع عشر ، ولاسيما فى ثلثه الأخير يحتل مكان الصدارة . واذا كانت الحركة الرومانسية قد وجهت الاهتمام نحو الدرامة ، فانها لم ترض عن ضروب التجديد التى ادخلت على الكوميديا عن طريق لابيش وأترابه والتى انتهت بها الى الفودفيل Vaudeville ولذلك لم يبق فى ميدان الكوميديا إلا موليير، وموليير وحده الذى كانت تحتل مسرحياته خشبة المسارح الكوميدية طوال العام .

موليير فى القرن العشرين

لم يكن حظ موليير من الدراسة والنشر والعرض خلال القرن الذى نعيش فيه ولاسيما فى العقود الاخيرة منه ، بالشئ القليل . فقد نشر عنه عدد لابأس به من الدراسات الكبيرة الجادة الاكاديمية ، من بين مؤلفيها : ابــل ليفران Abel Lefradc وجوستاف ميشــو Georges Magrédien ورينيه بريــه René Bray ورينيه جاسنســكى René Jesenskei وجورج مجربيــان Georges Magreedien وغيرهــم ، هذا فضلا عن الفصول الخاصة فى كتب تاريخ الأدب العامة ، والبحوث الصغيرة والمحاضرات التى يعتبر بعضها على درجة كبيرة من الاهمية . وقد قدم موريس دونى Maurice Donnay

حياة موليير العاطفية على المسرح بعد أن حولها الى بناء درامى باسم حياة موليير الزوجية Ménage de Molière كما قام ساشاجيترى عملاق المسرح الفرنسى تمثيلا واخراجا وتأليفا خلال الثلث الثانى من هذا القرن ، بتقديم عرض لتارتوف مبنى عـلى تفسير جديد كل الجدة أصيل كل الاصالة ، انهال عليه جميع الباريسيين لمشاهدته والاستمتاع به ، ولم يكن يخلو موسم من مواسم جوفيه أو ديلان المسرحية ، كما لايخلو موسم من مواسم جان لوى بارو من احدى مسرحيات موليير الكبيرة : مدرسة الزوجات ، البخيل نه المتحذلقات ، تارتوف ، مبغض البشر ، الخ . أما مسرح الكوميدى فرانسيز ، فإنه ، لا يزال يعتبر موليير احد اعمدته ، بل ركيزته الاساسية ، لذا لا يمر موسم مسرحى لاتعرض فيه اكثر من مسرحية لموليير .



مقدمة طبعة ١٦٨٢ (١)

لمؤلفات السيد دي موليير كاملة

هذه طبعة جديدة لمؤلفات المرحوم السيد دى موليير ، تضم سبع مسرحيات اخرى غير موجودة فى الطبعات السابقة (٢) ، كما انها اصح من تلك الطبعات التى ترك فيها اهمال الطابعين كمية من الأخطاء الخطيرة التى تصل الى حد حذف أو تغيير الأبيات فى كثير من المواضع . وسيجدها القارئ مصححة فى هذه الطبعة ، وليست هذه بالخدمة الضئيلة التى يقدمها للجمهور أولئك الذين قاموا بهذا العمل ، اذ أن الجموع الضخمة التى لا تزال ترى كل يوم فى عروض كوميديات هذا المؤلف ذائع الصيت كثيرا ما أعلنوا عن سرورهم من أن يروها سليمة نقية . ويمكن القول بأنه لايوجد أحد قط استطاع خيرا منه أن يحقق المبدأ القائل بأنه ينبغى للكوميديا أن تكون مصدرا للتعليم وهى تقوم بالتسلية . فهو حين سخر من مثالب الناس ، علمهم كيف يتخلصون منها ، ولعلنا كنا نرى اليوم نفس الحماقات التى استهجنها سائدة ، لو لم تصبح الصور التى رسمها على الطبيعة مرايا يتعرف فيها كل من مثلهم على نفسه . وقد كانت سخريته رقيقة ، اذ كان يعرضها بصورة تبلغ من الرقة حدا يجعل المقصودين بها يضحكون هم انفسهم من الأمور المضحكة

(١) صدرت هذه الطبعة ومعها تلك المقدمة من دار « تيرى » Thiery للنشر فى ثمانى مجلدات ، وهى من اعداد فينو Vinot ولاجرانج La Grange الأول صديق حميم لموليير ، والثانى واحد من خير ممثلى فرقته .

(٢) هى : دون جارس دى نافار ، دون جوان ، ارتجالية فرساى ، العشاق الفخماء ، كونتس اسكاربانيا ، المريض الواهم ، ميليسرت .

التى يكشف لهم عنها فى أنفسهم ، بدلا من أن يمتعضوا لها ، وذلك مهما كان من لـــذع الهجـــاء الموجه اليهم . كان جـــان باتست بوكلان . وكان باريسيا ، ابنا لخادم الملك الخاص ومتعهد توريد بسطه [1] وقد منح وراثة : هذا اللقب منذ حداثته ، وظل يمارسه فى حيه منذ ذلك الحين حتى موته . وفى مدرسة كليرمون أتم جان باتست دراساته فى الأدب واللغات القديمة [2] ، ولما كان من حسن طالعه أن تبع المرحوم السيد الأمير دى كونتى [3] فى كل رحلات صيده ، فان توقد ذكائه الذى ميزه على جميع من عداه ، جعله موضع الاحترام والتقدير من جانب هذا الامير الذى كرمه دائما برعايته وحمايته . وكان نجاحه فى دراسته جديرا بما كان ينتظر من عبقرية مثل عبقريته. وهو اذا كان قد تضلع فى الآداب واللغات، فانه أيضا قد صار فيلسوفا كبيرا . أما انجذابه نحو الشعر ، فقد جعله يعكف عـــلى قراءة الشعر بعناية خاصة وكان يتقنه بصورة تامة ، ولا سيما « تيرانس » Terence الذى اختاره على أنه أتم نموذج يمكنه العثور عليه ، ولم يحـــدث لأى شخص أن أحسن فى محاكاته بمثل ما فعل موليير [4] . وأولئك الذين يدركون جميع ضروب الجمـــال

---

(١) هذا هو ما ورد فى شهادة التعميد : « فى يوم السبت» الخامس عشر من شهر يناير سنة١٦٢٢ ، عمد جان ، ابن جان بوكلان ، تاجر البسط ، ومارى كريسية زوجته ، اللذين يقيمان فى شارع سانت أوفوريه ... الخ .

(٢) مدرسة كليرمون تشغل نفس المكان الذى تشغله الآن ليسيه لويس الكبير .

(٣) قيل انه كان من بين اساتذة موليير : جساندى ، وبرنييه الابيقورى ، وشابل ، الخ .

(٤) يذكر نيقولا دى ترالاج Nicolas de Tralage ان موليير ترجم ايضا بعض فقرات من « لوكريس » ولكـن الناشر تييرى « وجد انها ضـد خلود الروح بصـــورة صارخة » فأخبر فينوولا جرانجبانه يرفض نشرها . (مخطوطة مكتبة الارسينال رقم ٤ ، ص ٢٢٦) .

في مخيله أو مفترونه يقرون أنه تجاوز «بلوتس» في هذه وفي تلك . وقد اختار موليـــير مهنة التمثيل لدى اتمام دراسته في مدارس الحقوق ، تبعا لميله الذي لا يقهر نحو الكوميديا. فان كل دراسته ونشاطه كانا من أجـل المسرح . ونحن نعرف كيف تفوق ، ليس في مجال التمثيل فقط ، بمواهبه التي لا نظير لها ، بل ايضا في ميدان التأليف بهذا العدد الكبير من المسرحيات التي تركها لنا ، والتي لكل منها جمالها الذي يتناسب مع الموضوع الذي اختاره لهـــا .

لقد حاول في سنيه الأولى أن يستقر في باريس مع عدد من ابناء الاسر الذين اقتدوا به في الانخراط في سلك الكوميديا باسم « المسرح اللامع » [1] . ولما كانت هذه الخطة قـد فشلت[2] (الامر الذي كثيرا ما يحدث للمشروعات الجديدة) ، فقد اضطر التطـواف بأقاليم المملكة[3] ، حيث بدأ ينال شهرة واسعة جدا .

وقد ذهب الى « ليون » ، حيث عرض اولى كوميدياته ، وهي « المخبول » . ولما كان قد تصادف أن وجد نفسه ، في وقت ما بالقرب من لنجدول ، فقد ذهب لعـرض خدماته على السيد أمير كونتي ، حاكم هذا الاقليم ونائب الملك في « قطلونيا » . وهـذا الأمير الذي كان يقدره اذ ذاك لم يكن يحب شيئا حبه للكوميديا ، فاستقبله بعلامات الطيبة والترحاب ، ومنح الرواتب لفرقته ، واتخذها لخدمته ، سواء فيما يتعلق بشخصـه[4] أو بولايات لنجـدول ،

---

(١) اسس « المسرح اللامع » في السادس عشر من يونية سنة ١٦٤٣ من آل بيجار وموليير وبيس وجرمان كليران وبونانفان وبينل ومادلين مالانجر وكاترين ديزوريليس .

(٢) لعبت الفرقة في ملعب ميتييه للتنس ، شارع مازارين ، سنة ١٦٤٤ ، وفي ملعب الصليب الاسودللتنس ، بسان بول ، سنة ١٦٤٥ .

(٣) نجد موليير وفرقته على التوالي في :آجان ، تولوز آلبي كركاسون ، نانت ، تولوز ، ناربون آجان ، بيزناس ولاية فيين ،كركاسون ،جرونوبل ، ليون ، متبلييه . ليون منلبييه ، ليون ، افينون ، بيزناس ، ناربون ، بوردو ، بيزييه ، ليون ديجون ،افنيون ، ليون ، جرونوبل ، روان ، باريس (١٦٤٥ — ١٦٥٨) .

(٤) في قصر « لاجرانج — أو — بريه » ، بجوار بيزناس .

المسرحية الثانية للسيد دى موليير مثلت فى ولايات بيزييه باسم « الحب الخائب »[1]
وفى سنة ١٦٥٨ نصح أصدقاؤه بالاقتراب من باريس عن طريق الذهاب بفرقته الى مدينة مجاورة ، اذ أن ذلك كان الوسيلة الوحيدة للاستفادة من التقدير الذى كانت مواهبه قد أهلته له لدى بعض الاشخاص ذوى المكانة الذين كانوا يهتمون بمجده ، ووعدوه بتقديمه للقصر . وكان قد أمضى فترة المهرجان فى جرونوبل وغادرها بعد عيد الفصح حيث ذهب الى روان للاستقرار فيها . فأقام فيها فترة الصيف ، وبعد عدة رحلات قام بها الى باريس فى السر ، حيث ساعده الحظ فى جعل « السيد » الأخ الوحيد لصاحب الجلالة ، يضمه الى خدماته ، ويمنحهم حمايته ولقب « فرقة السيد » ، وبهذه الصفة قدمه للملك والملكة الأم .

وعلى الفور سافر زملاؤه[2] الذين كان قد تركهم فى « روان » ، وفى الرابع والعشرين من أكتوبر سنة ١٦٥٨ كانت هذه الفرقة تلعب أمام صاحب الجلالة والحاشية بأسرها على مسرح كان الملك قد أمر باقامته فى صالة الحرس من قصر اللوفر القديم. وكانت مسرحية نيكوميد Nicomède للسيد كورنى الكبير هى المسرحية التى اختارتها الفرقة لهذه البداية اللامعة . وقد سر الجميع من هؤلاء الممثلين الجدد ، واعجبوا بوجه خاص ، بلطف النساء وتمثيلهن . وحضر الممثلون المشهورون[3] الذين كانوا يتألقون على مسرح الاوتيل دى بورجونى L'Hôtel de Bourgogne فى ذلك الوقت . وما أن انتهت المسرحية ، حتى خرج السيد دى موليير على المسرح ، وبعد أن شكر جلالته فى عبارات جد متواضعة على طيبته فى التغاضى عن عيوبه وعيوب فرقته التى لم تقف أمام هذا الحشد الجليل الا وهى ترتعد ، قال له ان الرغبة القصوى التى كانت لديهم فى ان يحظوا بشرف تسلية أعظم ملوك العالم ، جعلتهم ينسون ان فى خدمة جلالته فنانين أصلاء ممتازين[4]

---

(١) ديسمبر سنة ١٩٥٦ .

(٢) زملاؤه فى ذلك الحين كانوا : آل بيجار الأربعة ، دى برى ومادلين دى برى ، دى بارك ومادلين دى بارك ، ديفرين ، كروازاك .

(٣) مونتفلورى وفلوريدور وغيرهما .

(٤) انظر الهامش السابق .

ليسوا هم الا نسخا ضئيلة الشأن منهـــا ؛ ولكن لما كان جلالته قد تفضل بتحمـــل طباعهم الريفية ، فانه يتوسل اليه بكل تواضع بأن يرضى عن هذه الضروب الصغيرة من من التسلية[1] التى قدمها اليه والتى أضفت عـــلى الفرقة بعض الشهرة ، وكان يمتع بهـــا اهـــل الاقاليم .

هذه التحية التى لم نورد منها الالبها كان لها أطيب الأثر ، واستقبلت استقبالا حميدا ، حتى لقد صفقت لهـــا الحاشية بأسرها ، التى كانت قد صفقت أكثر من ذلك الكوميديا الصغيرة التى قدمتها الفرقة ، وهى كوميديا الطبيب العاشق. وهذه الكوميديا التى تتكون من فصل واحد وبعض الكوميديات الاخرى التى من قبيلها لم تطبع ، لأنه كان قد كتبها على أساس بعض الافكار المسلية دون أن يتناولها باللمسات الاخيرة ، وكان قد وجد من الخير أن يحذفها من أعماله ، ما دام هدفه من كل كوميدياته ينحصر فى حمل الناس على تقويم عيوبهم . ولما كان قد مر وقت طويل كف فيه الناس عن الكلام فى الكوميديات الصغيرة ، فقد بدا لهم هذا الابتكار وكأنه شئ جديد ، ومن ثم فقد كان شأن الكوميديا التى قدمت فى ذلك اليوم أن تمتع الناس جميعا بقدر ما أثارت دهشتهم . وكان السيد دى موليير هو الذى يقوم بدور الدكتور ، وقد اسبغت عليه الطريقة التى مثل بها هذه الشخصية من عظيم التقدير ، ما جعل صاحب الجلالة يصدر أوامره باستقرار فرقته فى باريس . فمنحها حق العرض فى قاعة « البوربون الصغير »[2] بالتبادل مع الممثلين الايطاليين[3] . وبـــدأت هذه الفرقة التى كان رئيسها السيد دى موليير والتى اطلق عليها فرقة « السيد » كـــا سبق

(١) الى جانب الطبيب العاشق ، يجب أن نعد بين هذه المسليات الصغيرة : الاطباء الثلاثة المتنافسون ، الطبيب المدعى ، معلم المدرسة ، رينية البدين تلميذا ، جورجيبوس فى الصيدة ، وكذلك : غيرة الملطخ والطبيب الليص .

(٢) يقع مكانها الآن فى مقابلة كنيسة « سان جرمان لوكسروا » وكانت تحتوى على « مسرح ارتفاعه ستة اقدام ، وعرضه ٨ قامات (القامة حوالى مترين) وعمقه ٨ قامات ايضا » .

(٣) فرقة تريفلان دى سكاراموش Trivelin de Scaramouche

أن قلت ، بدأت تقدم عروضها للجمهور فى الثالث من نوفمبر سنة ١٦٥٨ حيث قدمت من المسرحيات الجديدة ، المخبول والحب الخائب اللتين لم تكونا قد مثلتا فى باريس من قبل.

وفى سنة ١٦٥٩ قدم السيد دى موليير كوميديا المتحذلقات المضحكات ،التى حازت من النجاح ماتجاوز كل آماله . ولما كانت هذه المسرحية تتكون من فصل واحد ، وتقدم بعد مسرحية اخرى من خمسة فصول ، فقد حدد لمشاهدتها السعر المعتاد[1] فى اليوم الأول من عرضها ، ولكنه حين رأى ما حظيت به من اقبال وتصفيق، ضاعف سعر الدخول فى الأيام التالية : وكان لذلك أطيب الأثر بالنسبة لمجد المؤلف ومصلحة الفرقة.

وفى السنة التالية عرض الديوث بالوهم ، وكان لها من النجاح بقدر ماكان للمتحذلقات

وفى شهر اكتوبر من السنة نفسها ، هدمت قاعة البوربون الصغير من أجل أن يقام مكانها ، مدخل اللوفر ذو الأعمدة ، ذلك المدخل العظيم الفخم الذى يعجب به جميع الناس فى أيامنا هذه . وكانت هذه فرصة أخرى أمام السيد دى موليير للجوء من جديد الى كرم الملك الذى منحه قاعة « الباليه رويال Plais Royal التى كان السيد الكاردينال دى ريشيليو يقيم فيها حفلات تمثيلية تليق بهائه[2] . وأخذ التقدير الذى كان يشرفه به صاحب الجلالة يزداد يوما بعد يوم ، وكذلك تقدير اكثر رجال الحاشية استنارة ، ذلك أن مهارة السيد دى موليير وصفاته السامية كانت تحرز تقدما عظيما لدى جميع النفوس . فلم تكن ممارسته التمثيل تمنعه من خدمة الملك فى وظيفة خادمه الخاص ، حيث كان يثابر على الذهاب بصورة منتظمة . وعلى هذا النحو عرف فى الحاشية بأنه رجل مهذب أمين ، لايحاول الوصول الى منفعة عن طريق كفاءته ومكانته ، ويكيف نفسه بمزاج اولئك الذين هو مضطر للعيش معهم ، وأنه سخى حلو الروح ، وبالاختصار كان يتمتع بجميع الصفات التى تجعل منه بحق رجلا سويا .

---

(١) خمسة عشر صولديا للصالة .

(٢) افتتحت قاعة الباليه رويال فى الرابع عشر من يناير سنة ١٦٤١ باول عرض لمسرحية ميرام Mirame للديماريه Desmarets .

وبالرغم من انه كان حلو الحديث حين يعجبه من يحادثهم ، فانه كان لايكاد يتكلم فى المجالس ، الا اذا وجد نفسه مع اشخاص يحظون فى نفسه بتقدير خاص . وكان ذلك يجعل من لايعرفونه يصفونه بأنه حالم وسوداوى . ولكنه كان لايتكلم الا حقا ، هذا فضلا عن أنه كان يلاحظ سلوك جميع الناس وعاداتهم . وبعد ذلك كان يجد الوسيلة لاستخدامها بصورة رائعة فى مسرحياته ، حيث يمكننا القول بأنه مثل فيها جميع الناس ، وكان هو نفسه أول من مثل نفسه فى مسائل عائلية تتصل بما يجرى فى بيته . وهذا ما لاحظه اصدقاؤه المقربون مرات كثيرة .

وفى سنة ١٦٦١ قدم موليير كوميديا « مدرسة الأزواج» وكوميديا « المزعجون » ، وفى سنة ١٦٦٣م « مدرسة الزوجات » و« النقد » ثم عدة مسرحيات اخرى جلبت الكثير من الشهرة ، حتى أن صاحب الجلالة الذى قام فى سنة ١٦٦٣ بترتيب معاشات لعدد من رجال الأدب ، جعله من بينهم ، وقرر له ألف فرنك فى العام .

وكثيرا ما كانت الفرقة التى تمثل كوميدياته تستخدم فى تسلية الملك ، حتى ان جلالته رأى من الصالح فى شهر اغسطس من سنة ١٦٦٥ أن يوقفها على خدمته ، وقرر لها معاشا سنويا قدره سبعة آلاف جنيه[1] . وذهب السيد دى موليير والكبراء من زملائه الى « السيد» لأخذ الاذن منه وشكره فى عبارات جد متواضعة على ما أولاهم به من حماية واكرام .

وقد هنأ صاحب السمو الملكى نفسه على حسن اختياره الذى يدل عليه أن الملك وجدهم جديرين بالإسهام فى تسليته ، ولاسيما فى جميع الأعياد الجميلة التى كانت تقام فى فرساى وسان جرمان وفونتينبلو وشمبور ، وفى الوقت نفسه اظهر لهم هذا الأمير من البينات مايدل على استمرار تقديره لهم .

وقد غيرت الفرقة اسمها واتخذت لها اسم « فرقة الملك » الذى احتفظت به إلى أن حدث ضم الفرق المسرحية فى سنة ١٦٨٠ .

---

(١) يقع فيينوولا جرانج هنا فى خطأ بسيط . فان المعاش كان فى أول الأمر سته الاف جنيه ، ولم يرفع الى سبعة الاف الا سنة ١٦٧١ .

وبعد ارتباط الفرقة بصاحب الجلالة استمر السيد دى موليير فى تقديم عدة مسرحيات من أجل إمتاع الملك ومن أجل تسلية الجمهور على السواء ، وبذلك حصل على تلك الشهرة السامية التى لابد وأن تخلد ذكراه .

وليست كل مسرحياته فى درجة واحدة من الجمال ، ولكن يمكننا القول بأن اقل هذه المسرحيات شأنا تنطوى على سمات لايمكن أن تخرج الا من يد استاذ عظيم ، وأن تلك التى توصف بأنها احسنها ، مثل مبغض البشر وتارتوف والنساء العالمات وغيرها ، لايمكننا أو نوفيها حقها من الاعجاب بها .

والسبب فى عدم تساوى هذه المؤلفات التى يبدو الاهمال فى بعضها اذا قورنت بالبعض الآخر ، أنه كان يضطر لاخضاع عبقريته لموضوعات تفرض عليه ، وكان يعمل بعجلة شديدة ، سواء أكان ذلك بأوامر الملك أو لضرورة شئون الفرقة ، دون أن يصرفه هذا العمل عن الانتظام التام والدراسات المخصصة لجميع الأدوار الكبيرة التى كان يضطلع بها فى مسرحياته . ولا شك انه لم يوجد قط مثله من يستوعب فى نفسه كل ما يكون لعب المسرح الساذج . وقد اعتصر جميع المواد التى رأى من الممكن لها أن تزوده بأى شئ ، واذا كان النقاد لم يرضوا كل الرضا عن الحل فى بعض مسرحياته ، فان ضروبا كثيرة من الجمال قد اسرت عقول سامعيه وجعلت من اليسير عليهم ان يتغاضوا عن تلك الهنات الطفيفة .

واخيرا ، فى عام ١٦٧٣ وبعد أن نجح فى كل المسرحيات التى عرضها ، قدم مسرحية المريض بالوهم التى اختتم بها حياته فى الثانية والخمسين . وفيها يلعب بالأطباء كهيئة ، بعد أن لعب بهم افرادا فى عدد من مسرحياته الاخرى التى كان لا يعدم وسيلة لادخالهم فيها ، وهذا ما جعل الناس يقولون ، ان الاطباء كانوا بالنسبة لموليير ما كانه الشاعر الهرم[1] بالنسبة لتيرانس .

وحين بدأت عروض هذه المسرحية الممتعة ، كان موليير مريضا ، بالفعل ، بالتهاب رئوى جعله يعانى كثيرا ، حيث ظل تحت وطأته عددا من السنين . وكان قد لعب نفسه فى هذا العرض فى الفصل الثانى من مسرحية البخيل حيث يقول أرباجون لفروزين : « ليس

(١) اشارة الى لوسيليوس Lucilues « الشاعر الهرم الخبيث » .

عندى متاعب شديدة ، والحمد لله ، لا يوجد لدى الا التهابى الرئوى الذى يعاودنى من حين لحين » ، وترد عليه فروزين قائلة : « التهابك الرئوى لا يضيرك فى شىء » ، فانت تحب السعلة » ومع ذلك فان هذه السعلة هى التى اقتطعت من حياته عشرين عاما . ومع ذلك فانه كان متين البنيان ، ولولا هذا الحادث الذى لم يكن له علاج ، لساعدته قواه على التغلب على مرضه .

فى اليوم السابع عشر من فبراير ، يوم العرض الرابع للمريض بالوهم اشتدت عليه وطأة الالتهاب الرئوى ، حتى انه لم يستطع القيام بدوره الا بكل عناء ، ولم يكله الا بتحمل اشد الآلام ، وقد فهم الجمهور بسهولة ، ان الأمر لا يتعلق بأقل مما أراد موليير تمثيله. والواقع انه لم يكد ينتهى من المسرحية حتى رجع الى بيته فورا (١) ولم يكد يتمدد فى فراشه حتى تضاعفت شدة السعلة التى كان يعانى منها . وكانت الجهود التى بذلها من الشدة بحيث أدت الى انفجار شريان فى الرئتين . وحينما شعر بأنه فى هذه الحال اتجه بكل فكره الى السماء ، وبعد لحظة فقد النطق ، ولم تمض على ذلك نصف ساعة حتى كان قد اختنق بسبب غزارة الدم الذى فقده من فمه .

وقد أسف الناس جميعا على رجل بهذه الندرة ، ولا يزالون يأسفون عليه فى كل يوم ، ولا سيما اولئك الذين يتمتعون بحسن الذوق وارهاف الحس . لقد سموه تيرانس عصرنا ، وهذه الكلمة وحدها تنطوى على كل ما يمكن تقديمه اليه من مديح . فانه لم يكن فقط يجعل من المحاكاة متعة فى طريقة دعمه لكل شخصيات مسرحياته ، بل أيضا كان متعة من نوع لا نظير له بالدقة التى كان يفرضها على الممثلين فى تمثيل أدوارهم . فخلجة العين والخطوة ، والاشارة ، كل ذلك كان يراعى بدقة لم تكن تعرفها مسارح باريس حتى ذلك الحين .

وبعد موته الذى تنوعت فيه الاقوال ظهر عدد كبير من المراثى أو مقطوعات الشواهد القبرية . ومعظمها يدور حول الأطباء الشامتين ، الذين ادعى البعض انهم تركوه يموت دون انقاذ لبغضهم اياه بسبب اجادته اللعب بهم فى كوميدياته . وكان أكثر ما قيل حول

---

(٢) فى بيت كان يقع مكان المنزل رقم ٤ حاليا فى شارع ريشلييه .

هذا الموت قبولا لدى الناس تلك الابيات الاربعة المكتوبة باللاتينية [1] والتي لا نرى بأسا من اثباتها هنا . وسيلاحظ القارئ أن المريض بالوهم الذى كان يمثل دوره هـــذا المؤلف الممتاز ، يقلد الميت فى آخر المسرحية .

هذا القدر ، هو مستودع ما بقى من موليير .
كان يتخذ من اللعب بالبشر ألعوبة لـــه .
فلما اراد أن يلعب الموت ، مر من بين يدى الموت .
والآن ، هذا القاسى ، لقد سلبه النور .

وبعد موت السيد دي موليير ، رئى أن تكون فرقة واحدة من تلك التى فقدت رئيسها اللامع والممثلين الذين كانوا يشغلون الأوتيل دىبورجونى L'Hôtel de Bourgogne ولكن لمـــا لم يمكن التوفيق بين مصالح الأسر المسرحية المختلفـــة ، توجهوا بالرجاء الى صاحب الجلالة بأن يتكرم بترك الفرق منفصلة ، كما كانت . وقـــد أجيبوا الى طلبهـــم شرط التخلى عن قاعة الباليه رويال التى خصصت لتمثيل الأوبرات الموسيقية . فاضطـــر هذا التغيير زملاء السيد دى موليير ان يبحثوا لهم عن مكان آخر ، واستطاعوا أن يستقروا باذن الملك وبناء على أوامره ، فى شارع مزرينى Mazarini [2] ، فى نهاية شـــارع جينجو Guénégaud ، محتفظين باسم فرقة الملك .

وكانت بدايات هذه المؤسسة بدايات موفقة ، والتوالى ممتازة ، لأن الممثلين زمـــلاء السيد دى موليير اتبعوا قواعد مؤسسهم العظيم ، وحافظوا على شهرته بصورة مرضيـــة للجمهور ، حتى راق للملك ، فى النهاية ، أن يضم اليها جميع الممثلين والممثلات الذيـــن كانوا فى الفرق التمثيلية الاخرى الموجودة فى باريس . فاندمج فيها ممثلو الماريه فى ســـنة ١٦٧٣ ، بناء على رغبات صاحب الجلالة ، وألغى هذا المسرح نهائيا بناء على قرار مـــن السيد « دى لارينى » de la Reynie ، قائـــد عـــام الشرطة ، صدر فى الخامس والعشرين من يونية من السنة نفسها .

(١) قائل هذه الابيات « هو باشو » Bachot

(١) كان فى ذلك الحين يسمى شارع « فوسية دى نيل » Fossés de Nesles
وهو الآن شارع مزارين Mazarine

أما ممثلو الاوتيل دى بورجونى الذين كانوا يسمون منذ سنين عديدة بالفرقة الملكيـــة الوحيدة ، فقد انضموا الى فرقة الملك فى الخامس والعشرين من اغسطس سنة ١٦٨٠ ، وكان ذلك بقرار اصدره فى شارلفيل Charleville بناء على أمر صاحب الجلالة ، السيد الدوق دى كريكى de Créquy ، حاكم باريس ، وقد عضد القرار بخطاب مختوم بتاريخ ٢١ اكتوبر [1] .

وكان ضم الفرقتين هذا الذى جعل الايطاليين يستأثرون بمسرح الاوتيل دى بورجونى ، مما بعث السرور فى نفس صاحب الجلالة ، خصوصا وان هذه كانت رغبته بعد مـــوت السيد دى موليير مباشرة ، كما سبق أن بينا . ولم يعد الآن فى باريس غير فرقة واحدة ، هى فرقة ممثلى الملك التى يتعهدها جلالته . وهى مستقرة فى قصرها بشارع مزارينى ، وتقدم عرضها كل يوم دون انقطاع فى هذه المدينة الجميلة ، بعد أن لم يكن هناك نشاط مسرحى الا ثلاثة أيام فى الاسبوع ، هى أيام الثلاثاء والجمعة والأحد ، وكان الأمر دائمـــا على هذه الحـــال [2] .

وتتكون هذه الفرقة من أفراد عديدين ، الى حد أنه كثيرا ما يوجد عرض فى القصر وفى باريس فى نفس اليوم ، دون أن يشعر القصر او تشعر باريس بهذا التقسيم ، وقـــد اصبح التمثيل خيرا من ذى قبل ، اذ يجتمع فى الفرقة كل الممثلين الجيدين معا ، ســــواء أكان ذلك بالنسبة للتمثيل الجاد أم بالنسبة للتمثيل الكوميدى .

---

(١) وهكذا تاسست « الكوميدى فرنسيز » La comédie Francaise

(٢) الا فى النادر جدا .

الجزء الأول

مدرسة الزوجات

كوميديا

مثلت للمرة الاولى على مسرح
الباليه رويال في السادس والعشرين
من ديسمبر ١٦٦٢ وقامت بتمثيلها
فرقة السيد، الأخ الوحيد للملك

L'ECOLE DES FEMMES

مقدمة مدرسة الزوجات

للمترجم

يرى الكثيرون من النقاد ان « مدرسة الزوجات » ترتبط بمدرسة الأزواج بوشائج نسب شديدة . ففى كلتا المسرحيتين يدور الأمر حول التربية ، تربية الرجل فى مدرسة الأزواج وتربية المرأة فى مدرسة الزوجات . وخلاصة المسرحية أن السيد أرنولف ، ذلك البورجوازى النبيل ، اللذى يستبدل باسمه اسما من اسماء النبلاء ، وان كان يثير الشك ، وهو السيد دى لاسوش (السيد صاحب أروقة الشجرة) أراد أن يعد لنفسه زوجة يضمن عفتها وإخلاصها . واتفق أن رأى طفلة صغيرة فى الرابعة من عمرها ، وراقه مظهر وداعتها وحلاوتها ، فطلب من أبيها أن يعطيه اياها ليتكفل هو بتربيتها ونفقتها ووافقت الأم بسبب فقرها وكان اسمها أنييس . فاقتادها من فوره الى دير صغير ناء وأوصى من فيه بتربيتها بشرط أن يعملوا كل مافى مقدورهم على جعلها بلهاء بقدر الامكان . وبعد أن اعتقدت أنها وصلت الى درجة كافية من العته اخرجها من الدير واسكنها بيتا منعزلا وأقام على حراستها خادمين ريفيين «آلان وجورجيت» لايقلان عنها سذاجة وبساطة . وبينما كان أرنولف غائبا فى رحلة له بالريف ، استطاع شاب «هوراس» أن يدخل البيت . ولما كانت أنييس قد استقبلته استقبالا حارا فقد كرر لها الزيارة . وسارع الشاب ، وهو فى سعادة غامرة ، الى أرنولف اللذى كان صديق والده ، ولايعرف انه يسمى نفسه باسم آخر ، وراح يحكى له مغامرته الغريبة . وعرف أرنولف أنه يعنى أنييس ، فاستأذن منه فورا وهرول الى أنييس التى اعترفت له بكل شئ وبكل سذاجة وحسن نية . وصمم على التعجيل بالزواج منها ، ولكن بعد أن يلقى عليها درسا مفيدا فى واجبات الزوجة نحو الزواج والزوج . غير أن أنييس تخرج على تعاليمه مرة اخرى : فيكرهها على طرد هوراسى ، حينما يعود الى زيارتها ، وأن تظهر له نفورها

منه ، بأن تقذف بحجر ثقيل تحت قدميه . وتنفذ أنييس التعاليم ، ولكنها تربط بالحجر خطابا تفضى فيه الى هوراس بحبها . ثم تهرب معه رغم كل هذه الاحتياطات والضمانات . ويستعيدها أرنولف بحيلة ماكرة ، ولكنه لايلبث أن يرى نفسه مضطرا الى اعادتها الى والدها الذى عاد من هجرته الى امريكا ، وقبل أن يزوجها من هوراس .

ولا بد أن يكون موليير قد قرأ قصة « الحذر غير المجدى » التى ترجمها سكارون Scarron فى سنة ١٦٦١ لكاتب اسبانى . وفيها نرى كهلا نبيلا يرى خطيبته، وهو على أهبة الزواج منها ، تضع طفلة ، لاشأن له بها بطبيعة الحال . فيطرد الفتاة الآثمة ويحتفظ بالطفلة (لور) حتى اذا بلغت الرابعة من عمرها يودعها أحد الأديرة ، ثم يحوطها أيضا بحراس وبله ، الى أن تصل إلى سن الزواج فيتزوجها . وذات يوم كان الزوج قد غاب فيه فى احدى رحلاته ، يراها شاب فى شرفة بيتها ، وينجح فى الوصول اليها عن طريق وسيطة عجوز . وحينما يعود زوجها من رحلته تحكى له « لور » تفاصيل ما حدث بكل سذاجة . ولكن مما يلاحظ أن الغريمين لايلتقيان فى قصة سكارون ، كما أنها قصة ، أى نوع من السرد .

وأغلب الظن ، أيضا ، أن موليير قد عرف قصة « الليـالى » للقصاص الايطالى « ستراباروك » Straparole (القرن السادس عشر) الذى صاغ فيها تلك الفكرة الكوميدية ،فكرة اختيار العاشق — على غير علم منه — لزوج معشوقته ، ليبثه اسراره .

هذا الى أن موضوع « الحذر غير المجدى » وتحول الفتاة الجذرى بقوة الحب السحرية ، كان من الموضوعات المتداولة فى ذلك العهد . وكان مونتفلورى قد سبق موليير بكتابة كوميديا من هذا القبيل سماها أيضا : « الحذر غير المجدى ». وكذلك فعل توما كورنى (كورنى الصغير) وغيره ، أشياء من هذا القبيل فى تلك الفترة بالذات أو مايقرب منها ، ولا داعى لتفصيل ذلك . وبطبيعة الحال من الممكن أن يكون موليير قد تأثر ببعض هؤلاء أو بهم جميعـــا . وقد تكلم فى ذلك وأطال الكلام الكثيرون من النقاد والمعلقين ، وخاصة من المعسكر المعادى لموليير ، كما تكلمـــوا عن كتاب آخرين قالوا ان موليير سرق منهم وحاكاهم . بعضهم من الاغريق أو الرومان القدماء ، وبعضهم من الايطاليين أو الفرنسيين ، أو من غير هؤلاء وهؤلاء .

ودون أن ننفى هذه الاتهامات أو أن نثبتها ، نرى فقط أن نشير الى أن بعض الدارسين المحايدين يرجحون أن يكون موليير قد قرأ «كوميديا دلارته»(Comédie dell'arte) اسمها L'Astuta simplicita ، حيث يوجد الموضوعان ممتزجين ، موضوع الحذر غير المجدى ، وموضوع قوة الحب .وفيها ايضا نجد الخادمة تسخر من سيدها من خلف الباب ، وهو يهم بالدخول ، كما يفعل آلان وجورجيت بأرنولف . واذا كان موليير يسمى عاشقه الشاب «هوراس» ، فان «هوراسيو» (Horatio) ظل اسم العاشق الأول فى الفرقة الايطالية حتى سنة ١٦٦٠ . كذلك لايستبعد أن يكون موليير قد تأثر أيضا فى كتابة مسرحيته مدرسة الزوجات بالفكاهات والحكايات الفرنسية القديمة التى تتخذ من الديوثين موضوعا لها .

ولكن كل ذلك لايطعن فى أن موليير قد صنع من«الفارس»أو الكوميديا دلارته كوميديا حقيقية محبوكة الأطراف الى حد كبير وتضم خمسة فصول ، واذا كان فى «حلها» شئ كثير من الاصطناع ، فان ذلك لا يمنع من أننا نلمس لمسا معطياتها الحقيقية . وهذا من أسرار براعة موليير التى تكاد تكون معجزة . ففيها يبين الكاتب أن هناك نوعا من التوازن فى المجتمع وان أنانية الرجل لا تستطيع ، مهما اتخذت من احتياطات ، أن تحطم استقلال المرأة المشروع . وهذا العرض لايقلل حل المسرحية المصطنع من الشعور بواقعيته فى شئ . أما القصة ، أما العقدة فقد حيكت بفن بارع فى هذه الكوميديا التى تقارب الفارس من بعض النواحى التى يتقمصها آلان وجورجيت ، ولكنها فى مجموعها كوميديا اخلاق وشخصيات .

وقد حاول كثير من الدارسين ان يعقدوا المقارنات بين أنيس الساذجة ، الغزلة ، وبين أرماند التى كانت قد اصبحت زوجة موليير منذ عشرة شهور. واذا صح أن موليير كان يفكر فى أرماند وهو يرسم صورة أنييس ، فانها تكون مختلفة بعض الشئ ، لأن أنييس لم تتفتح بعد على أحابيل الحياة الاجتماعية ،ولم تستيقظ فيها الطبيعة بصورة كاملة .فان انييس ساذجة الى الحد الذى جعلها تقع بكل سهولة تحت سيطرة هوراس ، وتفشل فى التخلص من قبضة أرنولف أكثر من مرة ،مع أنه سرعان ما تعود ملكة الفهم الى البنات

بمجرد أن تشتعل جذوة الحب في قلوبهن . وأنما هي فتاة وديعة ، حساسة ، جلدة على العمل ، احتفظت بمزاياها الفطرية التي انضم اليها نوع من الرقة غير الشعورية .

وأما موليير الذي يحلو لبعض النقاد أيضا أن يقارنوه بأرنولف ، فانه لا يشبهه في شئ ، الا في أن كلا منهما قد اشتبك عقله وقلبه في صراع مرير . لكن أرنولف رجل مضحك ويدعو الى السخرية بسبب مبادئه الغريبة . ورجل شنيع كريه ، بسبب أنانيته الضخمة وادعائه العريض ، وبسبب مذهبيته الواثقة في نفسها الى حد الغرور . أما حركاته وتصرفاته الغريبة فهي لاتثير الا احد شيئين : اما الضحك الساخر ، واما الخوف المقلق وليس لموليير شئ من هذا ، ولا يريد أن يدعي أن يكون لديه شئ منه .

وقد قدمت مدرسة الزوجات على خشبة المسرح لاول مرة في السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٦٦٢ . وأول مرة قدمت فيها على مسرح اللوفر كانت في السادس عشر من يناير سنة ١٦٦٣ . وبلغ مجموع مرات عرضها في حياة موليير ثماني وثمانين مرة وهو عدد لم يتجاوزه من مسرحيات موليير الا سجاناريل و مدرسة الازواج و المزعجون .

لقد لقيت المسرحية ، اذن ، نجاحا ساحقا ، اذ كان متوسط دخلها في العروض العشرين الأول ألف جنيه ذهبي . وكان موليير يتقاضى منه نصيبه كمؤلف الى جانب نصيبه كممثل ، وبها أصبح واحدا من المؤلفين المعدودين الذين يتقاضون معاشا ملكيا ثابتا .

لكن هذا النجاح أثار عليه عاصفة من حقد زملائه المؤلفين والممثلين على السواء . وكان من بين المهاجمين بعض الامراء والنبلاء وكبار رجال الدين . وكان من بينهم كورني الكبير الذي غاظه موليير بتهكمه على أخيه « توما » الذي كان يلقب نفسه « بالسيد دي ليل » (سيد الجزيرة) متشبها بالنبلاء ، كما غاظه ايضا طغيان مسرح موليير على مسرح « الاوتيل دي بورجوني » الذي كانت تعرض فيه مسرحياته ومسرحيات أخيه ، وهناك أشياء اخرى كثيرة من هذا القبيل . ولكن من حسن حظ موليير أنه كان بجانبه

الملك ، وبوجه خاص بوالو الذى بعث اليه بمقطوعات خالدة يدافع فيها عنه وعن مسرحيته ومنها نقتبس هذه السطور :

عبثا يصيحون فى كل مــكان

بأن شعرك ليس فيه ما يعجب :

ولو عرفت أن تكون أقل نيلا للاعجــاب ،

لمــا أسأت اليهم الى هذا الحــد .

وقد صدرت المسرحية فى طبعتها الاولى ، عن دار جيوم دى لـــــيرنف السابع عشر من مارس سنة ١٦٦٣ . ثم توالت طبعاتها بعد ذلك .

رسالة اهداء
« مسرحية مدرسة الزوجات »

هذه هي رسالة الاهداء التي قدم بها موليير مسرحية « مدرسة الزوجات » الى « السيدة » (زوجة اخي الملك) ، التي اصبحت فيما بعد عرابة لأول ابنائه الذى عمد فى السادس والعشرين من فبراير سنة ١٦٦٤ .

الى السيدة

سيدتى

انى اصبح أشد الناس حيرة فى العالم حين أريد أن اخط اهداء لكتاب ، وأجدنى قليل التهيؤ لكتابة الرسائل الاهدائية ، الى حد أنى لا أعرف كيف أخرج منها . ولو أن مؤلفا غيرى فى مكانى ، لوجد آلاف الاشياء التى يقولها فى سموك الملكى ، وعن عنوان مدرسة الزوجات ، والاهداء الذى يقدمه به اليك . أما أنا ، يا سيدتى فانى اعترف بضعفى فلست اعرف هذا الفن الذى يكتشف علاقات بين أشياء لا يكاد يوجد تناسب بينها . ومهما قدم الى زملائى المؤلفون فى كل يوم من أنوار وضاءة حول موضوعات من هذا القبيل ، فانى لا أرى ماذا يمكن أن يصل بين سموك الملكى والمسرحية التى أقدمها له . ولاشك أنه مما يصعب على المرء أن يعثر على ما ينبغى من أجل امتداحك . فمثل هذه المادة ، يا سيدتى ، تكاد تغشى الأبصار بتألقها . ومهما كانت الجهة التى ينظر المرء منها الى سموك الملكى ، فانه لا يقابل إلا مجدا فوق مجد ، ومحامد من فوقها محامد . فان لديك منها ، ياسيدتى ، من ناحية الدم ومن ناحية المولد ، ما يجعلك موضعا لاحترام جميع أهل الأرض . ولديك منها ، من ناحية سحرك ، سحر العقل والجسم ، ما يحمل جميع

الاشخاص الذين يحظون بشرف الاقتراب منك ، على حبك ، اذا جاز لى أن اجرؤ على الكلام بهذه الصورة : أعنى هذه العذوبة الملأى بضروب السحر والتى بها تتكرمين بالتلطيف من عزة الألقاب التى تحملينها ، ذلك الكرم الآسر ، ذلك التفضل السخى اللذين تظهرينهما نحو الجميع ، وان هذه الفضائل الاخيرة بوجه خـاص هى التى أشعر جيدا بأنى لا استطيع التخلى عن الاشادة بها يوما من الأيام . ولكنى اعترف مرة أخرى ، يا سيدتى ، بأنى لا أعرف الوسيلة التى يمكننى بها أن ادخل هنا حقائق على هذه الدرجة من النصوع ، انها ، فى رأيى ، أشياء تبلغ من امتداد الرقعة وسمو القيمة ما لا يمكن معه حصرها فى رسالة وخلطها بأمور تافهة . فبعد تقليب الفكر على كل الوجوه لا أجد ما أصنعه هنا ، ياسيدتى ، غير أن اهدى اليك مسرحيتى بكل بساطة ، وأن أؤكد لك ، مع كل الاحترام الذى فى مقدورى ، بأنى لسموك الملكى ،

يا سيدتى ،

الخادم المتواضع جدا ، المطيع جدا ، المقر بالمعروف الى اقصى حد ؛

مقدمة مدرسة الزوجات للمؤلف

بدأ كثير من الناس بمهاجمة هذه المسرحية ، ولكن الضاحكين كانوا فى جانبها وكل ما أمكن أن يقال فيها من سوء ، لم يستطع أن يمنع ما نالها من نجاح غمرنى بالسرور . وأنا أعلم أن الناس ينتظرون منى فى هذه الطبعة ، مقدمة تكون جوابا على نقاد المسرحية وتبريرا لما قمت به من عمل ، كما لاشك فى أنى مدين لجميع الاشخاص الذين أولوها رضاهم الى حد يشعرنى بأنى ملزم بالدفاع عن حكمهم ضد حكم الآخرين ، ولكن حدث أن جزءا كبيرا مما كان يمكن أن يقال فى هذا الموضوع بالذات سبق أن قلته فى رسالة حوارية لا أدرى حتى الآن ماذا سأفعل بها . وكانت فكرة هذا الحوار أو اذا شئنا ، فكرة هذه المسرحية الصغيرة قد طرأت بخاطرى بعد العرض الثانى أو الثلث لمسرحيتى هذه . وقد بحت بفكرة هذا الحوار فى منزل كنت فيه ذات مساء . فراقت الفكرة رجلا ممتازا عرف بعمق ثقافته فى العالم أجمع وممن اختصونى بشرف حبهم لى ، فعرض على ليس فقط أن يساعدنى فى اخراجها الى حيز الوجود بل أن يقوم هو نفسه بكتابتها . ولشد ماكانت دهشتى حين سلمنى هو نفسه بعد يومين اثنين ، العمل كله منتهيا بصورة تعتبر فى الحقيقة أكثر مجاملة وأكثر رقة مما كنت أستطيع أنا أن افعله ، ولكنى وجدت أنه يبالغ فى اكرامى ، فخفت اذا انا عرضتها على مسرحنا أن اتهم باستجداء المديح الذى أغدق على ، إن ذلك قد منعنى ، لاعتبار معين ، من اتمام ماكنت قد بدأته . ولكن كثيرا من الناس يلحون على كل يوم فى أن أفعل ذلك حتى أنى لا أدرى إلام سينتهى الأمر . وتلك الحيرة هى السبب فى أنى لم أضع فى المقدمة ماسيراه الناس فى النقد فى حالة ما اذا

عزمت على أظهاره . واكرر القول بأنه اذا تم ذلك ، فانه سيكون مجرد انتقام الجمهور من الالم الرقيق الذى عاناه بعض الناس ، أما بالنسبة لى ، فانى اعتبر ان نجاح مسرحيتى خير انتقام لى ، وأتمنى أن تعامل جميع المسرحيات التى سأظهرها نفس المعاملة من قبلهم ، شريطة أن يجرى كل ما عدا ذلك فى نفس المجرى .

شخصيات المسرحية

الشخصية المسرحية	الممثل
أرنولف ، أو السيد دى لاسوش	موليـير
أنييس ، وهى فتاه ساذجة رباها أرنولف	السيدة دى برى
هوراس ، عشـيق أنييس .	لاجرانـج
آلان ، فلاح ، خادم أرنولف	بريكـور
جورجيت ، فلاحة ، خادمة أرنو لف	السيدة لا جرانج
كريسالد ، صديق أرنولف	لسـبى
أنريك ، صهر كريسالـد .	
ورونت ، والد هوراس ، وصديق حميم لأرنولف .	
موثـق عقـود .	

LES PERSONNAGES

Arnolphe, autrement dit Monsieur de la Souche	**Moliere.**
Agnes, jeune fille innocente élevée par Arnolphe'	**Mlle de Brie.**
Horace, amant d'Agnes	**La Grange.**
Alain, paysan, valet d'Arnolphe	**Brecourt.**
GeorMette, paysanne, servant d'Arnolphe.	**Mlle la Grange.**
Chrysald, ami d'Arnolphe.	**L'Espy.**

Henerique, beau frere de Chrysalde.
Oronte, pere d'Horace et grand ami d'Arnolphe.
Un notaire.

الفصل الاول

المنظر الاول

كريسالد ، ارنولف

كريسالد : قلت انك جئت من أجل منحها يدك .

أرنولف : نعم ، اريد انهاء هذه المسألة يوم غد .

كريسالد : نحن هنا وحدنا ، وفي وسعنا ، على ما يبدو لى ، ان نتحدث ، دون أن نخشى تسمّع احد . اتسمح لى ، اذن ، بأن افتح لك قلبي ، كما بين الأصدقاء ؟ ان ما اقدمت عليه يجعلني ارتعد خوفا عليك ، فالزواج بالنسبة لك ، ضرب من التهور .

أرنولف : في الحقيقة ، ياصديقنا ، أنه قد يكون في بيتك من الموضوعات ما تخشى على بيتي من وقوع مثلها ، وأعتقد أن مقدمة رأسك ترى أن القرون هى النتيجة الحتمية للزواج في كل زمان و كل مكان .

كريسالد : انها من عمل المصادفات البحتة التي لا يستطاع تجنبها ، ويبدو لى أن كل ضرر يبذل ضدها ضرب من الحمق .

ولكن حينما اخشى عليك ، فانما اخشى تلـــك السخرية التي ذاق مرارتها مئات الأزواج المساكين : لأنك تعرف ، ياصديقي أنه لم يتأتَّ لكبير أو صغير من الأزواج أن يسلم من نقدك ، وانك تجعل من كل مغامرة سرية فضيحة علنية . . .

أرنولف : ليكن ، فهل توجد مدينة أخرى في العالم يبلغ فيها الأزواج من قوة التحمل ما بلغوه عندنا ؟ ألسنا نرى من بينهم جميع الأصناف من أولئك الذين يتكيفون في منازلهم بكل وضع ؟ فهذا يجمع الثروة لكي تقدمها زوجته لمن يزرع له القرون في رأسه ، وذاك أسعد منه قليلا ولكنه لايقل عنه في النذالة ، فهو يرى الهدايا تنهال كل يوم على امرأته ، ولا تستشعر نفسه أى احساس بالغيرة . لانها تقول له ان ذلك من اجل عفتها . والآخر يثير الكثير من الضجة دون أن يكون له فيها نفع يذكر ، وغيره يترك الأمور تسير على رسلها في هدوء ، فاذا ما رأى العاشق الانيق وقد طرق باب بيته تناول قفازه ومعطفه بكل أدب واحترام . وتلك ، لكى تبرر بذخها تدعى انها تربح في اللعب المال الذى تنفقه ، والزوج المعتوه الذى لايدور بخلده

أى نوع من اللعب تريده، يحمد الله ويشكر فضله على ما تحققه من ربح ، الحقيقة ان هذه كلها اشياء تدعو إلى الاستهجان ، أليس لى كأحد المتفرجين ان اضحك منها ؟ أليس لى ان اضحك من مغفلينا ؟

كريسالد : نعم ، ولكن من يضحك من الآخرين يجب أن يخشى بالتالى أن يضحك منه الآخرون فأنا اسمع العالم يتكلم ، والناس يتسلون بالمجئ وسرد الأمور التى تحدث ، ولكن مهما كشف أمامى من شئون من يحيطون بى ، فان أحدا لم يعتبر من المبرزين في ميدان الاشاعات . فأنا في هذا الصدد متواضع بما فيه الكفاية ، وبالرغم من أنى عند اللزوم أستطيع استنكار بعض ضروب سعة الصدر وبالرغم من انى أرى انه ليس من هدفي احتمال ما يحتمله بعض الأزواج عن طيب خاطر ، فانى لم احاول قط أن اتحدث بشئ : لأنى ، بعد طول التروى ، أرىانه ينبغى للمرء أن يخشى دائما انقلاب الأوضاع ضده ، وفي مثل هذه الحالات لايتأتى للانسان ان يضمن ما يستطيع عمله ومالا يستطيع . ومن ثم فإنه إذاحدث لرأسى أن رماه القدر الذى يجلب كل شئ وأى شئ ، بما يدعو للازدراء البشرى ، فانى

واثق ، بفضل سكوتى هذا ، من أن الناس سيكتفون
بالضحك منى في الخفاء ، بل ربما نعمت ايضا بهذه
الميزة ، اعنى ان يرثى لحالى بعض الناس الطيبين
ويقولون : ياللخسارة ! أما بالنسبة لك، يا صديقى
فان الأمر يختلف : وانى اكرر لك ما سبق ان قلته
انك تخاطر بصورة فظيعة ! ، ولما كان لسانك قد
ولغ اشد ما يكون الولغ في حق الأزواج المتهمين
برحـــابة الصدر ، وقد رأوا فيك دائمـــا شيطانا
محلول الوثاق ضدهم ، فانه يجب عليك ان تسير في
الطريق المستقيم حتى لا تكون عرضة لتهكماتهم ،
وانهم إذا وجدوا فيك اقل مغمز ،فحذار !. لأنهم
سيشيعون عليك ، في الأماكن العامة ، و . .

أرنولف : استحلفك ، ياصديقنا ، ألا تقلق بالك من هذه الناحية ،
ان من يستطيع مهاجمتى في هذا الميدان يجب أن
يكون على اوفى نصيب من سعة الحيلة ، وأنا على تمام
العلم بالحيل الماكرة والمقالب المحبوكة الصنع التى —
وهذا بيت القصيد — يحبذ النساء استخدامها . ولما
كان المرء لا يروح ضحية للخداع الا عن طريق
الخدعة والمهارة ، فقد تسلحت لمثل هذا الاحتمال

بالضمانات الواجبة : االن تلك التى سأتزوجها تحوز من البراءة ما يستطيع تحصين جبيني من كل أثر خبيث.

كريسالد . وهل تزغم انها امرأة معتوهة ، بالاختصار . . . .

أرنولف : نتزوج معتوهة حتى لا نكون نحن معتوهين . أعتقد ، انك ، باعتبارك مسيحيا وفيا ، قد اخترت لك نصفا على جانب كبير من الحكمة ، ولكن المرأة الذكية فأل سيئ ، وأنا أعرف جيدا ماذا حلّ ببعض الناس من جراء اختيارهم زوجات يتمتعن بمواهب فوق ما يلزم ، أما أنا ، فهل تظننى آخذ على عاتقى امرأة مثقفة لا تتكلم عن شيء آخر غير الحلقات والصالونات ، وتدبج البطاقــات الغرامية نــثرا وشعرا وتزور المركيزات ورجال الأدب والفن ، بينما أظل أنا ، تحت اسم زوج السيدة ، كقديس لايتوجه اليه احد بالدعاء ؟ كلا ، كلا ، أنا لا أريد عقلا ساميا ، فالمرأة التى تبرع في الكتابة تعرف اكثر مما يصح أن يعرف . وانى اعترف بان امرأتى ، في حدود معارفها الخابية ، لاتعرف حتى معنى كلمة قافية ، وإذا اتيح لها أن تلعب لعبة السلة ، فانى افضل أن تجيب على سؤال من يشاركها اللعبة « ماذا نضع فيها ؟ » بقولها «

فطيرة بالقشدة » . بالاختصار اريد ان تكون على درجة من الجهل المطبق ، وإذا اردت الصراحة فانه يكفيها ان تعرف كيف تعبد ربها وتحبنى وتحيك وتغزل .

كريسالد : اذن فمنيتك امرأة غبية ؟

نولف : إلى حد أنى أفضل امرأة قبيحة الشكل شديدة الغباء ، على امرأة فارهة الجمال شديدة الذكاء .

كريسالد : الذكاء والجمال . . . .

أرنولف : الوفـــاء يكفـــى .

كريسالد : ولكن كيف تريد ، بعد كل شئ ، أن يتأتى لبهيمة أن تعرف ماهو الوفاء ؟ فضلا عن انه مما يصيب المرء بالملل ان يقضى حياته كلها في صحبة بهيمة ، اتظن انك ان فعلت ذلك يكن فيه الامان الأكيد لجبينك ؟ يجوز للمرأة الذكية أن تخون زوجها ، ولكن لابد لها على الأقل ان تريد لنفسها ذلك ، أما الغبية فمن الممكن عادة ان تنحرف عن واجبها دون أن ترغب في ذلك أو أن تفكر في فعله .

أرنولف : على هذه الحجة الجميلة اجيبك بنفس الجواب الذى أجاب به بنتاجرويل على بانورج : حاول أن تقنعنى

بالزواج غير غبية ، واصل وعظك واستمر في
حجاجك حتى يوم عيد الضحية ، وستذهل حين ترى ،
بعد أن تفرغ كل ما في جعبتك انى لم اقنع بشئ مما قلت

كريسالد : لن ازيد كلمة واحدة على ماقلته لك .

أرنولف : لكل طريقته . وأنا لا اريد ان اتبع غير طريقتى بالنسبة
للزوجة كما بالنسبة لأى شئ آخر . ذلك انى ارانى
غنيا بما يكفل لى ، على ما اعتقد ، ان اختار لى نصفا
يدين لى بكل شئ ، ولا يحتج ضد خضوعه وتبعيته
التامة لى بمال أو جـــاه .

وما أن رأيتها بسيماها الوديعة المتزنة بين أطفال
آخرين حتى هفا قلبي إلى حبها ولما تبلغ الرابعة من
عمرها ، كانت امها ممن طحنهم الفقر ، فدار بخلدى
ان اطلبها منها ،وما ان علمت الفلاحة الطيبة برغبتى
في أن ارفع هذا الحمل عن كاهلها حتى عمها السرور ،
وقد عملت على تربيتها في دير صغير بعيد عن الحياة
والناس ، تبعا لسياستى ، اعنى انى أوصيت بالاساليب
التى تتبع في تربيتها لجعلها معتوهة إلى أقصى حد
مستطاع ، وقد تـُوج انتظارى بالنجاح ، والحمد الله
ولما كبرت رأيت من براءتها ما جعلنى اشكر الله على

أن جعلني اعثر على ضالتي ، على أنه وهب لى زوجة تساير رغبتى . وحينئذ سحبتها من الدير ، ولما كان مسكنى مفتوحا في كل ساعة لطوائف متباينة من الناس ، فقد احتفظت بها في مكان معزول — اذ لابد ان يكون المرء بعيد النظر — في هذا البيت الآخر حيث لايزورنى فيه ديار ولا نافخ نار ؛ ومن أجل الابقاء على طيبتها الطبيعية لم اترك معها الا اناسا لا يختلفون عنهـــا في درجة البساطة . ولعلك تسألنى قائلا : « ولماذا كل هذه الحكاية » ذلك لكى احيطك علما باحتياطاتى ، ونتيجة كل هذا انى ادعوك ، باعتبارك صديقا وفيا ، إلى تناول العشاء معها هذا المساء ، اريد أن اتيح لك بعض الشئ ، ان تفحصها وأن ترى ما إذا كان يحق لك لومى على هذا الاختيار .

كريسالد : اقبل دعوتك .

أرنولف : في هذا اللقاء ستستطيع الحكم على شخصها وعلى براءتها .

كريسالد : من هذه الناحية ، كل ما قلته لى لا يستطيع . . .

أنرولف : بل ان الحقيقة تفوق كل ما قصصته عليك . وفي بساطتها ترانى اعجب بكل ما يصدر عنها ، وفي

بعض الأحيان اسمع منها ما يجعلني افقد الوعى من كثرة الضحك . هل يمكن لانسان ان يصدق ما سمعته منها ذات يوم ؟ لقد كانت في حيرة شديدة ، وجاءت تسألني ببراءة لا نظير لها عما إذا كان الاطفال الذين تلدهم الأم يولدون من الاذن .

كريسالد : انا في غاية الابتهاج ، ياسيد ارنولف ...

أرنولف : حسن اتريد ان تستمر على منادانى بهذا الاسم ؟

كريسالد : بالرغم من انى لا اعدم الشجاعة ، فانه هو الذى يرد على لسانى ، ولا يتجه تفكيرى قط إلى السيد دى لاسوش . ولكن قل لى بحق الشيطان ما الذى جعلك تغير رأيك ، بعد أن بلغت الثانية والأربعين من عمرك، فتتنازل عن اسمك وتتخذ لك اسما من اسماء النبلاء تشتقه من جزع عتيق فخور تسمى به مزرعتك ؟

أرنولف : لاسوش ترتاح له اذنى اكثر مما ترتاح لارنولف ، فضلا عن ان البيت قد عرف بهذا الاسم (٤)

كريسالد : ياله من اسراف ان يترك المرء اسم آبائه الحقيقى ليتخذ له اسما آخر يقوم على الأوهام هذا هو داء معظم الناس ، ولاتظن انى اريد ان اقارنك باحد ، حين اقول لك إنى اعرف شخصا اسمه « الحجر

الضخم » يملك قطعة صغيرة من الأرض فأحاطها بخندق ملئ بالوحل ، ومنها اتخذ لنفسه ذلك الاسم الطنان الرنان : سيد الجزيرة .

أرنولف : تستطيع ان تستغنى عن مثل هذه الامثلة ، وعلى أية حال فان دى لا سوش هو الاسم الذى احمله : وأنا اجد فيه كثيراً من التعقل ، وأجد فيه ضروبا من الاغراء اما الاسم الآخر ، فانى لا أستريح اليه .

كريسالد : ومع ذلك فان معظم الناس يجدون صعوبة في التعود عليه ، بل ولا زلت أرى عناوين خطابات . . .

أرنولف : هذا الذى يحدث من جانب من لا يعلمون يؤلمنى كثيرا ، أما أنت . .

كريسالد : ليكن . لن يكون هذا موضع نقاش بيننا ، وسأحرص على تعويد لسانى على ألا يدعوك منذ الآن إلا بالسيد دى لاسوش .

أرنولف : مع السلامة . سأقرع على هذا الباب لكى القى بالتحية وأزف خبر رجوعى .

كريسالد : (يذهب) : والله ، انه لمجنون بجميع ضروب التكلف .

أرنولف : (وحده) : انه يشعر بالحرج حول بعض المسائل . ومن الغريب ان نرى كل شخص يتمسك برأيه بصورة مرضية !

(يقرع على بابه)

هلـــو !

المنظر الثاني

آلان ، جورجيت ، ارنولف

آلان : من الذى يضرب ؟

أرنولف : افتح (لنفسه) اعتقد انها ستشعر بأعظم السرور لرؤيتى بعد غياب طال عشرة أيام .

آلان : من هنـــاك ؟

أرنولف : أنـــا .

آلا ن : جورجـيت !

جورجيت : هيــه ، مــاذا ؟

آلان : افتحى ، عندك !

جورجيت : اذهب ، انت .

آلان : اذهبي ، انت .

جورجيت : لن اذهب ، بكل تأكيد .

آلان : وأنا ايضا لن اذهب .

أرنولف : احتفال جميل ان اترك خارج البيت ! ياهوه ! أرجوكم .

جورجيت : من الذى يقرع ؟

أرنولف : سيـــدك .

جورجيت : آلان !

آلان : مـــاذا ؟

جورجيت : أنا سيدك . افتـــح بسرعة .

آلان : افتحـــى ، أنـــت .

جورجيت : أنا مشغولة بنفخ النـــار .

آلان : انا مشغول بمنع الطائر من الخروج ، خوفا من القط .

أرنولف : من لن يفتح الباب منكما سيحرم من الطعام أربعة أيام على الأقل .

جورجيت : بأى حجة تأتى انت في حين ترانى اجرى . ؟

آلان : لماذا انت ، وليس انا ؟ يالها من مناورة جميلة !

جورجيت : تزحزح من هنا .

آلان : كلا تزحزحى انت ، انت نفسك .

جورجيت : اريد ان افتح الباب .

آلان : وانا اريد أن افتحه ، أنا لا أنت .

جورجيت : لن تفتحـــه .

لان : ولا أنتِ أيضـــا .

جورجيت : ولا أنت .

أرنولف : في هذا البيت يجب أن يكون الانسان صبورا إلى أقصى حدود الصبر .

آلان : (داخلا) على الأقل انه أنا ، ياسيدى .

جورجيت : (داخلة) أنا خادمتك ، انه أنا .

آلان : لولا احترامى لسيدى الذى هو هذا ، لكنت أ . . .

أرنولف : (الذى يتلقى صفعة منى الآن) : ماهذا !

آلان : عفـــوا .

أرنولف : ألا ترون هذا الجلف !

آلان : هى أيضا ، ياسيدى . . .

أرنولف : فلتصمتا كلاكما وفكرا في الرد على سؤالي . ولنتر هذه الترهات . هيه ، يا آلان ، كيف حال من هنا ؟

آلان : سيدي ، نحن ، نحن . . . سيدي اننا اننا ، أ أ . . . الحمد لله ! نحن ، نحن . . . .

(أرنولف يرفع القبعة ثلاث مرات من فوق رأس آلان .) .

أرنولف : من علمك ، أيها الحيوان الوقح . ان تتكلم امامى وقبعتك فوق رأسك ؟

آلان : خيرا فعلت ، أنا مخطئٌ .

أرنولف : (آلان) ناد أنييس أن تنزل .

(لجورجيت)

بعد أن غادرت البيت ، هل كانت تشعر بالحنين إلى ؟

جورجيت : بالحنين ؟ كلا .

أرنولف : كـــلا ؟

جورجيت : نعم ، نعم !

أرنولف : لماذا ، اذن ؟

جورجيت : نعم ، كانت تظن في كل ساعة انك قد عدت ولم

تكن ترى حصانا أو حماراً أو بغلا يمر أمام بيتنا الا ظنته أنـــت .

المنظر الثالث

انييس ، الان ، جورجيت ، ارنولف

أرنولف : واليدان مشغولتان بالعمل ! هذه علامة طيبة . هيه ، يا أنييس ، هأنذا قد عدت من سفرى ، أأنت مسرورة لذلك ؟

أنييس : نعم ، ياسيدى ، الحمد لله .

أرنولف : وأنا أيضا مسرور جدا لرؤيتك . أكنت دائما ، كما هو واضح ، في صحة جيدة ؟

أنييس : فيما عدا البراغيث التى أقلقت ليلى .

أرنولف : آه ! بعد قليل سأبعث اليك بمن يطردها .

أنييس : بهذا تبعث السرور في نفسى .

أرنولف : هذا ما أستطيع استنتاجه ماذا تعملين هناك ؟

أنييس : أصنع لنفسى بعض أغطية الرأس ، أما قمصان نومك وقلنسواتك فقد انتهيت منها .

أرنولف : ها ! ذلك أحسن ما يمكن . هيا اصعدى حيث كنت ! لاتقلقى ، فانى لن البث ان اعود ، وسأتكلم معك في أمور على درجة كبيرة من الأهمية .

(بعد أن يكون الجميع قد دخلوا)

يابطلات العصر ، ايتها السيدات العالمات ، يازارعات الحنان والعواطف الجميلة ، انى اتحداكن واتحدى معكن شعركن وقصصكن ، ورسائلكن وخطاباتكن الغرامية وكل علمكن أن تبلغن مستوى هذا الجهل الذى كله فقر ووفاء .

المنظر الرابع

هوراسى ، ارنولف

أرنولف : ليس المال هو الذى يخلب اللب ، فما دام الشرف . . ماذا أرى ؟ أهو ؟ نعم . أنا واهم . كلا . بالضبط لا ، انه هو نفسه ، هو . .

هوراسى : سيد أر . . . . .

أرنولف : هوراسى .

هوراسى : أرنولف .

أرنولف : ومنذ متى أنت هنا ؟

هوراسى : منذ تسعة أيام .

أرنولف : حقا ؟

هوراسى : لقد جئت اولا لديك ، ولكن دون فائدة .

ارنولف : كنت في الريف .

هوراسى : نعم ، منذ يومين .

أرنولف : أوه ! كم يكبر الأطفال في قليل من السنين ! ويعجبنى أن اراه في المستوى الذى هو فيه ، بعد أن رأيته لا يتجاوز هذا الحد في الطول .

هوراسى : ها أنت ذا ترى .

أرنولف : ولكن قل لى ، لو تفضلت ، أورونت والدك ، صديقى الطيب العزيز ، الذى أجله واحترمه ، ماذا يفعل الآن ؟ أهو دائما صلب البنيان ؟ انه يعرف انى احرص على الالمام بكل ما يمسه وان كنا لم نر بعضنا بعضا منذ أربع سنوات بأسرها . وأكثر من ذلك أننا لم يكتب احدنا إلى الآخر ، على ما اتذكر .

هوراسى : انه لايزال اكثر منا مرحا . ياسيد ارنولف . وقد عهد إلى بخطاب من أجلك ، ولكنه بعد ذلك اخبرنى

بمجيئه في خطاب آخر . ولم أعلم حتى الآن سبب هذا المجئ . أتعرف من يكون احد مواطنينا الذى عاد هنا بكثير من المال الذى جمعه من امريكا خلال أربعة عشر عاما قضاها هناك ؟

أرنولف : ولكن ألم يذكروا لك اسمه ؟

هوراسى : انريك .

أرنولف : كـــلا .

هوراسى : أبى كلمنى عنه وقال لى انه عاد ، كما لو كان معروفا لدى تمام المعرفة . وقـد كتب لى انهما سيحضران معا لأمر هام لم يذكر عنه في الخطاب حرفا واحدا (هوراسى يسلم خطاب اورونت إلى أرنولف) .

أرنولف : سأكون جد مسرور برؤيته ، وسأعمل كل ما في مقدورى لاكرامه .

(بعد أن رأى الخطاب) .

لاينبغى أن تنطوى خطابات الاصدقاء على كل هذه المجاملات ، فكل هذا الاطراء من الأشياء التى لالزوم لها ، في وسعك ان تتصرف في مالى بكل حرية ، بالرغم من انه لم يهتم بأن يذكر لى شيئا عن هذا الموضوع .

هوراسى : أنا من الاشخاص الذين يأخذ الناس بكلامهم ، والآن أنا بحاجة إلى مائة قطعة من الذهب .

أرنولف : الواقع انك تأسرنى إذ تتصرف على هذا النحو ، ومما يزيد في سرورى انها حاضرة معى هنا . خذ واحتفظ بالكيس ايضا .

هوراسى : لا بد . . .

أرنولف : لندع هذه الطريقة . هيه ! ما رأيك في هذه المدينة ؟

هوراسى : عديدة السكن فخمة البنيان ، واعتقد ان ضروب التسلية فيها رائعة .

أرنولف : لكل ملذاته التى يمارسها تبعا لمزاجه ، أما بالنسبة لاولئك الذين يسمونهم بالظرفاء فلهم في هذا البلد ما يرضيهم ، لأن نساءه لم يخلقن الا للدلال فهناك المزاج الحنون الرقيق وتجد السمراء والشقراء ، كما تجد ايضا اكثر الازواج تسامحا في العالم : وانها للذة تليق بالأمراء أن ترانى في كثير من الاحيان استخرج من الألاعيب التى أراها امتع ضروب التسلية .ولعلك انت قد اوقعت إحداهن في حبائلك . فهل رزقت بعد

باحدى المصادفات السعيدة ؟ ان الاشخاص الذين ساروا على شاكلتك يفعلون اكثر مما يفعل المال ،وانت أهل لأن تزيد عدد الديوثين من الازواج .

هوراسى : إذا كان لى الا اخفى عليك الحقيقة العارية ، فانه قد وقعت لى مغامرة حب في هذا البلد ، وصداقتى لك تحتم عليّ أن افضى بها اليك .

أرنولف : (لنفسه) : عظيم ! هذه حكاية اخرى من حكايات العربدة ، وفيها ما يستحق ان اسجله في مذكراتى .

هوراسى : ولكن ارجو من احسانك ان تبقى هذه الاشياء سرا بيننا على أقل تقدير .

أرنولف : أوه !

هوراسى : أنت لا تجهل ان افتضاح السر في مثل هذه المناسبات من شأنه ان يحول دون مطامعنا . ومن ثم اعترف لك بكل صراحة ان نفسى قد وقعت هنا في غرام احدى الفاتنات. ومنذ البداية لاقت مساعيّ الضئيلة — كثيرا من النجاح ، واستطعت ان افتح لنفس طريق الحنان الى قلبها ، ولست اقصد الى اطراء نفسى أو الى النيل من سمعتها ؛ اذا زعمت ان مسائلى في هذا الصدد تحتل مكانا مرموقاً .

أرنولف : (ضاحكا) ومن هـــى ؟

هوراسى : (مشيرا إلى مسكن انييس) : تحفة صغيرة تقيم في هذا المسكن الذى ترى حوائطه من هنا وقد تخضبـــت بالحمرة ، في الحقيقة فتاة ساذجة ، ترجع سذاجتها إلى غلطة لا مثيل لها من جانب رجل عزلها عن أمور هذا العالم ، ولكنها في هذا الجهل الذى أراد أن يغلها فيه تشـــعّ ضروبا من الاغراء لا يقاوم لها سحر ، ومظهر لايقاوم ، ولا أدرى ماذا من الوداعة الحنون التى لا يستطيع قلب أن يفلت من إسارها . ولكن لعلك قد لمحت كوكب الحب الشاب هذا الذى خلع عليه الجمال كل مغرياته : إنها تسمى أنييس .

أرنولف : (لنفسه) آه ! انى أنفجر !

هوراسى : أما الرجل فاسمه ، على ما أعتقد ، سوس أو سورس على كل حال لم أتوقف كثيرا عند الاسم ، نصيبه من الثراء كبير ، على حسب ما قيل لى ، ولكن ليس له من رجاحة العقل نصيب . وقـــد كلمونى عنـــه باعتباره اضحوكة ألاتعرفه ؟

أرنولف : (لنفسه) يا لها من وقعة

هوراسى : هيه ! مالك لا تتكلم ؟

أرنولف : هيه ! نعم ، أعرفه .

هوراسى : إنه مجنون ، اليس كذلك ؟

أرنولف : هيه !

هوراسى : ما قولك ؟ ماذا تقول ؟ هيه معناها نعم ؟ غيور الى حد يثير الضحك ؟ مغفل ؟ أرى ان هناك أشياء لم يستطيعوا اخبارى بها .المهم أن أنييس اللطيفة استطاعت أن تملك ذمامى . وحتى لاأكذبك القول اؤكد كذلك انها جوهرة جميلة . ولا شك انها تكون خطيئة كبرى أن نترك هذا الجمال نادر المثال في قبضة هذا الرجل غريب الاطوار . أنا شخصيا واثق من أن جهودى وأمانى الحارة ستجعل لى الغلبة رغم الحاسدين . وهذه النقود التى افترضها منك بكل صراحة ليست إلاوسيلة لانهاء ذلك المشروع العادل . فانت تعرف أكثر منى أنه مهما كانت الجهود فان النقود مفتاح كل نجاح عظيم ، وان هذا المعدن العذب الذى يدير الكثير من الرؤوس من شأنه أن يعجل بالنصر في ميدان الحب كما في ميدان الحرب ، ويبدو لى أنك حزين : ألا يكون مرجع ذلك ، في واقع الأمر ، إلى انك غير راض عن التدبير الذى دبرته ، ؟

أرنولف : كلا ، انما كنت أفكر في . . .

هوراسي : هذا الحديث يصيبك با لملل . أتركك بخير ،وسأحضر إلى منزلك بعد الظهر لاقدم لك شكرى .

أرنولف : (معتقدا أنه وحده) أه ! الا ينبغى . . .

هوراسي : (راجعا) مرة اخرى، أرجوك الحذر ، ولا تحاول — من فضلك — أن تبوح بسرى .

أرنولف : (معتقدا أنه وحده) ما أشد ماأشعر به في أعماق نفس

هوراسي : (راجعا) ولوالدى بوجه خاص ، ،اذ ربما أثار فضيحة .

أرنولف : (ظانا انه قد عاد مرة اخرى) : أوه !

(وحده)

ما أشد ما آلمنى هذا الحديث ! هذا القلق النفسى الذى استولى علىّ ليس له مثيل . ثم ما هذا الاندفاع وهذه المسارعة القصوى اللذان ساقاه الى المجئ ليقص علىّ أنا نفسى هذه المسألة.وبالرغم من أن اسمى الآخر من شأنه أن يضلله ، فهل يمكن لأحمق ان يظهر كل هذا الحماس المجنون ؟ ولكن اذا كنت قد عانيت كل هذا الالم ، فانه يتحتّم على أن أكظم غيظى حتّى استوضح هـــذا

الذى أخشاه ، حتى أدفعه الى إفراغ كل ما في جعبته المتهورة ، وأعرف تمام المعرفة كل ما بينها من علاقات خفية . فلنحاول أن نلحق به ، انه غير بعيد ، على ما أظن ، لنستل منه . بفضل هذا الاندفاع ، كل مكنون صدره . انى أرتعد همّا مما قد يصيبنى : وكثيرا ما يبحث المرء عن أكثر مما يريد أن يعثر عليه.

الفصل الثانى

المنظر الأول

أرنولف

أرنولف : كلما فكرت ، اقتنعت بأنه ربما كان من الخير لى أن
اكون قد اخطأت خطاه وضللت طريقه ، لأن
اضطراب قلبي الساحق لم يكن ليخفى تماما على عينيه :
وكان من الممكن ان يفجر الألم الذى يلتهمنى وأنا لا
أريد ا ن يعرف ما يجهل . ولكنى لست الرجل الذى
يستكين للضربات ، ويترك الميدان خاليا أمام عينىْ
عاشق فاجر ، اريد أن اعترض مجرى هذا الأمر ،
وأن أعرف ، دون تأخير إلى أىّ حد وصل التواطؤ بينهما .
من أجل شرفي سأولى هذه المسألة اهتماما خاصا ،
سأنظر اليهـا كامرأة ، كما هى في واقـع الحـال ،
فهى لم تتوان عن تغطيتى بالعار ، وكل ما تفعله الآن
انما ينوء بوزره على كاهلى . ياله من ابتغاء قاتل! يالها
من رحلة تعسة ! (يقرع على الباب)

المنظر الثاني

آلان ، جورجيت ، ارنولف

آلان : أه ! ياسيدي ، هذه المرة . . . .

أرنولف : هلوء ! تعاليا هنا كلاكما . تقدما هنا ، تقدما . تعاليا هنا ، قلت لكما تعاليا .

جورجيت : أه ! انك تخيفني ، لقد تجمد الدم كله في عروقي .

أرنولف : على هذا النحو اذن اطعتمانى في غيبتى ، على هذا النحو اذن اتفقتما على خيانتى في عدم وجودى .

جورجيت : (وقد سقطت على ركبتى أرنولف) أه ! لا تأكلنى ، ياسيدى ، استحلفك .

آلان : (وحده) لقد عضه كلب مسعور ، هذا ما لاشك فيه.

أرنولف : (لنفسه) أوف ! ليس في مقدورى أن اتكلم ، إلى هذا الحد انا ممنوع من الكلام انى اختنق ، واود لو كان في وسعى ان انزع عنى ملابسى وابقى عاريا .

(لآلان وجورجيت)

لقد سمحتما اذن ، ايها الحقيران الملعونان ، أن يأتى رجل . . . (لآلان الذى يريد الفرار)

أتريد الفـــــرار ؟

(لجورجيت)

يجب في الحال . . .

(لجورجيت)

لو تحركت . .

(لآلان)

أريد ان تقولا لى . . . هيه ! اريد منكما معا . .

(آلان وجورجيت ينهضان ويريدان الفرار من جديد)

من يتحرك جزاؤه الموت ! سأصرعه . كيف دخل بيتى هذا الرجل ؟ هيه تكلما ، عجلًا ، بسرعة ، فورا في الحال ، دون سرحان ، ألا تتكلمان ؟

آلان وجورجيت   آه ! آه !

جورجيت : (وقد سقطت على ركبتى أرنولف) القلب يخذلنى .

آلان : (وقد سقط على ركبتى أرنولف) انى اموت .

أرنولف : (لنفسه) ارانى اتصبب عرقا ، لنأخذ نفسنا بعض الشئ . يجب أن اتهوّى وأن اتمشىّ . هل كان في

مقدورى حين رأيته صغيرا ان اخمن بانه سيكبر من أجل هذا ؟ ياللسماء ! كم ينفطر قلبي ! اعتقد انه من الأفضل ان اسحب المسألة التى تعنينى من فمها بكل لطف . فلنحاول ان نخفف من سخطنا . صبرا ياقلبي ، بهوادة ، بهوادة !

(لآلان وجورجيت)

انهضا ، وبعد دخولكما قولا لأنييس أن تنزل . . توقفا .

(لنفســـــه)

ان دهشتهـــا ســتكون أخف ، فسيخبر انهـــا بحالة الحزن التى تقلقنى ، وأنا ايضا سأعمل على اظهاره .

(لآلان وجورجيت)

يجب انتظارى هنا .

المنظر الثالث

آلان ، جورجيت

جورجيت : ياإلهى إنه لرهيب ! لقد اخافتنى نظراته ، ولكن خوفا مروعا ! لم أر في حياتى مسيحيا بهذه الفظاعة .

آلان : لقد أغاظه هذا السيد ، وقد قلت لك ذلك .

جورجيت : لكن ما هذا الشيطان الذى يأمرنا بحراسة سيدتنا في المسكن بكل هذه الصرامة ؟ لماذا يريد أن يخفيها على على جميع الناس بهذا الشكل ، ولا يتحمل ان يقربها احد ؟

آلان : لأن هذا الفعل يثير غيرته .

جورجيت : ولكن من اين جاءته هذه العادة ؟

آلان : جاءته . . . جاءته من انه غيور

جورجيت : نعم ، ولكن لماذا هو غيور ؟ ولم كل هذه الضراوة ؟

آلان : ذلك لأن الغيرة . . . اتسمعين جيدا يا جورجيت ، الغيرة شئ . . . هيه . . . شئ يجعل الانسان قلقا . . . ويطرد الناس من حول المنزل . سأوارب لك بابامن المقارنة ، لكى يزداد ادراكك للشئ . إذا كان في يدك طبق من الحساء وجاء جائع ليشرب منه ، أو ليس من الصحيح انك تغضبين وتريدين أن تمنعيه ؟

جورجيت : بلى ، أفهم هذا .

آلان : نفس الشئ ، فالواقع ان المرأة حساء الرجل ، وحينما يرى رجل في بعض الاحيان ان رجالا آخرين يريدون ان يغمسوا اصابعهم في حسائه ، لا يلبث ان يظهر اقصى غضبه .

جورجيت : ولكن لماذا ليس كل الرجال في ذلك سواء وإن بعضهم يظهرون المرح حينما تكون زوجاتهم مع عشاقهن الجملاء ؟

آلان : لانه ليس لدى كل الرجال هذه الصداقة الشرهة التى لايريدونها إلا لانفسهم وحدهـا .

جورجيت : إذا لم اكن ممن ترتادهم الأخيلة ، فانسى أراه قادما .

آلان : عيناك صحيحتان ، انه هو .

جورجيت : انظر كم هو حزين .

آلان : لأنه مكروب .

المنظر الرابع

ارنولف ، انييس ، آلان ، جورجيت

أرنولف : (جانبا) يروى يونانى عن الامبراطور أغسطس هذا القـول الذى يعتبر نصيحة مفيدة بقـدر ماهى صحيحة ، وهو انه إذا أثارت مغامرة ما غضبنا ، فانه يجب علينا اولا وقبل كل شئ ان نتلو أبجديتنا لكى يساعد هذا الوقت على التخفيف من حـدة السائل المرارى ، فلا نقوم بعمل شئ لا يصح لنا ان نعمله . وقد اتبعت هذا الدرس في موضوع انييس ، ودعوتها

قصدا للمثول في هذا المكان بحجة القيام بنزهة لكى تستطيع شكوك نفسى المريضة ان توجهها إلى الحديث توجيها صحيحا ، وأن تنجلى بهدوء بعد سبر أغوار قلبها . (لأنييس)

تعالى يا انييس ، ادخلى .

المنظر الخامس

ارنولف ، انييس

أرنولف : النزهة جميلة .

أنييس : في غاية الجمال .

أرنولف : يوم صحو جميل !

أنييس : في غاية الجمال .

أرنولف : ماهى الاخبار ؟

أنييس : القط الصغير قد مات .

أرنولف : ياللخسارة ، ولكن ماذا ؟ مصيرنا جميعا إلى الفناء ، وكل انسان عليه نفسه . حينما كنت في الحقول ، هل امطرت السماء ؟

أنييس : كـــلا .

أرنولف : هل شعرت بطل ؟

أنييس : لا أشعر مطلقا بأى ملل .

أرنولف : ماذا فعلت ايضا خلال هذه الأيام التسعة أو العشرة ؟

أنييس : ستة قمصان ، على ما أعتقد ، وست قلنسوات أيضا .

أرنولف : (بعد أن سبح قليلا في الحلم) النـــاس ياعزيزتى أنييس ، أمورهم غريبة . انظرى إلى نميمتهم ، وكيف يتكلم كل واحـــــد منهـــم ! فبعض الجيران اخبرونى ان شابا غير معروف جاء إلى المنزل في غيبتى ، وانك سمحت له برؤيتك واستمعت إلى احاديثه ، ولكنى لم اصدق هذه الالسنة النمامة ، وأردت ان اراهن على زيف . . .

أنييس : يا إلهى ، لاتراهن انك تفقد الرهان .

أرنولف : ماذا ؟ أحقا أن رجلا . . . ؟

أنييس : شئ اكيد . انه لم يكن يغادر بيتنا ، وأقسم لك على ذلك

أرنولف : (بصوت منخفض ، جانبا) هذا الاعتراف الذى تصدره بكل صدق يكشف لى ، على الاقل ، عن سذاجتها . (بصوت عال)

ولكن يبدو لى يا أنييس ، إذا لم تخنى ذاكرتى ، انى حرمت عليك رؤية أى شخص .

أنييس : نعم ، ولكنى لما رأيته . وأنت تجهل لماذا ، وأغلب الظن انك كنت تفعل معه نفس ما فعلته أنا .

أرنولف : ربما ، ولكن قصى على هذه القصة .

أنييس : انها مدهشة إلى أقصى حد ، ومن العسير تصديقها . كنت اشتغل بالشرفة في الهواء حين مرّ من تحت الاشجار القريبة منا شاب جميل البنيان،وما أن قابلت عيناه عينىّ حتّى بعث إلى بتحية خاشعة وقورة ، ولكيلا اتّهم بسوء الأدب وعدم التهذيب قابلت من جانبي تحيته بمثلها . وفجأة بعث إلى بتحية أخرى ، فسارعت انا أيضا ، باعادة نفس التحية، ولم يكديُهمّ من فوره بالقاء الثالثة : حتّى كدت اسبقه في القيام بتحية ثالثة . ومر ، ثم عاد ومر من جديد ، وفي كل مرة كان يحيينى من جديد ، ومن جهتى انا التى كنت انظر إلى هذه الحركات بكل امعان ، اخذت اردّ على كل تحية جديدة بتحية اخرى منى : ولولا ان الليل ارخى سدوله ، لظللت دائما ابدا على هذا الوضع ، لانى لم أكن لاستسلم واتحمل الم اعتباره اياى اقل منه تهذيبا .

أرنولف : حسن جدا .

أنييس : وفي صباح الغد كنت اقف على باب بيتنا حين اقتربت مني امرّأة عجوز وانبرت تتكلم على هذا النحو : ابنتي ، بارككِ الله وأدام لك كل مفاتن سحرك ! إنه لم يخلقك فتاة جميلة لكي تسيئي استخدام النعم التي حباك اياها ، ويجب ان تعلمي انك جرحت قلبا يجد اليوم نفسه مضطرا الى الشكوى » .

أرنولف (جانبا) آه ! يا أداة الشيطان ! ايتها الملعونة القذرة !

أنييس : فقلت لها في دهشة . أنا جرحت احدا ! وأجابت : جرحته ، ولكن جرحته حتى شغاف القلب، وهو الرجل الذى رأيته بالامس وأنت تُطلين من الشرفة وقلت لها : وأسفاه ! وما عسى ان يكون السبب ؟هل اسقطتُ عليه شيئا من غير قصد ؟ فأجابتي بقولها : عيناك هما اللتان صوبتا هذه الضربة القاتلة ، ومن نظراتهما كان كل دائه . وقلت : ياإلهي ! إن دهشتي لامثيل لها : أفي عينيّ داء توزعانه على الناس ؟ فقالت نعم ، ان في عينيك ، يابنيتي سرا لا تعرفينه من خصائصه ان يحدث الموت . بالاختصار ، انه يلوى هذا البائس المسكين ، ثم اضافت الخيرة العجوز

تقول : فاذا رفضت قسوتك أن تنجده ، فإن هذا الرجل سيحمل الى القبر في ظرف يومين . فقلت لها : يا الهى ! إذن لأصابنى من جراء ذلك ألم شديد . ولكن ماذا يطلب منى لأجل نجدته ؟ وأجابت : انه لايريد ، يا بنيتى ، أن يحصل منك على شئ آخر غير أن ينعم برؤيتك والحديث معك ، فان عينيك وحدهما اللتان تستطيعان منع هلاكه وان تكونا الدواء لما سببتاه من من داء . فقلت لها وأسفاه بكل طواعية ، وما دام الأمر كذلك ، فانه يستطيع المجئ هنا لرؤيتى كلما شاء » .

أرنولف : (جانبا) آه ! ايتها الساحرة الملعونة ، مسممة النفوس ليكن من نصيب جهنم ان تجزيك على مؤامرتك الخيرة !

أنييس : هكذا رآنى وحصل على الشفاء . في رأيك أنت ، ألم أكن على حق ؟ وهل كان في وسعى ان يشعر ضميرى بأنى أسلمته للموت بعدم اسعافه ، انا التى أرثى لحال الناس الذين يضارون ، ولا استطيع أن أرى دجاجة تموت دون أن ابكى ؟

أرنولف : (جانبا) كل هذا لم يصدر الا عن نفس بريئة ، ويجب ألا ألوم فيه غير غيابي المتهوّر الذي ترك طيبة هذه الطباع دون مرشد عرضة لتربُّص الغواة الماكرين أخشى أن يكون السافل قد اندفع في أمانيه الجريئة إلى أبعد من مجرد اللعب .

أنييس : ماذا بك ؟ انك تزمجر قليلا ، على مايبدو لى . هل ماقلته لك فعل شائن ؟

أرنولف : كلا : ولكن اخبريني عن نتائج هذه المقابلة . كيف كان الشاب يقضي وقت زياراته معك .

أنييس : وأسفاه ! لو علمت إلى أى حد كان يبدو منشرحا ، وكيف تخلص من دائه بمجرد أن رأيته ، والصندوق الجميل الذى قدمه لى هدية والنقود التى اغدقها على آلان وجورجيت ، لأحببته في اغلب الظن وقلت مثلنا ..

أرنولف : نعم ، ولكن ماذا كان يفعل وهو معك بمفرده ؟

أنييس : كان يقول انه يحبنى حبا عديم النظير ، وكان يسرّ إلى بأجمل الكلمات في العالم ، وبأشياء لايمكن أن يكون لها مثيل ، كانت حلاوتها ، كلما سمعته بتكلم بها ، تثير في دغدغة لطيفة وتحرك في داخلى لا أدرى ماذا يجعلنى في حالة انتشاء كامل .

أرنولف : (جانبا) ياله من امتحان كريه للغز مميت يتحمل فيه الممتحن وحده كل الداء (لأنييس)
وفيما عدا كل هذه الاحاديث ، وكل هذه الملاحظات ألم يكن يتحسس جسمك ؟

أنييس : كثيرا جدا كان يأخذ بيدى وذراعى ، ولا يسأم قط من تقبيلهما .

أرنولف : ألم يأخذ لك شيئا آخر ، يا أنييس ؟

(يراها وقد بدا عليها الاضطراب)

أنييس : هيـــه أأ . . . . . .

أرنولف : مــاذا ؟

أنييس : أخـــذ

أرنولف : هيـــه

أنييس : ال . . . .

أرنولف : نعـــم ؟

أنييس : لا أجـــروْ ، فربما غضبت منى .

أرنولف : كـــلا .

أنييس : بل غضـــبت .

أرنولف : ياإلهى ، كـــلا

أنييس : اذن فاقسم بدينك .

أرنولف : وديـــنى ، ليكـــن .

أنييس : لقد أخذ منى . . ستغضب .

أرنولف : كـــلا .

أنييس : بلـــى .

أرنولف : كلا ، كلا ، كلا ياللشيطان أما هذه الألغاز ! ماذا أخذ منك ؟

أنييس : أخـــذ . . .

أرنولف : (جانبا) انى أتألم كالمطرود من رحمة الله .

أنييس : أخذ منى الشريط الذى سبق أن اعطيتنى ايّاه . والحقيقة انى لم استطع الرفض .

أرنولف : (وهو يتنفس الصعداء) مسألة الشريط لاتهم . ولكن أريد أن أعرف إذا كان قد عمل لك شيئا غير تقبيل ذراعيك .

أنييس : كيف ذلك ؟ هل يمكن عمل أشياء أخرى ؟

أرنولف : كلا . ولكن ألم يطلب منك علاجا آخر للداء الذى يقول انه استحوذ عليه ؟

أتييس : كلا ، تستطيع أن تتأكد من أنى كنت على استعداد لمنحه كل شئ من أجل انقاذه ، لو طلب إلى ذلك .

أرنولف : (بصوت منخفض جانبا) لقد نجوت من الحرج بأقل التكاليف ، والفضل لرعاية الله .

(بصوت مرتفع)

أنصتى : أما عن براءتك، ياأنييس ، فانها حقيقة واقعة ولن اذكر لك عن كل هذا الامر كلمة واحدة بعد الآن ، مافات مات . فـأنا أعرف ان المغامر لم يرد بالثناء عليك الا أن يتمكن من العبث بك ، ثم بعد ذلك يضحك مما فعل .

أنييس : أوه مطلقا ، لقد قال لى ذلك اكثر من عشرين مرة .

أرنولف : آه انت لا تعرفين نواياه . ولكن اعلمى ان قبول الصناديق والانصات الى الأكاذيب من جانب هؤلاء الجملاء ، وتركهم ــ دفعا للملل ــ يقبلون الذراعين يدغدغون القلب ، خطيئة كبرى ، من اضخم الخطايا التى يمكن أن تكون .

أنييس : خطيئة ؟ أتقول خطيئة ؟ والسبب من فضلك ؟

أرنولف : السبب ؟ السبب هو القرار العلنى بأن هذه الأعمال تثير غضب السماء .

أنييس : غضب السماء ؟ ولكن لماذا تغضب ؟ انه، وأسفاه امر على أكبر نصيب من الامتاع والعذوبة إنى أعجب بما يذوقه المرء في كل هذه الاشياء من البهجة ، ولم أكن أدرى انها موجودة .

أرنولف : نعم ، انهـا متعـة عظيمة ، كل هـذه الملاطفات وتلك العبارات الرقيقة والملامسات العذبة ! ولكن يجب تذوقها في الحلال ، وبالزواج ينتفى منها الجرم .

أنييس : ألا تكون جريمة إذا حدث الزواج ؟

أرنولف : كـلا .

أنييس : زوجنى اذن في الحال ، أتوسل اليك .

أرنولف : إذا كنت تتمنّين الزواج ، فأنا ايضا اتمناه ، وإذا كنت ترينى هنا ، فذلك من أجل زواجك .

أنييس : أهـذا صحيح ؟

أرنولف : نعـم .

أنييس : أنك تغمرنى بالبهجة !

أرنولف : نعم ، أنا لا أشك في أن التأهل يسرّك .

أنييس : أتريد أننا نحن الاثنين . . . .

أرنولف : لاشئ آكد من ذلك .

أنييس : وإذا تم ذلك ، فسألا مسك وألا طفلك !

أرنولف : هيه ! من جانبي سيكون هذا الشئ متبادلا .

أنييس : أنا من جهتى ، لا أعرف متى يمزح الانسان ومتى لايمزح . فهل تتكلم جديا ؟

أرنولف : نعم ، تستطيعين أن تدركى ذلك .

أنييس : سنتزوج ؟

أرنولف : نعـــم .

أنييس : ومـــتى ؟

أرنولف : هذا المساء .

أنييس : (ضاحكة) هذا المساء ؟

أرنولف : هذا المساء . أهذا يثير ضحك ؟

أنييس : نعـــم .

أرنولف : إنى اراك جداً مسرورة ، هذا ما أتمناه .

أنييس : وا أسفاه ! انى مدينة لك بأعظم الدين ! ومعه سأكون في غاية الرضا !

أرنولف : مع من ؟

أنييس : مع . . . ، الـ . . .

أرنولف : ا . . . ا . . . ا ليس في حسابى . اختيار الزوج ، هذا امر مبكر بالنسبة لك . بالاختصار انه آخر اعددته لك . أما عن السيد اياه ، فانى اطلب اليك ، من فضلك ، أن تقطعى كل صلة به ، حتى ولو أدى به الداء الذى يلوح لك به إلى القبر ، وإذا جاء إلى البيت من أجل الثناء عليك ، فردى في وجهه الباب بكل بساطة ، وإذا الحّ ، فاقذفيه بحجر من الشباك حتى تضطريه نهائيا إلى عدم الظهور مرة أخرى . أتسمعيني يأنييس ؟ وأنا ساختبئ في أحد الأركان لأشهد ما ستفعلين .

أنييس : خسارة ! انه جميل البنيان ! إنه . . .

أرنولف : آه ! ماهذه اللغة !

أنييس : لن يطاوعنى قلبى .

أرنولف : كفى ضوضاء . اصعدى .

أنييس : ولكن ماذا ؟ أتريد . . .

أرنولف : كفى ! أنا السيد ، وأقول : اذهبى ، أطيعى .

الفصل الثالث

المنظر الأول

ارنولف ، انييس ، آلان ، جورجيت

أرنولف : نعم ، كل شئ على ما يرام ، ان سرورى لاحد له :
فقد اتبعت أوامرى بصورة تدعو إلى الاعجاب ،
فارتبك المغامر الغزل من كل نواحيه ، وهذه هى
فائدة وجود الموجه الحكيم . لقد كانت مفاجأة
لبراءتك ، يا أنييس . فانت ترين اين زججت بنفسك
على غير بينة منك ، لقد انزلقت لاتلوين على شئ
ودون تعليمات منى ، في الطريق الكبير ، طريق
الجحيم والضياع ، فهؤلاء المتسكعون نحن نعرف
طرائقهم جيدا : قطع الدنتلا الجميلة وكثير من
الأشرطة والريش ، وشعر طويل ، وأسنان جميلة
وكلمات معسولة ، ولكن الخطر ، كما قلت لك ،
يكمن وراء هذه الأمور . انهم شياطين حقيقيون تسعى
حلوقهم المتعطشة لشرف النساء إلى الارتواء منه .

ولكنى أقول لك مرة أخرى : انك خرجت بشرفك
سليما من هذا المأزق ، بفضل العناية المبذولة ، وان
الصورة التى اتبعتها في قذفه بالحجر والتى أطاحت
بكل آماله في تحقيق مقاصده تعضد أكثر من أى شئ
آخر ألا نؤجل الزواج الذى أخبرتك بأن تستعدى له .
ولكن من المستحسن ، أولا وقبل كل شئ ، أن القى
على مسامعك خطابا صغيرا سيكون لك درعا وافيا .
أحضرى كرسيا هنا في الهواء .

(لجورجيت ولآلان)

انتما ، إذا حدث اى شئ . . .

جورجيت : كل دروسك ستكون دائما ماثلة في ذاكرتنا . فهذا السيد الآخر كان قد غرر بنا .

آلان : إذا حدث ان دخل هنا ، فلن اقبل أى «بقشيش» فضلا عن أنه رجل أبله : فقد اعطانا ، المرة السابقة ، قطعتين من الذهب لم يكن لهما وزن .

أرنولف : أحضرا اذن من أجل العشاء كل ما أريد ، ومن أجل عقدنا احضرا (احدكما أو الآخر) موثق العقود الذى يقطن في ركن هذه الناصية كما قلت لكما .

المنظر الثاني

ارنولف ، انييس

أرنولف : (جالسا) لكى تصغى إلى جيدا ، ياأنييس دعى العمل الذى بيدك ، ارفعى رأسك قليلا وأديرى وجهك ،

(واضعا يده على جبهته)

هنا، انظرى إلى هنا خلال الحديث ، واحفرى في ذاكرتك حتى أقل كلمة تسمعينها . سأتزوجك يا أنييس ، فيجب عليك ان تباركى سعادة جَدك مائة مرة في اليوم ، وأن تتأملى حالة الوضاعة التى كنت فيها ، وأن تعجبى ، في نفس الوقت بطيبتى أن انتشلتك من هذا الوضع المزدرى ، وضع قروية فقيرة ، لأجعلك ترقين إلى صف البرجوازية المبجلة ، وتستمتعين بفراش وبقبلات رجل تجنب كل هذه الارتباطات ، ورفض قلبه أن يمنح عشرين متقدمة للزواج منه ، وكلهن جديرات بالاعجاب ، ذلك الشرف الذى يود أن يخلعه عليك . أقول : يجب عليك دائما ان تضعى نصب عينيك ضآلة الشأن التى كنت فيها لولا هذه الرابطة المجيدة ، وذلك لكى يعلمك

هذا الأمر اكثر وأكثر ان تكونى اهلا للحال التى سأنقلك اليها ، وألا تكفى عن معرفة نفسك ، ولكى تجعلينى إلى الأبد امتدح نفسى عـــلى الفعل الذى فعلته . الزواج يا انييس ليس بالأمر الهزل ، انه يلزم جنس المرأة بواجبات صارمة ، وانت لا ترقين اليه ، على ما أرى، لكى تكونى مفلوتة الزمام ، أو لتقضى اوقات رضية . بل ان جنسك لم يخلق الا من أجل التبعية . وبا لرغم من أننا نصفا المجتمع ، فان هذين النصفين لايتساويان بأية حال : فاحدهما هو النصف الاسمى والآخر هو النصف الأدنى ، احدهما يخضع في كل اموره للآخر الذى يحكم ، وان ما يبديه الجندى المدرب على معرفة واجبه من طاعة لرئيسه الذى يقوده والخادم لسيده ، والطفل لوالده،وأقل الرهبان شأنا لرئيس الدير لا يقرب حتى من الانصياع والطاعـــة والخضوع والاحترام العميق التى تدين بها المـــرأة لزوجها ورئيسها وعاهلها وسيدها . فاذا القى عليها نظرة جادة،فان واجبها أن تغض النظر فورا ، وعليها الاتنظر اليه في وجهه الا حين يريد أن يتحفها بنظرة عذبة من قبله ، وهذا ما تسيء النساء فهمه في أيامنا هذه ، ولكن لاتسيرى على منوال الأخريات ، فيتطرق

اليك الفساد . احذرى ان تقلدى المتأنقات السيئــات
اللاتى تتغنى المدينة كلها بخلاعتهن ، أو أن تستسلمى
لهجمات خبيث ، اعنى الاتنصتى لكلام أى شــاب
مائع . واعلمى انى ، وقد جعلتك نصف شخصى ،
قد اودعتك شرفي ، يا أنييس ، وأن هذا الشرف
غض الاهاب يخدشه اقل شئ ، وأنه لايصح الهزل
في مثل هذا الموضوع قط ، وأنه يوجد في الجحيم
مراجل تغلى احشاؤها ، وفيها يقذف با لنساء ذوات
السلوك السئ حيث يبقين فيها مخلدات . وهذا الذى
اقوله لك ليس ضربا من الغباء ، فيجب عليك أن
تلتهمى هذه الدروس بكل قلبك . فاذا اتبعتها نفسك ،
ونأت بجانبها عن الابتذال فانها ستظل دائما نظيفــة
بيضاء ، كالزنبقة ، أما اذا حادت عن طريق الشرف
فانها حينئذ ستصير سوداء كالفحم ، وستبدين في
أعين الجميع شيئا مروعا ، وستذهبين يوما ، شريكة
للشيطان ، الى الغلى في قرار الجحيم حتى أبد الآبدين
لتحفظك منها رعاية السماء ! فكما يجب على المبتدئ
في الدير أن يعرف طقوسه عن ظهر قلب ، كذلك
يجب على من تدخل حديثا في الزواج ان تفعل .

(ينهض)

وهأنذا احمل في جيبى مكتوبا هاما سيعلمك طقوس
الزوجة . أنا لا أعرف مؤلفه ، ولكن لاشك انــه
انسان طيب . وأريد ان يكون جليسك الوحيد .
خذى . اريني ما اذا كنت ستقرئينه بكل صواب .

أنييس : (تقرأ) وصايا الزواج

أو واجبات المرأة المتزوجــة

ومعها تمارينها اليومية

الوصية الاولى

تلك التى تتيح لها عودة شريفة ان تدخل في سرير
آخر ، عليها أن تضع في ذهنها ، رغم ما هوجار في
أيامنا هذه ، أن الرجل الذى اخذها ، انما اخذها
لنفسه وحده .

أرنولف : سأشرح لك معنى هذا ، ولكن الآن لاتفعلى غير القراءة

أنييس : (تتابع) الوصية الثانية

لايصح لها أن تتزين الا بقدر ما يريد الزوج الذى
يملكها . فهو وحده الذى يعنيه امر جمالها ، ولايهم
في قليل او كثيران يراها الآخرون جميلة أو غير جميلة .

الوصية الثالثة

ولتباعد بينها وبين غمزات العين ، وهذه المحاليل ، وهذه المساحيق وهذه المراهم.وكل تلك المخاليط التى تجعل البشرة غضة مزدهرة ! فهذه العقاقير المرموقة في أيامنا هذه تعتبر سموما مميته ، وحرص الزوجات على أن يظهرن جميلات لا يروق الأزواج مطلقا

الوصية الرابعة

والشرف يوجب عليهن ، اذا خرجن ، أن يخفين طعنات اعينهن تحت اغطية رؤوسهن ، لانه من أجل ان تروق الزوجة للزوج يتحتم عليها الاتروق لأ ى شخص آخر .

الوصية الخامسة

وتحتم قاعدة حسن اللياقة على المرأة الاتستقبل في بيتها أىّ نسمة فيما عدا اولئك الذين يأتون بدعوة من الزوج أما ذوو السلوك اللعوب الذين لايقبلون الا من أجـــل « السيدة » ، فانهم يضايقون » السيد » .

الوصية السادسة

ويجب عليها ان تهتم بتحصين نفسها جيدا ضد هدايا الرجال ، لأنه لا أحد في هذا العصر الذى نعيش فيه يعطى شيئا دون شئ .

الوصية السابعة

ويجب عليها الا تحتفظ في اثاثها ، مهما سبب لها ذلك من ألم ، بأية مقلمة أو حبر أوورق أو قلم ، لأن التقاليد السليمة تحتم أن يكتب الـزوج بنفسه كل ما يكتب في بيته

الوصية الثامنة

هذه المجتمعات المختلطة ، التى تسمى بالمجتمعات الراقية ، كم تفسد كل يوم من عقول الزوجـات ! ولذلك تحتم حسن السياسية تحريمها عليهن ، لانهـا بؤرة الدسائس ضد الازواج المساكين .

الوصية التاسعة

كل زوجة تريد أن تهب نفسها للشرف يتحتم عليها أن تنأى بنفسها عن اللعب ، باعتباره شيئا مشئوما ، لأن اللعب ، ذلك المخيب لكل أمل كثيرا ما يدفعها الى اللعب بكل ما تبقى لديها .

الوصية العاشرة

هذه النزهة العصرية والوجبات التى يمد في الحقول سماطها ، يجب على الزوجة ألا تحاول المشاركـة

فيها : فان كل ذوى العقول النيرة يعرفون ان الزوج
با لنسبة لهذه الهدايا هو الذى دائما يدفع الثمن .

الوصية الحادية عشرة . . .

أرنولف : أكملى قراءتها وحدك ، ولن ألبث ان اشرح لك هذه
الاشياء خطوة خطوة كما ينبغى . أما الآن فقد
تذكرت مُهمة صغيرة : كلمة واحدة سأقولها ثم
أعود فورا والآن ادخلى ، واحتفظى بهذا الكتاب
كأعز شئ يحتفظ به انسان . واذا وصل موثق العقود
فلينتظرنى لحظة .

المنظر الثالث

أرنولف : (وحده) ما أكثرنى توفيقا حين اتخذها زوجة لى
فى مقدورى أن أشكل هذه النفس على ما أهوى :
إنها كقطعة الشمع في يدى أعطيها الشكل الذى يروق
لى . لم أكد أغيب عنها حتى أوشكت على الفجيعة
فيها ، لالسبب آخر غير شدة براءتها ، ولكن من
الأفضل كثيرا للرجل ألا يخطئ المرأة التى يتخذها
زوجة له إلا من قبل هذه الناحية ،فعلاج هذا النوع من
الاخطاء امر يسير : فكل شخص ساذج ينقاد بكل

سهولة للدّروس ،واذا استطاع احد تحويلها عن الطريق المستقيم ، فان كلمتين فارغتين تكفيان لردها اليه .

أما المرأة اللبقة ، فحيوان من نوع آخر : مصيرنا يتوقف على ما في داخل رأسها ، ولاشئ يستطيع تحويله عما يستقر فيه ، وتتلاشى على بابه تعليماتنا . ومن شأن مثل هذه المرأة أن تستخدم ثقافتها في السخرية من وصايانا ، وأن تجعل من جرائمها فضائل في غالب الأحيان ، وان تجد من أجل الوصول الى غاياتها الآثمة ، حيلا تخدع مهارة اكثر الرجال حذقا منهما نحاول ان نتجنب غدرها فان جهودنا تذهب عبثا : المرأة المثقفة شيطان جبل من دسائس ، فما دامت نزواتها قد نطقت با لحكم على شرفنا فى صوت هامس،لم يبق أمامنا إلا أن نخطو هذه الخطوة . وكثير من الناس الامناء يستطيعون حكاية الكثير في هذا الصدد . على كل حال هذا الخفيف الرأس لن يكون له متسع من الوقت للضحك ، لأنه بكثرة ثرثرته سينال ما يستحقه . وهذا هو عيبنا التقليدى ، معاشر الفرنسين : اذا كانت في حوزتهم احدى النعم ، أحسوا وكأن الاحتفاظ بسرها كابوس يكتم أنفاسهم وللمفاخرة الحمقاء لديهم من الإغراء ما يجعلهم يفضلون

الشنق على عدم الكلام . أوه ! ما أشد ما تقع النساء فريسة لاغراء الشيطان ، حين يقبل على اختيار ذوى الرؤوس الفارغة ، حين . . . ولكن ها هـو ذا فلنختبي ولننظر الى أى مدى ستكون خيبة أمله .

المنظر الرابع

هوراسى ، ارنولف

هوراسى : أنا قادم من بيتك ، ويريد القدر ان يقنعنى بأنه لم يرد بعد أن القاك فيه ، ولكنى لن أمل الذهاب اليه ، حتى يحدث لحظة ما أن . . .

أرنولف : أه ! يا الهى ! لا ينبغى أن ندخل في هذه المجالات الفارغة . فلا شئ يضايقنى اكثر من هذه الطقوس ، ولو سمع الناس نصائحى لاستبعدوها من معاملاتهم . انها عادة سيئة ، واكثر النـــاس يضيعون فيها ثلثى او قاتهم بلا جدوى .

(يلبس قبعته)

فلنبدأ دون كلفة . هيه ! قل لى ! ما حال غرامياتك هل تسمح لى ، يا سيد هوراسى ، أن اعرف اين

وصلت فيها ؟ لقد كنت منذ لحظة سارحا في الخيال، ولكنى بعد ذلك انتهيت الى هذه الفكرة : ذلك انى معجب با لسرعة التى حققت بها اولى خطوات نجاحك والحقيقة أننى مهتم بهذا الموضوع بكل جوارحى .

هوراسى : الواقع انه منذ كشفت لك عن قلبى ، أصيب حبى ببعض النكسات .

أرنولف : أوه ! أوه ! كيف ذلك ؟

هوراسى : شاء القدر القاسى ان يرجع بعاهل الجميلة من الريف.

أرنولف : يا للمصيبة !

هوراسى : وأكثر من ذلك ، ويا للأسف الشديد ، انه عرف ما بيننا نحن الاثنين من علاقات خفية .

أرنولف : بحق الشيطان ، من أين عرف هذه المغامرة بتلــك السرعة ؟

هوراسى : لاأدرى ، ولكنه امر أكيد . فقد فكرت في الذهاب خلال الموعد المضروب ، لأقوم بزيارتى القصيرة ، لتلك المفاتن الشابة ، فوجدتها قد تغيرت نحوى نغمة ومحيًا ، وسدت الخادمةوالخادم على الطريق ، وقرعا في وجهى الباب قائلين : ارجع فانك لاتجلب لنا الا المتاعب.

أرنولف : الباب في وجهك ؟

هوراسى : في وجهى .

أرنولف : لقد بالغوا كثيرا .

هوراسى : أردت ان اتحدث اليهم من خلال الباب ، فكان هذا كل ما أجابوا به على كلامى : « لن تدخل ، هذا امر السيد » .

أرنولف : اذن ألم يفتحوا الباب قط ؟

هوراسى : كلا ، ومن الشباك اكدت لى أنييس عودة هذا السيد وطردتنى من هناك بنغمة كلها تعال ، مصحوبة بحجر ألقته علىّ بيدها .

أرنولف : كيف ذلك ، بحجر ؟

هوراسى : بحجر غير صغير الحجم ، أعد خصيصا لزيارتى .

أرنولف : يا للشيطان انهن لسن لينات العريكة كما تبدون . وأنا أجد أن الحال التى أنت عليها تدعو للرثاء .

هوراسى : الحقيقة انى سيئ الحظ بهذه العودة السوداء .

أرنولف : بكل تأكيد ، وأنا مغتاظ من أجلك ، هذا ماأؤكده لك .

هوراسى : هذا الرجل قطع على الطريق .

أرنولف : نعم ، ولكن ليس هذا بالشئ العسير . في وسعك ان تجد أى وسيلة لوصل حبالك من جديد .

هوراسى : يجب أن أحاول بطريقة أو بأخرى ، أن أخدع من هذا السيد يقظته المحكمة .

أرنولف : هذا أمر سهل ، ما دامت الفتاة تحبك أولا وقبل كل شئ .

هوراسى : هذا ما لا شك فيه .

أرنولف : ستنجح في الوصول الى هدفك .

هوراسى : أتعشـــم .

أرنولف : لقد أوقعك الحجر في الارتباك ، ولكن لاينبغى ان تدهش لذلك .

هوراسى : أغلب الظن ، لقد فهمت منذ البداية ان صاحبنا كان هناك ، وأنه هو الذى كان يقود هذه العملية من طرف خفى . ولكن الذى أدهشنى وسيدهشك أنت أيضا ، انما هى حادثة صغيرة سأقصها على مسامعك ، تلك اللفتة الجريئة الّتى قامت بها هذه الفاتنة الشابة، والّتى لم يكن لأحد ان يتوقع صدورها من سذاجتها . في الحقيقة يجب ان نعترف بأن الحب استاذ عظيم :

فهو يعلمنا أن نكون مالم نكنه قط . وكثيرا ما يقلب طباعنا رأسا على عقب ، ويحطم العقبات في صميم طبيعتنا ، وتفعل آثاره المفاجئة فعل المعجزات ، وفي غمضة عين يجعل البخيل متلافا والجبان شجاعا والفظ مهذبا ، ويبعث الشفافية الشاملة في أكثر النفوس كثافة ، ويغدق العقل على أشد النساء براءة ، نعم وهذه المعجزة الأخيرة هى التى انفجرت في نفس أنييس : لأنها وهى تقطع صلتى في هذه العبارات الصريحة « انسحب ، فقد رغبت نفسى عن زياراتك ، وهذا هو جوابى » سقطت تحت قدمى هذه الحصاة أو هذا الحجر الذى أثار دهشتك ، وقد علق به خطاب صغير ، وانى لاعجب إذ أرى هذا الخطاب قد تماشى تماما مع معنى الكلمات ومع الحجر المقذوف. أفلا يدهشك مثل هذا العمل ؟ ألا يعرف الحب فن شحذ العقول ؟ وهل يعارضنى معارض في أن لهيبه الجبار يثير في القلب أشياء مدهشة ؟ ماقولك في هذه العملية وفي هذا المكتوب ؟ ثم ألا تشعر بالتسلية حين تتأمل هذه الشخصية التى تلعب دور عزولى في هذه اللعبة . ؟

أرنولف : نعم ، شخصية مسلية جدا .

هوراسى : اذن فاضحك منه قليلا .

(ارنولف يضحك ضحكة مغتصبة)

هذا الرجل الذى بدأ يلعب دور الشرطى ضد لهيب حبى . الذى تحصن في عقر داره وجعل من الحجر سلاحه ، كما لو كنت أريد أن أدخل بيته بتسلق جـــداره ، الذى أراد في ارتياعه الضحك ، أن يردنى ، فأثار ، من داخل بيته ، جميع أناسه ضدى ، والذى قامت تلك التى أراد أن يمسكها في حالة جهل مطبق باستغلال حيلته نفسها تحت سمعه وبصره ! أما بالنسبة إلى فإنى ، عـــلى الرغم من أنعودته قد ألقت بحبى في أحرج وضع ، آخذ تصرفه هذا على سبيل التسلية بقدر ما يمكن أن يقال ، ولا أستطيع التفكير فيه دون أن أضحك من صميم قلبى ، وفي رأيى أنك ، أنت ، لا تضحك منه بما فيه الكفاية .

أرنولف : (مع ضحكة مغتصبة) لا توأخذنى ، فانى اضحك منه بقدر مااستطيع .

هوراسى : ولكن يجب على ، بحكم الصداقة بيننا ، أن اطلعك على خطابنا . فكل ما يحسه قلبها استطاعت يدها أن تفرغه

فيه ، ولكن عبارات مؤثرة مفعمة بالطيبة والحنان البرئ والسذاجة ، وبالاختصار ، بالطريقة التى تعبر بها الطبيعة الصافية عن أول جروح الحب .

أرنولف : (بصوت منخفض ، جانبا) الخائنة ! هذا هو مبلغ استفادتنا من تعلم الكتابة ، ولقد انكشف لك أمر هذا الفن لاستخدامه ضد نواياى .

هوراسى : (يقرأ) أريد أن أكتب لك ، ولكنى في حيرة من أمرى لا أعرف كيف أبدأ . فلدى أفكار أريد أن تعرفها ، ولكنى لا أعرف ماذا أفعل من أجل أن اقولها لك ، وأرانى أرتاب في كلماتى . ولما كنت قد بدأت أن أعرف أنى تركت دائما في حالة جهل ، فانى أخشى أن اكتب شيئا غير سليم ، وأن أقول أكثر مما يصح أن اقوله . وفي الحقيقة أنا لا أعرف ماذا فعلت بى ، ولكنى احس انى غاضبة إلى حد الموت مما أجبرت على ارتكابه ضدك ، وأنى سأعانى كل آلام الدنيا إذا بعدت عنى ، وانى سأشعر بالراحة إذا كنت لك . ربما كان هناك بعض السوء في قول هذا الكلام ، ولكنى لا أستطيع منع نفسى من قوله ، وأود ألا يكون فيه شئ مما أخشاه . يقال لى ان كل الشبان

مخادعون وانه لا يصح الانصات اليهم ، وان كل ما
تقوله لى لاهدف له الا النيل منى ، ولكنى اؤكد لك
أنى لم استطع حتى الآن ان اتخيل منك هذا ، وأشعر
بالتأثر العميق من كلماتك إلى حد أنى لا أستطيع ان
اصدق انها كاذبة . قل بصراحة ما هو كتنهها ؟ لانى
لما كنت خالية من كل خبث ، فانك تخطئ كل
الخطأ إذا خدعتنى ، واعتقد انه لو حدث ذلك لمت
يأسا .

أرنولف : (جانبا) هيـــه ! الكلبة .

هوراسى : ماذا بـــك ؟

أرنولف : أنا ؟ لاشئ . كل ما في الأمر انى... انى ... « اكُخّ »

هوراسى : هل رأيت قط أعذب من هذه العبارة ؟
هل يمكن ان يوجد اصدق من ذلك تعبيرا عن بساطة
الطبيعة الجميلة رغم التسلط الملعون من جانب سلطة
جائرة ؟ أليس من الجرائم التى قـــد يعاقب عليها
القانون الإقدام بسوء نية على إفساد ذلك الجوهر
الصافي ، عن طريق إمساكه في غياهب الجهل والبلادة
بقصد أن تخبو شرارة عقله ؟ لقد بدأ الحب فى تمزيق

هذا الحجاب ، ولو ساعدنى حسن الحظ ، كما آمل ،
لأقبلت على هذا الحيوان الحقيقى ، هذا الخائن ،
هذا الجلاّد ، هذا التافه ، هذا الفظّ . . .

أرنولف : أستودعك الله .

هوراسى : كيف ! بهذه السـرعة ؟

أرنولف : لقد تذكرت الآن ان لدى مسألة عاجلة .

هوراسى : ولكن لما كانت تحت حراسة شديدة ، ألا تعرف من
الذى يستطاع السماح له بدخول هذا البيت ؟ في هذه
الحالة لن أجد أى حرج في استخدامه ، وليس مما
يشين أن يقدم الصديق لصديقه خدمة من هذا القبيل .
والآن لم يصبح لى في هذا البيت الا أناس يكلفون
برقابتى ، والخادمة والخادم اللذان رأيتهما منذ قليل
لم يريدا أن يخففا من صلابتهما! ويسمعانى رغم ضروب
التظاهر التى أبديتها أمامهما . وقد كان تحت يدى من
أجل مثل هذه الحالات عجوز عبقرية ، بل إذا أردنا
الحقيقة ــ ذات طاقة فوق البشرية ، وهى التى خدمتنى
في البداية على خير وجه أريده . ولكن المسكينة قد
ماتت منذ أربعة أيام .فهل تستطيع أن تجد لى وسيلة ؟

أرنولف : كلا ، بكل صدق ، في مقدورك ان تجدهـا دونى

هوراسي : اذن ، أستودعك الله . لا تنس ان تنظر فيما أسررت به اليك .

أرنولف : (وحده) كم يتحتم على أن اتحمل امامه من ألم مبرح! وكم اعانى من عـــذاب لاخفاء امتعاضى المهلك ! ماذا ! تلك اليقظة التعليمية من فتاة بهذه السذاجة ؟ إنها تظاهرت بذلك أمام عينى ، تلك الخائنة ، أو لعل شيطان روحها قد لقنها ذلك الحذق . وأخيرا هأنذا أكاد اموت بسبب ذلك الخطاب المشئوم أرى أنه ، ذلك الخائن ، قد سحر عقلها حتى استطاع ان يرابط عندها باقصائى عنها ، وهذا هو مبعث يأسى وعذابى القاتل ، انى باختطاف قلبها أتالم ألمين ، ألم الحب الضائع والشرف المراق ، أتلوى غيظا إذ أجد هذا المكان قد اغتصب ، وأتلوى غيظا اذ أجد حذرى وقد خدع ، نعم ، انى اعرف جيدا انه يكفى لعقاب حبها الخليع ، أن أتركها لمصيرها المشئوم ، وأنها هى نفسها التى ستنتقم لى من نفسها ، ولكن مما يغيظ حقـــا أن يفقد المرء مـــا يحب . ياللسماء ! إذا كنت قد فكرت طويلا في هذا الاختيار ، فهل كان من المحتوم ان أوخذ بمفاتنها إلى هذا الحد ! انها لا أهل لها ولا سند ولا مال ، وقد خانت اهتماماتى واحساناتى

وحنانى ، ومع ذلك فانى احبها حتى بعد تلك العملية الخسيسة ، إلى حد أنى لا استطيع التخلص من هذا الحب . أيها الاحمق ، لاأ تشعر بالخزى ؟ آه ! انى أكاد أنفق ، انى أتميز غيظاً وأود لو لطمت وجهى ألف لطمة . أن أدخل لديها بعض الوقت ، ولكن فقط لأرى أية سحنة ستقابلنى بها بعد هذه الوصمة السوداء . أيتها السماء ، أعيننى على أن يظل جبينى مبرءا من كل عار ، والا فان كان مكتوبا على أن أبوء به فهبينى ، على الاقل ، الشجاعة التى يتحلى بها بعض الناس ازاء مثل هذه الحوادث !

الفصل الرابع

المنظر الأول

ارنولف

أرنولف : أعترف أنه يشق على أن أبقى في مكان ، وأن عقلى
مرتبك موزع بين مئات الهموم ، وإذا أردت أن أضع
شيئا من النظام في الداخل وفي الخارج معا ، وقفت
العقبات في سبيل جهودى ، إنها لم تشعر بأى تأثر أمام
كل ما فعلت ، وبالرغم من أنها قد وضعت قاب
قوسين من الموت أو أدنى ، فإن من يراها يعتقد أن
لا علاقة لها بما حدث . كلما نظرت اليها ووجدتها
مطمئنة النفس ، زاد شعورى بغليان الدم في جسمى
ويبدو أن هذه الانفعالات النارية التى تلهب قلبى
تضاعف من حرارة حبى . لقد كنت حانقا عليها
مغتاظا يائسا منها ، ومع ذلك لم تبد لى قط في مثل هذا
الجمال ، لم تبد عيناها قط نفاذتين بهذا القدر بالنسبة
لعينى ، ولم أشعر نحوهما قط بنفس الإحساس بالرغبة

اللاعجة . وفي هذا السبيل أراني أشعر بأن لا مهرب
من الموت إذا كان مصيري أن تتم القطيعة بيننا . ماذا ؟
هل أكون قد أشرفت على تربيتها بكل حنان وحذر !
هل أكون قد آويتها عندي منذ طفولتها ، وعلقت
عليها أسمى الآمال وأحلاها ، وأن يكون قلبي قد
خفق لمفاتنها النابتة ، واعتقدت أني أنضجها من أجلي
خلال ثلاث عشرة سنة ، لكي يأتي شاب مجنون
تعلقت به دون عمق ، فينتزعها مني تحت سمعي
وبصري ، وفي الوقت الذي أصبحنا فيه شبه متزوجين !
كلا وحـــق الشيطان ! كلا وحق الشيطان ! صديقي ،
أيها الأبله الصغير ، انك تدور ،وعبثا ما تدور : فهذا
الأمر إما أن اهلك دونه بكل جهودي ، واما ان اضيع
عليك كل آمالك هباء ، وعلى أية حال لن يتأتى لك
ان تضحك مني . .

المنظر الثاني

ادنولف ، موثق العقود

موثق العقود : أه ! ها هوذا ! طاب نهارك . هأنذا جاهز من أجل
انجاز العقد الذي تريد اتمامه .

أرنولف : (دون أن يراه) ما العمـــل ؟

موثق العقود : يجب تحريره في الصيغة المعتادة .

أرنولف : (دون أن يراه) اريد أن افكر في احتيا طاتى عن كثب .

موثق العقود : لن أسمح باتخاذ شئ ضد مصلحتك .

أرنولف : (دون أن يراه) لابد من الاحتياط ضد المفاجآت .

موثق العقود : يكفى أن تضع مصالحك بين يدى . ولن يتحتم عليك، خوفا من الخداع ، أن تقدم مخالصة عن عقد لم تتسلمه.

أرنولف (دون أن يراه) انى أخشى إذا ما أدى لأمر الى انتشار شئ ، أن يتكلم الناس في المدينة عن هذا الحادث .

موثق العقود : لاتخش شيئا ، فمن اليسير منع أى نشر ، وفي وسعنا أن ننجز عقدنا في السر .

أرنولف : (دون أن يراه) ولكن كيف يجب أن أرتب أمـــرى معها ؟

موثق العقود : المهر يتقرر تبعا لما يحمل اليك من مال .

أرنولف : (دون أن يراه) أنا احبها ، وهذا الحب هو مشكلتى الكبرى .

موثق العقود : في هذه الحالة يمكن عمل تنازلات للمرأة .

أرنولف : (دون أن يراه) ما هى المعاملة التى يجب تطبيقها عليها في هذه المغامرة ؟

موثق العقود : النظام أن يدفع الخطيب للخطيبة ما يعادل ثلث البائنة التى تجلبها ، ولكن هذا النظام لاقيمة له ، ويمكن للمرء أن يتجاوز ذلك إذا أراد .

أرنولف : (دون أن يراه) وإذا . . .

موثق العقود : (وقد أخذ يلمحه أرنولف) أما من جهة التجاوز ، فهو أمر يعنيهما معا . وقد قلت إن الخطيب يمكن أن يمهر خطيبته كما يحلو له .

أرنولف : (وقد لمحه) هـه ؟

موثق العقود : له الحق في أن يخصها ببعض الميزات اذا كان يحبها كثيرا ويريد أن يأسرها ، وذلك يكون بالمهر أو بالمنصوص عليه ، كما يسمونه ، والذى يصبح في حكم المفقود، أو دون عودة بعد موت المذكورة، اذ يؤول الى ورثتها ، أو عن طريق القانون العرفي بحسب الرغبات المختلفة ، أو عن طريق الهبة في صريح العقد سواء أكان مطلقا أو على نظام المشاركة ، لماذا تهز لى كتفك ؟ هل ترانى أتكلم كلاما فارغا ، وأنى لا أعرف

صور العقد ؟ من يجرؤ على تعليمى اياها ؟ لا احد على ما أفترض . ألست أعرف انه با رتباطهما يصبحان مشتركين في المنقولات والأموال والعقارات وما يستجد اللهم الا إذا استبعد شئ من ذلك بنص صريـــح ؟ ألست أعرف ان ثلث ماتملكه الخطيبة يدخل في الشركة من أجل . . .

أرنولف : نعم ، هذا أمر لا شك فيه ، أنت تعرف كل ذلك ، ولكن من كلمك في شئ منه ؟

موثق العقود : أنت الذى تدعى اتهامى بالبله حينما هززت لى كتفيك ومططت شفتيك .

أرنولف : لعنة الله على الانسان وعلى شفتيه القذرتين ! مع السلامة : هذه هى الطريقة التى أفرض عليك بها الانتهاء من خطبتك .

موثق العقود : ألم تستدعونى من أجل تحرير عقد ؟

أرنولف : نعم ، طلبتك ولكن المسألة تأجلت ، وسندعوك حينما يحل الموعد . ما هذا الانسان الغريب بحديثـــه الطويـــل !

موثق العقود : أعتقد انه غير طبيعى با لوراثة ، واعتقادى في محله .

المنظر الثالث

الموثق ، آلان ، جورجيت ، ارنولف

الموثق : (ذاهبا للقاء آلان وجورجيت) ألم تأتيا لاحضاري من أجل سيدكما ؟

آلان : نعم .

الموثق : أنا لا أدرى ما رأيكم فيه ، ولكن اذهبا من فوركما وقولا له من قبلي انه مجنون في اعلى مراتب الجنون .

جورجيت : لن نقصر في تبليغ الرسالة .

المنظر الرابع

آلان ، جورجيت ، ارنولف

آلان : سيدى . . .

أرنولف : اقتربا ، انتما صاحباى الوفيان ، صديقاى الطيبان ، الحقيقيان ، وعندى مصداق ذلك فيما عرفت من أخبار

آلان : موثق العقود . . .

أرنولف : دعونا من هذا ، سيكون ذلك في يوم آخر ، يريد

البعض أن يلوث شرفي عن طريق لعبة قذرة ، فأى اهانة توجه لكم ، يا أولادى ، لو أنهم لوثوا شرف سيدكم ! في هذه الحال لن تكونوا لتستطيعوا الظهور في أى مكان، ولو حدث ، لأشار اليكم كل من يراكم باصبعه . اذن لما كانت تمسكم بقدر ما تمسنى ، فانه يجب عليكم أن تقيموا منكم حراسة تجعل من المستحيل على هذا المتسكع . . .

جورجيت : لقد أعطيتنا درسنا منذ قليل .

أرنولف : ولكن حذار أن تستسلما لأحاديثه المعسولة .

آلان : أوه ! الحقيقة . . .

جورجيت : نحن نعرف كيف نوقفه عند حده

أرنولف : لو جاء بكل لطف ليقول : « آلان ، يا قلبي المسكين قليلا من عونك لتخفيف بعض ما أعانى من انهيار ».

آلان : أنت أبلـــه .

أرنولف : (لجورجيت) حسن ! « جورجيت ، يا جميلتى الصغيرة : أنك تبدين لى على هذه الدرجة من العذوبة والطيبـــة . »

جورجيت : أنت مخادع .

أرنولف : (لآلان) حسن ! « أى ضرر تراه في رغبة شريفة مفعمة با لفضيلة ؟ »

آلان : أنت لـــص .

أرنولف : (لجورجيت) على ما يرام . « لا محيص من موتى إذا لم تأخذك الشفقة بما أعانى من آلام » .

جورجيت : أنت معتوه ، وقح .

أرنولف : (لآلان) حسن جدا « أنا لست من أولئك الذيـــن يطلبون شيئا في مقابل لاشئ ، بل أعرف أن احفظ الجميل لمن يقدم لى مكرمة ، ومع ذلك ، فاليك ، يا آلان ، شيئا من البقشيش مقدما ، وأنت ياجورجيت خذى لكى تشترى لك قميصا .

(يمدان أيديهما لأخذ النقود)

هذه ليست الا عينة من اكرامياتى . وكل ما أطلبـــه اليكما من معروف أن اتمكن من رؤيـــة سيدتكما الجميلة .. »

جورجيت : (تدفعه) قل هذا الكلام لغيرنا ..

أرنولف : كلام طـــيب !

آلان : (يدفعه) أخرج من هنا !

أرنولف : حسن !

جورجيت : (تدفعه) ولكن فورا !

أرنولف : حسن ! لا لا لا لا ! كفاية .

جورجيت : أتراني اجيد عملي ؟

آلان : أعلى هذا النحو تريد أن نفعل ؟

أرنولف : نعم ، حسن جدا ، فيما عدا النقود التي كان ينبغي ألا تأخذاها .

جورجيت : إننا لم نتذكر هذه النقطة .

آلان : أتريد أن نبدأ التجربة من جديد ؟

أرنولف : كـــــلا .

آلان : ما عليك الا أن تأمر . .

أرنولف : قلت لكما كلاّ ، ادخلا ، هذا ما أريده . وقد تركت لكما النقود ، اذهبا ، وسألحق بكما . افتحا أعينكما على كل شئ ، وبجهودكما ، دعّما جهودى .

المنظر الخامس

ارنولف

أرنولف : (وحده) أريد أن اتخذ من هذا الاسكافي القابع على ناصية الشارع جاسوسا لى ، عينا مفتوحة لا تغفل عن

شئ . وفي البيت سأمسكها دائما ، سأشدد عليها الحراسة ، وبوجه خاص سأحرم الاقتراب منه على بائعات الاشرطة والشعر المستعار مصففات الشعر وصانعات المناديل وتاجرات القفازات وعموم البائعات الجائلات ، وكل هؤلاء النساء اللاتى يعملن كل يوم بتوجيه من غيرهن للمساعدة في انجاح اسرار الغرام. وأيا ما كان فانى قد خالطت الناس وعرفت أدق حيلهم ولا بد أن يكون صاحبنا على أكبر جانب من المهارة ، وحسن الحيلة اذا نجح في ايصال خطاب أو رسالة حب .

المنظر السادس

هوراس ، ارنولف

هوراس : من حسن التوفيق أن أقابلك هنا في هذا المكان . وأقسم لك أنى إنما نجوت الآن بأعجوبة . فقد تركتك ولم يكن يخطر ببالى أن أقع في مغامرة ، ثم لمحت أنييس تظهر وحدها في الشرفة لتتفيأ نسيم الأشجار القريبة من منزلها ، فأشارت الى ثم دبرت أمرها لتنزل الى الحديقة حيث فتحت لى بابها ، ولكن لم نكد نستقر نحن الاثنين في غرفتها حتى سمعت وقع أقدام غيورها

على درج السلم ، وفي هذا المكان المغلق لم تستطع الا أن تحبسني في دولاب كبير . ودخل الأخ : لم أكن أراه ، ولكن كنت أسمعه يسير بخطوات واسعة دون أن ينبس بكلمة ، ومن حين لحين يصدر زفرات تثير الرثاء له ، وفي بعض الاحيان كان يقرع المناضد بضربات قوية من جمعة يده ، وينهال بالضرب على كلب صغير كان يرى أنه عصبي الحركة ، وقد يقذف فجأة بما يقابله من ملابس وأدوات ، بل لقد كسر بيده المتمردة بضع زهريات كانت الجميلة تزين بها مدفأتها ، فلا بد ، في أغلب الظن ، أن يكون قد وصل إلى هذا المنقار المعقوف بعض أخبار اللعبة التي لعبتها . واخيرا ، وبعد عشرين جولة وجولة من هذا القبيل ، كان غيورى قد افرغ غضبه على ما لايستطيع له خيرا ولا نفعا ، فخرج من الغرفة مثقلا بالقلق ودون أن يفصح عن همومه ، وخرجت أنا أيضا من محبسي . وبعدها لم نشأ ــ خوفا من الشخص آنف الذكر ــ أن نغامر بالبقاء معا وقتا آخر : ففي ذلك ما فيه من مخاطرة وخيمة العواقب ، ولكني خلال هذه الليلة ، سأذهب في وقت متأخر إلى حجرتها وأتسلل إلى داخلها دون ضجة ، ذلك أني سأعلن عن وصولي بأن اسعل

ثلاث مرات ، وعند هذه الاشارة سأرى شباكا يفتح ، ومنه سيقودنى حبى إلى الدخول حيث أريد بواسطة سلم ومعونة أنييس : ولما كنت صديقى الوحيد ، فقد أردت أن احيطك علما بما سأفعل . فان بهجة القلب تزداد بانتشارها ، ولو ذاق المرء طعم السعادة الكاملة مائة مرة ، لما كان لها من اللذة بالنسبة له مثلما يكون لها لو علم بها الآخرون . وأعتقد انك تشاطرنى سعادة مشروعاتى . أتركك بخير ، سأذهب للتفكير فيما يلزمنى من أشياء .

المنظر السابع

ارنولف

أرنولف : (وحده) ماذا ؟ هذا النجم الذى يصر على القاء اليأس في نفسى ، ألن يسمح لى بهدنة قصيرة من الوقت آخذ فيها نفسى ؟ هل سيتحتم على أن أرى حذرى وخططى الواعية تنهار واحدة بعد أخرى بسبب تفاهمهما ؟ هل سأصبح ، وأنا في أوج نضجى ، ألعوبة فى أيدى صبية ساذجة وغلام مأفون ؟ لقد مكثت عشرين عاما أتأمّل مصائر الازواج الحزينة تأمل الفيلسوف

الحكيم ، وأستخرج لنفسى العظات من جميع الأحداث التى توقع أكثر الناس حذرا في هاوية الشقاء ، ولما اعتزمت الزواج أردت ، في صميم نفسى ، أن استفيد من مصائب غيرى ، فبحثت عن الوسائل التى تحمى جبينى من علامات العار ، وفي الوقت نفسه أباعد بينه وبين جبين الآخرين . ومن أجل هذا القصد الشريف قمت بتطبيق كل ما اهتدت إليه السياسة البشرية . وكأن القدر قد أراد ألا ينجو إنسان على وجه الأرض من ذاك المصير ، فبعد كل التجارب والبراهين التى استطعت تحصيلها في هذه السبيل ، بعد عشرين عاما أو يزيد من التأمل الذى كان من شأنه أن يقودنى بحذر في كل الأمور ، أأكون قد افترقت عن طريق الأزواج جميعا لأجد نفسى في النهاية أعانى نفس المصير ؟ لا ، كذبت أيها القدر السفاح ، فانى لا أزال أمسك بمقدرات الهدف الذى أسعى اليه ، وإذا كان قلبها قد سرقه هذا المائع المشئوم ، فسأمنعه ، على الأقل ، من الاستيلاء على ما تبقى ، وإذا كانا قد حددا هذه الليلة موعدا لمغامرتهما الغرامية ، فانها لن تمر على نحو ما ينتظران من عذوبة . وانه لمن دواعى سرورى — بين جميع ما يحيط بى من أحزان —

أن أحاط علما بالفخ الذى ينصب لى، وان يكون هذا المخبول الذى يريد أن يقضى علىّ قد اتخذ غريمه موضع اسراره .

المنظر الثامن

كريسالد ، ارنولف

كريسالد : هيه ، هل سنتناول العشاء قبل النزهة ؟

أرنولف : كــلا ، أنا صائم هذا المساء .

كريسالد : من أين جئــت بهذه البدعة .

أرنولف : أتوسل اليك ألا تؤاخذنى : فلدى متاعب أخرى .

كريسالد : وزواجك المزمع ، ألن يتم ؟

أرنولف : الاشتغال بأمور الآخرين ضرب مــن الفضول .

كريسالد : أوه ! أوه ! بهذه السرعة المفاجئة ؟ ! ماهى الأتراح التى تعانيها ؟ أيتعلق الأمر ، أيها الصديق ، بمفاجأة أليمة اعترضت طريق غرامك ؟ أكاد أجزم بهذا ، مما يبدو على وجهك .

أرنولف : مهما حدث لى ، فانى أمتاز ، على الأقل ، بأنى لا أشبه بعض الناس الذين لايقلقهم قدوم العشاق .

كريسالد : إنه لأمر غريب أن نراك تتهافت بكل هذا الحماس على تلك المسألة ، وأن تجعل من ذلك مصدرا للسعادة الكبرى ، وألا تتصور شرفا في العالم غير هذا الشرف ، واذا كان الانسان بخيلا أو فظا أو منافقا أو شريرا أو جبانا فلا اهمية لكل ذلك في رأيك بجانب هذه الصفة. ومهما كان نوع الحياة التى يحياها الانسان ، فانك تعتبره رجلا شريفا ما دام لم يكن ديوثا . ولو نظرنا الى جوهر الأمر لسألتك لماذا تريد أن تعتقد بأن مجدنا يتوقف على هذه الحالة العرضية ،ولماذا يلام شخص طيب المحتد على جوْر شَرٍّ لم يستطع له دفعا ؟ أقول لماذا تريد من المرْ اذا اختار الزواج بامرأة ان يكون أهلا للمديح أو الملام على هذا الاختيار ، وأن يجعل من العار الذى تسببه له عدم أمانتها غما مليئا بالمتاعب؟ ضع في ذهنك انه يمكن للمرء ، باعتباره انسانا مجاملا ، أن يصنع من الدياثة صورة احلى مما تتخيل ، وأنه لما لم يكن احد محصنا ضد مفاجآت الصدف فانه يجب عليه الا يبالى بهذه الحادثة ، وأن كل الضرر انما يكمن في

النهاية ، في الطريقـــة التى يستقبل بها المرء هذا الأمر ، بالرغم من انتقاد الناس له ، لأنه ، لكى ينجح الانسان في مواجهة هذه المصاعب ، يجب عليه هنا ، كما في كل أمر آخر ، أن يتجنب التطرف في كلا السبيلين ، فلا يحاكى هؤلاء الأشخاص المسرفين في الطيبة الذين يجعلون ذلك النوع من المسائل موضع فخر لهـــم ، ولا يكفون عن الاشادة بعشاق زوجاتهم ، وفي كل مكان يعددون ويفاخرون بمواهبهم ، ويظهرون نحوهم أوثق علاقات الصداقـــة ، ويتقاسمون هداياهـــم ويشاركون في حفلاتهم ، ويسلكون سلوكا يجعـــل الآخرين يدهشون بحق من أن تكون لديهم الجرأة على الظهور أمام الناس . لاشك أن هذا السلوك جدير بكل ملام ، ولكن التطرف في الجانب الآخر ليس اقل منه استحقاقا للاستهجان . واذا كنت لا أرحب بأصدقاء عشاق زوجاتهم هؤلاء ، فانى أيضا لست بجانب أولئك الأشخاص المندفعين الذين يؤدى حزنهم الملئ بالإبراق والارعاد الى أن يجتذب بما يثير من ضوضاء أعين الناس جمعاء . والذين يبدون وكأنهم بذلك الضجيج يريدون ألا يبقى أحد جاهلا بما يحيق بهم . وبين هذين الموقفين يوجد موقف مشكور عنده يتوقف الرجل الحـــذر .

واذا عرف أن يتخذ هذا الموقف، فانه لا يرى نفسه مضطرا للخجل من أسوأ ما يمكن لامرأة أن تصنعه بنا واخيرا فان الدياثة – مهما قال فيها القائلون – يمكن مواجهتها بسهولة في صورة أقل بشاعة ، وكما قلت لك تنحصر المهارة ، كل المهارة ، في أن نعرف كيف نديرها الى ناحيتها المرحة .

أرنولف : بعد هذه الخطبة الجميلة لم يبق أمام اعضاء الجمعية اياها الا أن يتقدموا لسماحتكم بكل شكر ، ولا شك أن كل من يقبل على سماع خطابكم، سيتقدم بكل سرور لالتماس عضويتها .

كريسالد : أنا لا أقول ذلك ، لأن هذا هو السلوك الذى أرى انه يستحق اللوم ، ولكن لما كان هذا هو المصير الذى تفرضه علينا امرأة ، فانى أقول : يجب علينا أن نتصرف هنا تصرفنا في لعبة الزهر ، حيث يتحتم علينا – اذا لم يأتنا الزهر بما كنا نتمنى – أن نلعب بمهارة ، وأن نلتزم الاستعاضة بحسن التصرف عما رمتنا به الصدفة .

أرنولف : يعنى أن نأكل وننام بالكمال والتمام ونقنع أنفسنا بأن كل شئ على ما يرام .

كريسالد : أنت تبغى السخرية ، ولكنى لا أنافقك اذا قلت لك انه يوجد في العالم مئات الاشياء أدعى الى الخوف ، ولو حدث لى شئ منها لكان أشد ايلاما من ذلك الحادث الذى يخيفك وقوعه الىهذا الحد. ألا تظن أنى لوخيرّت بين أمرين مقدرين علىّ ، هما الدياثة وهذا الذي سأحدثك عنه لاخترت الأول ، وذلك أن أكون مثلا زوجا لنساء عفيفات يدفعهن سوء الطبع الى أن يقمن قضية من كل شئ . فان أولئك التنّينات الفضليات والشيطانات العفيفات يتذرعن بما يعتقدن انها بطولات حكيمة فيدعين لانفسهن – من أجل خطأ بسيط لم يرتكبنه ضدنا – كل الحق في أن يعاملن الناس من أعلى الى أسفل ، ويردن منا بحجة وفائهن لنا أن نتحمل منهن كل مايلقين علينا من أوزار . بقى شئ آخر يا صديقى ، وهو أنه يجب أن تعلم أن الدياثة ليست إلا ما يريده الإنسان منها أن تكون، فقد يتمناها الانسان لاسباب معينة ، كما أن لها مباهجها كأى شئ آخر .

أرنولف : اذا كان في طبعك ما يجعلها محببة الى نفسك ! أما أنا فلا يسمح لى طبعى بمجرد تذوقها ، وانى لأفضل الأمر الثانى ألف مرة على معاناة مثل هذه المغامرة . . .

كريسالد : يا الهى ! لاتحلف مخافة أن تحنث . فانه اذا كان القدر قد كتب عليك ذلك ، أصبحت كل مجهوداتك عبثا لا طائل من ورائه ، ولن يؤخذ رأيك فيما لابد أن يقع .

أرنولف : أنا ! أصبح ديوثا ؟

كريسالد : بل أنت مريض ! فهناك آلاف منهم لايجول ببالهم أن يواجهوك بهذه الوقاحة ، وكلهم لايقارنون بك من حيث الشكل والقلب والمال والأصل .

أرنولف : وأنا أيضا لا أحب أن اواجههم بأية وقاحة . ولكن ، بكل اختصار ، هذه السخرية تثيرنى : فلنقف عند هذا الحد ، من فضلك .

كريسالد : أنت في أشد حالات الغضب . ولن نلبث أن نعرف السبب استودعك الله ، وتذكر أنه مهما أوحى اليك شرفك بأفكار حول هذا الموضوع . فان مجرد قسم المرء بألا يصبح الشخص ، الذى أجملنا وصفه الآن ، معناه أنه قد قطع نحو الوصول إليه نصف الطريق .

أرنولف : أما أنا فانى أكرر القسم مرة أخرى ، وسأذهب من فورى لايجاد علاج ضد هذا المصير .

(يجرى ويقرع بابه .)

المنظر التاسع

ارنولف ، آلان ، جورجيت

أرنولف : ايها الصديقان ، جئت الآن لالتماس عونكما . أنا واثق من حبكما لى ، ولكن ، في هذه المناسبة ، يجب أن يكون هذا الحب مدويا . واذا خدمتما لى بمايحقق ثقتى فيكما ، فقد حق لكما أن تتأكدا من عرفانى . ذلك أن الرجل الذى تعرفانه (حاذرا أن تثيرا حوله أى ضوضاء) يريد ، كما علمت ، أن يهاجمنى هذه الليلة عن طريق تسلق الجدار والدخول الى حجرة أنييس ، ولكن يجب علينا نحن الثلاثة ان ننصب له كمينا ، وأريد ان يمسك كل منكما بعصا غليظة ، وعندما يقترب من آخر درجات السلم (لأنى سأفتح الشباك في الوقت المناسب) عليكما أن تتنافسا في الانهيال على الخائن بالضرب ، ولكن بصورة تترك في ظهره من ضربكما ذكرى لاتمحى وتعطيه درسا في ألا يعود الى فعلته مرة أخرى ، ومع ذلك لايصح أن تذكرا اسمي بأية حال ، وألا يصدر عنكما ما ينم عن وجودى من خلف هذا العمل . فهل لديكما من صلابة العزم ما يمكنكما من شفاء غليلي ؟

آلان : اذا كان الأمر لا يتوقف الا على الضرب ، فهذه ، والله هى هوايتنا ، وسترى انى سأضرب بيد من حديد.

جورجيت : أما يدى ، فانها تبدو ضعيفة أمام الانظار ، ولكنها لن تترك نصيبها في تحطيمه

أرنولف : ادخلا اذن ، ولكن احذرا الثرثرة بوجه خاص .

(وحــده)

هذا درس مفيد على وشك الحدوث ، ولو أن كـــل الازواج في هذه المدينة استقبلوا عشاق زوجاتهم بهذه الطريقة ، لما وصل الديوثون الى هذا الحد من الكثرة .

الفصل الخامس

المنظر الأول

ارنولف ، آلان ، جورجيت

أرنولف : أيها الخونة : ماذا فعلتم بهذا العنف ؟

آلان : لقد اطعنا أوامرك ، ياسيدى .

أرنولف : عبثا تدافعون عن أنفسكم بهذا العذر ، كان أمرى اليكم أن تضربوه ، لا أن تقتلوه وقد قلت لكم ان يكون اخماد العاصفة بالضرب على الظهر لاعلى الرأس. يا إلهى ، في أى مصيبة ألقى بى القدر هنا ! وماذااستطيع أن افعل اذا مات هذا الرجل أمام عينى ؟ ادخلاالبيت ، وإياكما أن تقولا شيئا عن هذا الأمر البرئ الذى اصدرته اليكما .

(وحده)

قارب النهار على الطلوع ، وسأذهب لطلب المشورة فيما يجب عليّ أن أفعل في هذه المصيبة . واأسفاه ! ماذا سيكون حالى ؟ وماذا سأقول لوالده عندما يفاجـــــأ بهذا النبأ ؟

المنظر الثاني

هوراسى ، أرنولف

هوراسى : (جانبا) لا بد أن أذهب لأعرف من يكون هذا الرجل

أرنولف : (معتقدا أنه وحده) هل كان في الامكان التنبؤ بما كان؟

(يصطدم بهوراسى الذى لا يتعرف عليه)

من الذى يسير هنا ، من فضلك ؟

هوراسى : أهو أنت ، يا سيد أرنولف ؟

أرنولف : نعم ، وانت ؟ . . .

هوراسى : أنا هوراسى . لقد كنت على وشك الذهاب اليك في بيتك لألتمس منك مكرمة . انك مبكر جدا في الخروج

أرنولف : (بصوت منخفض ، جانبا) يا لها من ربكة ! أهذا سحر ؟ أهذا وهم ؟

هوراسى : الحقيقة انى كنت في ورطة كبيرة ، وأشكر الله على عظيم كرمه الذى جعلنى ألتقى بك في اللحظة المرجوّه. لقد جئت ابشرك بأن كل شئ قد تم بنجاح ، بل بأبعد مما كنت اطمع فيه بكثير ، وذلك بفضل حادث صغير كان من شأنه أن يحطم كل شئ ! لست أدرى كيف استطاعوا أن يصلوا الى معرفة العلامة التى رسمتها لى ولكنى لم اكد الحق بالشباك حتى رأيت ، على غير ما أمّلته ، بضعة اشخاص يظهرون امامى ، وبادر كل منهم برفع ذراعه علىّ ، وقد أدت هذه المفاجـأة الى انزلاق قدمى والسقوط على الأرض . وهذه الوقعـة وان كانت قد تركت في جسمى الكثير من الرضوض والسجحات ، فقد انقذتنى من المخاطرة بتلقى العشرات من ضربات العصا . وقد ظن هؤلاء الأشخاص الذين كان من بينهم عذولى في اغلب الظن ، أن سـقوطى يرجع الى تأثير طعناتهم . ولما كان الألم الذى أصابنى قد اضطرنى إلىأن ابقى وقتا طويلا فيمكانى دون حراك ، فقد ظنوا بكل تأكيد انهم قتلونى ، فاستولى عليهـم جميعا نوع من الارتياع ، وكنت اسمع اصواتهم وسط سكون الليل العميق ، وكل منهم يتهم الآخر بهـذا الفعل العنيف . ومن خلال الظلام الدامس جاءوا ،

وهم يسبون الأقدار ، كى يجسوا جسمي ويعرفـــوا
ما اذا كنت قد لقيت حتفي. وفي وسعك أن تتصور الى
أيّ حد استطعت في هذه الظلمة الحالكة ان احتفـــظ
لوجهي بقناع الموت الحقيقي . فانسحب الجميع وهـــم
في حالة ارتياع تام . وبينما كنت افكر في الخروج من
هذا الموت المفتعل ، اذا بي المح الشابة انييس تقبل نحوى
مشفقة مسرعة مبهورة الأنفاس. ذلك ان الحديث الذى
تبادله هـــؤلاء الناس فيما بينهم كان قـــد وصل الى
مسامعها . ولما كانت الرقابة عليها قد تراخت بعـــض
الشيء بسبب هذا الاضطراب فقد استطاعت التسلل من
مخدعها بكل سهولة . وحين رأت انى لم اصب بأذى ،
انفجر كل كيانها بهـــزة من السرور مـــن المستحيل
محاكاتها . ماذا ترانى أقول ؟ اخيرا انصتت هذه الفتاة
المحبوبة الى صوت حبها ، ولم يدر بخلدها لحظة واحدة
إن تعود الى بيته ، وعهدت الى ضميرى بكل مصيرها.
فتأمل قليلا امر هذه البراءة ، وانظر الى أى خطـــر
كانت تعرضها تلك الحماقة المتعالية لشخص مجنون ،
وأى مهالك مفجعة كانت في سبيل الانحدار اليهـــــا
لو كنت انا الآن أكنّ لها من الحب أقل مما أكنّ لها !
ولكـــن نفسى محاطـــة من كل جوانبها بحبها ، وانى

لأفضل الموت على التغرير بها ، اذ أرى أن محاسـنها ترشحها لمصير آخر ، وفي عزمي ألا يفرق بيني وبينها سوى الموت . واني لأرى منذ الآن كيف ستكون ثورة الوالد ، ولكنا سنبذل كل جهدنا لكسر شوكة غضبه ، أما أنا فقد استسلمت لهذا السحر العذب ، كما أعتقد اخيرا انه ينبغي للمرء في الحياة ان يسعى لسعادته. والآن ما اريده منك — على أن يظل سرا مصونا بيننا — هو أن أضع هذه الجميلة بين يديك ، وأن تفسح لهـا ، باسم نيران حبي ، مأوى في بيتك لفترة يوم أو يومين على الأقل . ذلك انه يجب إخفاء أمر فرارها عن أعين الناس حتى تحول بينهم وبين مطاردة ناجحة ، فضلا عما لايخفى عليك من أن وجود فتاة مع شاب من شأنه أن يثير الشكوك . ولما كنت أنت الذى افضيت اليك بكل أسرار حبي ، ووثوقا مني في رزانة عقلك، فانت ايضا ، ايها الصديق الكريم ، الشخص الوحيد الـذى استطيع أن اودعه كنز هذا الحب . .

أرنولف : أنا في خدمتك ، وهذا ما تستطيع أن تكون واثقا منه.

هوراسى : أتسمح حقا بأن تقدم لى هذه الخدمة الجليلة ؟

أرنولف : قلت لك بكل سرور ، وأنا اشعر بسعادة غامرةلسنوح

هذه المناسبة التى أستطيع أنأقدم لك فيها بعض الخدمة ، وأشكر الله على أن أتاحها لى ، وتأكد أنى لم أعمـــل في حياتى عملا بمثل هذه البهجة .

هوراسى : انى مدين لك بكل افضالك ! وكنت خشيت أن ألاقي لديك بعض الصعوبات ، ولكنك رجل مجتمع ، وتأبى عليك حكمتك الا أن تتعاطف مع غرام الشباب المتأجج إن أحد رجالى يقوم بحراستها على ناصية هذا المنعطف .

أرنولف : . ولكن كيف ستتصرف ؟ لأن النهار قد بزغ ، وربمـــا رآنى بعض الناس لو أخذتها معي من هنا ، واذا جئت معى الى البيت ورآك خدمى ، فانهم سيتكلمون. فلكى ننجز المسألة بكل أمان ، يجب أن تحضرها لى في مكان يخيم عليه الظلام . وجرى المورق مناسب جدا ، ومن ثم سأنتظرها فيه .

هوراسى : هذه احتياطات من المفيد جدا أن نتخذها . أما مـــن جهتى فلن أفعل الا أن اسلمها لك في يدك ، وبعدهـــا سأعود الى بيتى دون ضجة .

أرنولف : (وحده) ياحسن الطالع ! ان هذه الصدفة المواتيـــة ستصلح كل الشرور التى ارتكبتها ضدى نزواته .

(يغطى انفـــه بمعطفه) .

المنظر الثالث

أنييس ، هوراسي ، ارنولف

هوراسي : (لأنييس) : لا تبتئسى من أجل المكان الذى سأقودك اليه . إنه مسكن مضمون ، هذا الذى سأقدمه اليك . فاقامتك معى معناها هدم كل ما بيننا ادخلى من هذا الباب ، وهناك من سيقودك .

(أرنولف يأخذ بيدها دون أن تتعرف عليه)

أنييس : (لهوراسي) لماذا تتركنى ؟

هوراسي : عزيزتى أنييس ، هذا مالا بد منه .

أنييس : أتوسل اليك ، فكر في ألا تتأخر عن المجئ .

هوراسي : هذا ما تدفعنى اليه نيران حبى .

أنييس : حينما لا أراك ، لا أشعر بأية بهجة .

هوراسي : وأنا ايضا يبدو على الحزن ، إذا لم تكونى موجودة .

أنييس : واأسفاه ! لو صح ذلك لبقيت معى هنا .

هوراسي : ماذا ! أتستطعين الشك في حبى الأقصى ؟

أنييس : كلا ، ولكنك لا تحبنى بقدر ما أحبك .

(أرنولف يجذبها)

أشعر أن يدا تجذبني بكل شدة .

هوراسي : لأنه من الخطر ، ياعزيزتي أنييس أن نرى معا في هذا المكان ، وهذا الصديق الصدوق الذى تعجلك يده يدفعه الحماس الحذر الذى لايبديه الا من أجلنا .

أنييس : ولكن ذهابي مع شخص مجهول لا . . .

هوراسي : لاتخشى شيئا : فبين هذين اليدين لن يصيبك الا الخير.

أنييس : ولكنى أجدنى أحسن حالا بين يدى هوراسى .

هوراسي : وسأكون . . .

أنييس : (لمن يمسك بها) انتظـــر . . .

هوراسي : وداعا ، إن الضوء يطردنى .

أنييس : متى سأراك ؟

هوراسي : قريبا ، بكل تأكيد .

أنييس : سأظل على أحر من الجمر حتى هذه اللحظة !

هوراسي : (ذاهبا) حمدا لله ، لم تعد سعادتى في موضع منافسة ، والآن أستطيع النوم باطمئنان .

المنظر الرابع

ارنولف ، انييس

أرنولف : (الأنف مغطى بالمعطف ، ومغيرا صوته) تعالى ، فليس هذا المكان هو الذى سأنزلك فيه ، فقد اعددت لك مكانا آخر ، أريد أن اضع شخصك في مكان أمين .

(يكشف عن شخصيته)

أتعرفيننى ؟

أنييس : (وقد عرفته) هـــوه !

أرنولف : إن وجهى ، أيتها الفاجرة ، يلقى الرعب على كل مشاعرك في هذه المناسبة وأنت ترينني هنا على مضض . أما أنا فأعكر في مشروعاته صفاء ذلك الحب الذى استولى عليك .

(أنييس تنظر فيما إذا كانت سترى هوراسى .)

لاتنادى بنظرات عينيك ذلك العشيق لمساعدتك : إنه أبعد من أن يقدم لك النجدة . أه ! أه ! تلقين هذه الألاعيب وما تزالين شابة ! كانت سذاجتك التى تبدو معدومة النظير ، تتساءل عما إذا كان الأطفال يولدون

ن الآذان ، وانت تعرفين كيف تضربين مواعيد
الليل ، وتفرين بكل سكون لكى تتبعى عشيقك !
ياللشيطان ! كم يسيل الحنان من لسانك وأنت معه
! كما لو كنت متخرجة في إحدى المدارس البارعة .
أى شيطان عاملك هذا في دفعة واحدة ؟ لم تعودى
إذن تخافين الالتقاء بالعفاريت ؟ وهذا العاشق ، لقد
زودك ، بالكثير من الجرأة أثناء الليل ؟ آه ! ايتها
الفاسدة ، أيصل بك الرياء إلى هـــذا الحد ! وتبيتين
هذه الخطة رغم كل ما قدمت لك من احسان ! أيتها
الرقطاء الصغيرة ، لكم أدفأتك بين ذراعى ، وبمجرد
أن احسست بالدفء ، تحرك فيك طبعك الجحود ،
فسعيت إلى ايذاء من اشفق عليك !

أنييس : لماذا تصيح في وجهى ؟

أرنولف : الواقع انى مخطئ كل الخطأ !

أنييس : أنا لا أرى شرا في كل ما فعلت .

أرنولف : الفرار مع عاشق ليس فعلا فاضحا ؟

أنييس : هذا ! رجل يقول إنه يريدنى زوجة له . وقد اتبعت
دروسك حين كنت تنصحنى بأنه لابدّ من الزواج
من أجل تجنب الخطيئة .

أرنولف : نعم، ولكن من هذه الجهة كنت أنا الذى أريد أن اتخذك لى زوجة ، ويبدو لى أنى قلت لك ذلك بما فيه الكفاية .

أنييس : ولكن إذا اردت أن نكون صرحاء فيما بيننا ، فانه من هذه الناحية أقرب منك الى ذوقي . الزواج بالنسبة اليك امر كريه وأليم ، وأحاديثك عنه تصوره في صورة بشعة ، أما هو ، فوا أسفاه ! انه يجعل منه شيئا مفعما بالمباهج والمسرات ، حتّى انه يثير الرغبة لدى من يسمعه .

أرنولف : آه ! معنى ذلك أنك تحبينه ، يا خائنة !

أنييس : نعـــم ، احبه .

أرنولف : وتبلغ بك الوقاحة أن تقولى ذلك لى أنا !

أنييس : لماذا لا أقوله ، اذا كان حقا ؟

أرنولف : ألم يكن بدّ من حبه ، أيتها الوقحة ؟

أنييس : واأسفاه ! هل كان ذلك بارادتى ؟ انه هو وحده السبب ، ولم أكن أنا افكر في ذلك حين تم ذلك .

أرنولف : ولكن كان يجب عليك أن تطردى هذه الرغبة الغرامية.

أنييس : وما الوسيلة لطرد ما يجلب المتعة والسرور ؟

أرنولف : ألا تعرفين أن ذلك يحزنني ؟

أنييس : أنا ؟ مطلقا . أي ضرر يمكن أن يلحقه بك ؟

أرنولف : نعم : كان يجب أن يكون لدى من الاسباب مايدعوني الى الابتهاج به . أنت اذن لاتحبينني من هذه الناحية ؟

أنييس : أنـــت ؟

أرنولف : نعـــم .

أنييس : لا . وا أسفـــاه !

أرنولف : كيف لا ؟

أنييس : أتريدني أن أكذب ؟

أرنولف : لماذا لاتحبينني ، ياسيدتي المتبجحة ؟

أنييس : يا الهي ! أأنا التي يجب أن تلومني على أنك لم تعمل مثله على أن تجتذب حبي ؟ أنا لم أمنعك من ذلك عـــلى ما أظن .

أرنولف : لقد حاولت ذلك بكل قواي ، ولكن الجهود التي بذلتها ضاعت على كلها .

أنييس : اذن فالحقيقة انه يعرف ، في هذا المجال اكثر مما تعرف ، لأنه لم يجد أية صعوبة في اجتذاب حبي .

أرنولف : (جانبا) انظر ، كيف تفكر الحقيرة وكيف تجيب !
ألا سحقا لها ! هل تقول إحدى المتحذلقات اكثر من
ذلك ؟ لقد أسأت فهمها ، وربى ! ففى هذا المجال
تعرف أية معتوهة أكثر مما يعرف أمهر رجل .
(لأنييس)
اذا كان عقلك قد برع في المنطق الى هذا الحد ،
ايتها المنطقية الجميلة ، فهل سأظل وقتا طويلا اغذيك
من أجله على حسابى ؟

أنييس : كلا ، بل سيرّد اليك كل ما انفقته حتى آخر مليم .

أرنولف : (جانبا) لها بعض الكلمات التى تضاعف من ايلامى .
(بصوت عال)
هل يستطيع بكل امكانياته ان يرد الى ، أيتها الغادرة ،
جميع المكرمات التى تدينين لى بها ؟

أنييس : أنا لا أدين لك بالشئ الكثير منها ، كما قد يظن .

أرنولف : ألا يعتبر شيئا يذكر ما أنفقت من مجهود في تربيتك
طفلة ؟

أنييس : الحقيقة انك أبدعت في هذا المجال ، وسلكت في
تعليمى كل ما تعلمته مسلكا يدل على سعة حيلتك !

أتظن انى افخر بنفسى ، وأنى لا احكم على نفسى ، بناء على ما أعرف انه في رأسى ، بأنى احـــدى العجماوات ؟ أنا نفسى أشعر بالعار مما أنا فيه ، ولم أعد أريد أن أمتدح بالبله ، اذا استطعت الى ذلك سبيلا .

أرنولف : أنك تفرين من الجهالة ، وتريدين ، مهما كلفك الأمر ، أن تتعلمى شيئا ما من هذا الأشيقر .

أنييس : في أغلب الظن . وهو الذى من معينه أعرف ما أستطيع معرفته ، واليه أدين بأكثر مما أدين لك على ما أعتقد .

أرنولف : لا أدرى ماذا يمسك بيدى عن عقاب فتاة شرهة على هذه الوقاحة في حديثها . انى اتميز غيظا من برودها اللاذع ، وقد كان يمكن لبضع طعنات بجمعة اليد أن تشفى غليل قلبى .

أنييس : وا أسفاه ! تستطيع ذلك اذا كان يحلو لك فعله .

أرنولف : (جانبا) هذه الكلمة وهذه النظرة تنتزعان سلاح غضبى ، وتعيدان الى حنان قلبى الذى يمحو تأثيره سواد نفسى . انه لشئ غريب هذا الحب ، وأن يكون الرجال أمام هؤلاء الخائنات عرضة لكل تلك الضروب من الضعف ! العالم كله يعرف نقصهن : وأنهن لسن الاجنونا وفضولا ، وأنهن شريرات الأرواح هشات النفوس ،

ولاشئ اكثر منهن ضعفا ولا أشد بلها ولا أقل وفاء ،
وبالرغم من كل ذلك ، فان الناس في العالم كله يعملون
كل شئ من أجل هذه الحيوانات .

(لأنييس)

أخيرا ! ألا يجب أن نعقد السلام بيننا ؟ هيا ، أيتها
الخائنة الصغيرة ، لقد غفرت لك كل شئ ورددت
اليك حنانى . تدبرى أمر الحب الذى أكنه لك ،
وأحبينى أنت أيضا في مقابل ماترين من طيبتى

أنييس : أنا أريد أن ارضيك من كل قلبى . اذ ماذا يكلفنى
ذلك لو كنت استطيع فعله .

أرنولف : إنك تستطيعين لو أردت ، أنت ياقلبى الصغيرالمسكين.

(يطلق زفرة)

أنصتى فقط الى هذه الزفرة الولهى ، تمتعى هذه النظرة
المختصرة ، تأملى شخصى ، اتركى هذا الطفل الذى
يسيل لعابه ومخاطه ، والحب الذى يخلعه عليك .
وستكونين معى أسعد مما معـــه ألف مرة . ان امنيتك
الكبرى تنحصر في أن تكونى شجاعة متحررة ،
ستكونين كما تشائين ، وأنا أضمن لك ذلك . وسأقضى

الليل والنهار في تحسس جسمك والتربيت على ظهرك وصدرك وتقبيلك والتهامك ، في كل شئ ،وستقودين نفسك بنفسك على النحو الذى يحلو لك ، لست اعبرّ عـــن نفسى عـــلى ما يرام ، وفي هذا كل ما فيـــه من معنى .

(جانبـــا)

الى أى مدى يمكن للعاطفة العارمة أن تقود صاحبها !

(بصوت مرتفع)

وأخيرا لن يكون في الوجود شئ يعدل حبى لك ، فماذا تريدين أن اقدم لك من الدلائل على ما أقول ، أيتها الجحود ؟ أتريدين أن تريني أبكى ؟ أتريدين أن ألطم خدى ؟ أتريدين أن أنتزع شعر ناحية من رأسى؟ أتريدين أن اقتل نفسى ؟ نعم ، اطلبى منى ذلك ، إذا شئت : فانى على تمام الاستعداد ،أيتها القاسية، لأبرهن لك على اشتعال قلبى .

أنييس : أنصت الىّ ، ان كل خطبك لاتمس نفس في شئ ، تكفى كلمتان اثنتان من هوراسى ليصل من قلبى الى اكثر مما وصلت .

أرنولف : أه ! هذا ! اسراف في تحديك اياى ، اسراف في استشارة غضبى . سأنفذ خطتى ، أيتها البهيمة البالغة اقصى حدود الغباء . سأبعدك عن المدينة من فورى . انك تزدرين آمالى وتعملين على نفاذ صبرى ، ولكن قاع أحد الأديرة سينتقم لى من كل هذا .

المنظر الخامس

آلان ، انييس ، ارنولف

آلان : لا أدرى ماذا جرى ، ولكن يبدو أن أنييس وجثة الميت قد ذهبا معا .

أرنولف : هاهى ذى : اذهب بها وأدخلها لى في غرفتى .

(جانبا)

لن يجئ للبحث عنها في هذا المكان ، ثم انها لن تمكث فيه اكثر من نصف ساعة . وسأذهب للبحث عن عربة من أجل أن اصحبها الى مكان حريز .

(لآلان)

أغلقا عليكما الباب جيدا ، وبوجه خاص حاذر أن أن تحول عنها بصرك .

(وحـــده)

لعلها تستطيع الشفاء من هذا الحب ، بعـــد أن تجـد
نفسها غريبة فيمكان غريب .

المنظر السادس

ارنولف ، هوراسى

هوراسى : أه ! جئت لأراك ، وأنا مثقل بالآلام . لقد شاءت السـماء ، ياسـيد أرنولف ، أن تكتب عــلى الشقاء ، حيث يراد انتزاعى من الفاتنة التى أحببتها بعمل قاتل ينطوى على أقصى ضروب الجور . لقد خرج والدى ، وهو الآن في طريقه الى هنا ،وقد وجدت أنه ينزل في مكان قريب من هذا المكان ، والمسألة بكل اختصار أن السبب في مجيئه ، الذى لم اكن أعلم عنه شيئا ، كما سبق أن قلت لك ، يرجع الى انه قد زوجنى دون أن يذكر لى حرفا واحدا عن هذا الزواج ، وقد حضر اليوم للاحتفال بهذه الرابطة. وبعد أن عرفت مقدار قلقى ، ياسيد أرنولف ، تستطيع أن تحكم بما اذا كان من الممكن ان تحل بى كارثة أفظع من تلك . فهذا المدعو انريك الذى سألتك عنه بالأمس هو سبب المصيبة التى أعانىأوزارها

اذ أن له ابنة وحيدة هى التى اختارونى لها . لم أكد أسمع أولى كلماتها حتى كاد يغمى على ، وعندئذ لم أرد أن أسمع اكثر مما سمعت ، ولما كان والدى قد تكلم عن الحضور لزيارتك ، فقد سبقته اليك ، والرعب يكاد يقتلنى . جئت أتوسل اليك ألا تكشف له عن شيء من ارتباطى ، الأمر الذى قد يثير حفيظته ، وبما أنه يكن لك كل تقدير واحترام، فحاول أن تثنيه عن هذه المصاهرة الأخرى .

أرنولف : نعـــم ، بكل ســرور .

هوراسى : انصحه بالتأجيل بعض الوقت . وقدم لحبى هذه الخدمة ياصديقى .

أرنولف : لن أتوانى عن ذلك .

هوراسى : أنت الذى اعلق عليه كل آمالى .

أرنولف : ثقتك في محلها .

هوراسى : انى اعتبرك والدى الحقيقى . فقل له ان سنى . . . آه ! ها هوذا قد وصل . أنصت إلى الأدلة التى استطيع تزويدك بها .

(يظلان في ركن من المسرح)

المنظر السابع

انريك ، اورونث ، كريسالد
هوراسى ، ارنولف

أنريك : (لكريسالد) كان في مقدورى أن أعرفك بمجرد أن وقع عليك بصرى قادما ، حتى ولو لم يذكرلى عنك شئ . فقد تعرفت فيك على ملامح تلك الأخت الحبيبة التى جعلها الزواج من نصيبي في زمن مضى ، وكنت أكون سعيداً لو أن الزورق القاسى ترك لى فرصة احضار زوجتى الوفية لتستمتع معى بهذه العذوبة الحانية ، عذوبة اللقاء بذوينا بعد آلام كان قد طال مداها . ولكن لما كان جبروت القدرالمميت قد حرمنا إلى الأبد من وجودها المأمول ، فلنحاول أن نعقد العزم ، وأن نقنع بثمرة الحب الوحيدة التى بقيت لى منها ، انها تمسك من قريب ، ولا شك أنى أكون مخطئا لو أنى تصرفت في هذا الأمر دون رأيك . نعم إن اختيار نجل أورونت يعتبر شرفا في حد ذاته ، لكن لابد لهذا الاختيار أن ينال رضاك كما نال رضائى.

كريسالد : في رأيى أنه من سوء التقدير أن يشك في رضائى عن هذا الاختيار المتكافئ .

أرنولف : (جانبا لهوراسى) نعم ، أريد أن اخدمك بأنجح الطرق .

هوراسى : (جانبا ، لأرنولف) حاذر ، خطوة أخرى . . .

أرنولف : (جانبا لهوارسى) لايكن عندك أى ريب .

(أرنولف يترك هوراسى ويذهب لاحتضان أورونت)

أورونت : (لأرنولف) آه ! هذا العناق ، ما أحفله بالحنان !

أرنولف : ما أبلغ شعورى بالبهجة حين أراك !

أورونت : جئت هنـــا . . .

أرنولف : أعرف ما أتى بك ها هنا ، دون أن تتكلم . . .

أورونت : هل أخبرت بذلك ؟

أرنولف : نعـــم .

أورونت : من حسن الحظ .

أورنولف : ان ابنك يأبى هذا الزواج ، ولم يكد يصل خبره إلى أبواب قلبه حتى أحاط به الحزن من كل جانب ، بل لقد رجانى أن أثنيك عن تنفيذه . أما أنا فكل مـــا أسديه اليك من نصح هو ألا تقبل مطلقا تأجيل هذا العقد ، وأن تستخدم في تنفيذه سلطة الأب . اذ

يجب استخدام كل عنف لاخضاع الشباب ، لأن
التساهل معهم لا يضر الا بصالحهم .

هوراسى : (جانبا) آه ! أيها الخائن !

كريسالد : إذا كان قلبه يشعر بشئ من النفور ، فإنى أرى أن من
الخطأ مقاومته . وعلى ما أعتقد ، سيكون أخى من
هذا الرأى .

أرنولف : ماذا ؟ أيجعل لابنه سلطانا عليه ؟ أتريد أن يصل خور
الأب إلى حد أن يعجز عن فرض طاعته على الشباب ؟
سيكون من الجميل حقا أن نراه اليوم يتلقى الأمر
ممن كان يجب أن يصدره اليه ! لا ، لا ، انه صديقى
الحميم ، وأعتبر أن مجده مجدى ، لقد أعطى كلمته ،
وعليه أن يتمسك بها ، وأن يظهر للملأ ، بصلابة
مشاعره وقوة شكيمته مقدار خضوع ولده لأوامره .

أوورنت : هذا هو الكلام المعقول ، فى هذه المصاهرة أنا المسئول
أمامكم عن طاعته .

كريسالد : (لأرنولف) مما يدهشنى تمام الدهشة أن أرى كل
هذا الحماس الذى تبديه من أجل اتمام هذا الزواج ،
وأرانى عاجزا عن الحدس بالباعث الذى يدفع بك الى..

أرنولف : أنا أعرف ما أفعل ، وأقول ما يجب أن يقال .

أورونت : نعم ، نعم ، يا سيد أرنولف ، انه . . . .

كريسالد : هذا الاسم يثير غضبه ، انه السيد دى لاسوش ، كما سبق أن بلغنى .

أرنولف : هذا لا يهمـــنى .

هوراسى : (جانبا) ماذا اسمع !

أرنولف : (ملتفتا الى هوراسى) نعم ، هذا هو السر ، وتستطيع أن تحكم بما كان على أن أفعله .

هوراسى : (جانبا) في أى دوامـــة . . . .

المنظر الثامن

جورجيت ، انريك ، أورونت ، كريسالد هوراسى ، أرنولف

جورجيت : سيدى ، ما دمت بعيدا عنا ، فانه من العسير علينا أن نحتجز أنييس : انها تحاول الهرب في كل لحظة ، وليس من المستبعد ان تلقى بنفسها من الشباك .

أرنولف : احضريها الى ، هكذا اطلب احضارها على الفور .

(لهوراسى)

لاتغضب من ذلك : فالنجاح المتواصل يصيب المرء
با لغرور ، ويوم لك ويوم عليك ، كما يقول المثل.

هوراسى : (جانبا) إله السماء ! أى آلام يمكن أن تعدل آلامى؟
وهل رأى انسان نفسه يوما في مثل الهوة التى أنا فيها ؟

أرنولف : (لأورونت) عجل بيوم الزفاف : سأشترك في
الحفل ، وهأنذا أدعو نفسى .

أورونت : هذا هو ما عزمت عليه .

المنظر التاسع

انييس ، آلان ، جورجيت اورونت انريك
ارنولف ، هوراسى ، كريسالد

أرنولف : (لأنييس) تعالى ، أيتها الجميلة التى يتعذر احتجازها
والتى لاتكف عن التمرد . هذا هو حبيبك ،
فتستطيعين مجازاته بتحية متواضعة حنون . مع السلامة.

(لهوراسى)

هذا الحادث يخيب أمالك بعض الشئ ، ولكن ليس
النوال حليف جميع المحبين .

أنييس : أتتركنى ، يا هوراسى ، أقصى عنك بهذه الصورة ؟

هوراسى : لا أدرى أين رأسى من رجلى ، الى هذا الحد بلغت شدة ألمى .

أرنولف : هيا ، أيتها الثرثارة ، هيا .

أنييس : أريد أن أبقى هنا .

أورونت : قل لنا ما هذه الألغاز . اننا جميعا نتبادل النظرات دون ان نفهم منها شيئا .

أرنولف : حينما يتوفر لنا وقت أرحب ، سأخبرك بكل شئ . فالى اللقاء .

أورونت : أين ، اذن ، تريد أن تذهب ؟ انك لاتكلمنا كما ينبغى أن تكلمنا .

أرنولف : لقد نصحتكم ، رغم زمجرته ، أن تتموا هذا الزواج.

أورونت : ولكن اذا كان قد قيل لك كل شئ ، بالنسبة لاتمام هذا العقد ، ألم يقل لك ان تلك التى وقع عليها الاختيار تقيم عندك ؟ أعنى البنت التى رزق بها السيد انريك من علاقات سرية مع المحبوبة انجيليك . فعلى أى أساس اذن كان يقوم حديثك ؟

كريسالد : لقد دهشت أنا ايضا من مسلكه .

أرنولف : ماذا ؟ . . . .

كريسالد : رزقت بابنة من زواج سرى ، فأخفينا مصيرها على كل أفراد الاسرة .

أورونت : وقد تركها زوجها لتربى في الريف تحت أسماء زائفة حتى لايكتشف شئ من امرها .

كريسالد : وفي هذه الأثناء اعلن القدر عليه الحرب ، مما اضطره الى هجرة مسقط رأسه .

أورونت : وأن يذهب ليواجه آلاف الأخطار في أماكن تفصلها عنا بحار وبحار .

كريسالد : حيث استطاعت جهوده أن تحصل على ما حرمه منه الفسق والحسد في بلده .

أورونت : وما ان عاد الى فرنسا حتى سارع بالبحث عن تلك التى كان قد عهد اليها بمصير ابنته .

كريسالد : وقالت هذه الفلاحة بكل صراحة انها تركتها بين يديك وهى في الرابعة من عمرها .

أورونت : وان الفقر القاهر الذى التى عليها اثقاله هو الذى دفعها الى تركها لاحسانك .

كريسالد : فما كان منه الا أن اقتاد تلك المرأة الى هنا ، ونفسه تطفح بالبشر والبهجة .

أورونت : وستراها ، اخيرا ، تحضر الى هذا المكان لتوضح هذا السر أمام أعين الجميع .

كريسالد : (لأرنولف) وأنا أحدس ، على وجه التقريب ، بمقدار عذابك ، ولكن القدر كان رحيما بك في هذا الصدد. فإذا كان الإنقاذ من الدياثة يبدو لك من النعم الكبرى. فان عدم زواجك منها كان وسيلتك الحقيقية إليه .

أرنولف : (يخرج منفعلا دون أن يستطيع الكلام) أوه !

هوراسى : أه ! ستعرف ، يا والدى ، كل شئ عن هذا السـر العجيب . اذ أن الصدفة قد انجزت في هذا المجـال ما كانت حكمتك قد قامت بتدبيره . فقد ادت تلك العرى العذبة لحب متبادل بيننا الى ارتباطى بهذهالجميلة عن طريق الكلمة ، وخلاصة القول انها هى نفسها التى جئت للبحث عنها ، والتى من أجلها خشيت أن يؤدى رفضى الى سخطك .

انريك : لم يخامرنى أى شك بمجرد أن رأيتها ، ومن ذلك الحين والعواطف الحلوة تتجاذب نفسى . أه ! يا بنيتى ،إننى أستسلم لأحاسيس الابتهاج العذبة .

كريسالد : وأنا أيضا ، أيها الأخ ، أود من صميم قلبى أن افعـل

مثلك ، ولكن الانطلاق المرح وهذا المكان لايتوافقان. فهيا الى المنزل لنتدبر في حل هذه الألغاز ، ولنرد الى صديقنا ما طوق به عنقنا من نفقات ، ولنقدم الشكر لله الذى دبر كل شئ وعلى أحسن ما يرام .

الجزء الثاني

نقد مدرسة الزوجات

كوميديا

مثلت للمرة الأولى في باريس
على مسرح الپاليه رويال، في يوم الجمعة
الأول من شهر يونيه سنة ١٦٦٣، قامت بتمثيلها
فرقة سيدي الأخ الوحيد للملك

مقدمة "نقد مدرسة الزوجات"
للمترجم

أشرنا فى المقدمة العامة وفى الكلام على مدرسة الزوجات الى عاصفة النقد الشديد ، بل الجارح ، التى انقضت على موليير ومسرحيته من قبل طوائف عديدة من الحاسدين والمتزمتين .

وكان ممن كتبوا عنها مؤلف شاب اسمه فيزيه Vise ، وكان يصدر شبه مجلة بعنوان « الأخبار الجديدة » ، فأضاف إلى المجلد الثالث منها شبه ملحق من بضع صفحات عن موليير يخلط فيه المديح بالنقد الشديد ، لكى يظهر بمظهر المحايد . وقام آخر ، هو « الأب دى بويسون » L'Abbé du Buisson بكتابة رسالة حوارية فى مديح موليير . ولكن موليير اسقطها من حسابه لمبالغة صاحبها فى امتداحه ، كما يشير هو فى المسرحية التى نقدم لها ، وان كانت هى التى اوحت اليه بالاضطلاع بكتابة الدفاع عن نفسه بنفسه فى صورة كوميديا . وهذه هى مسرحية نقد مدرسة الزوجات .

وفيها يرد على نقد « فيزيه » وغيره من ذوى النوايا الخبيثة الذين يأخذون عليه أنه لم يراع القواعد ، وأساء تأليف المسرحية ، وحشاها بالفكاهات السمجة ، وحشد فيها كل ضروب الهجوم الدنئ على النبلاء والنساء وقداسة الزواج .

وتبدأ المسرحية باجتماع سيدتين من المثقفات وأورانى ، ونسمعها تجأران بالشكوى من الزيارات التافهة التى تتلقيانها ، وخصوصا زيارات مركيز مضحك معين . ثم تصل كليمين ، وهى متحذلقة تدعى أن مدرسة الزوجات قد خدشت حياءها كامرأة . وتدافع أورانى ضد هذه الحساسية الزائفة ، ولكن ايليز التى تتكلف مشاطرة كليمين آراءهـا تسخر من قريبتها أورانى وتدافع عن وجهة نظر كليمين . وحينئذ يصل الماركيز الذى

ينافس كليمين فى الهجوم على موليير ومسرحيته ، فى حين ينبرى أورانت ، الذى يتكلم بلسان حال موليير ، للدفاع عن جمهور الصالة ومهاجمة تكلف الماركيز والحياء المزيف لدى المتحذلقة . وينعى ليسيداس ، المدعى ، على نجاح كوميديات موليير انها صرفت الجمهور عن مشاهدة التراجيديات ، وينتقد ذوق القصر ، محتميا بدروع سلطان القواعد . ويجيب دورانت على هذه الضروب من النقد بتبرير محدد للمواضع المطعون فيها ، ولكن الماركيز يرفض الانصات اليه . وفى النهاية يقبل الخادم ليعلن أن العشاء قد أعد ، فيضع حدا لاستمرار المناقشة التى استطاع فيها موليير أن يرد على أعدائه بكل نجاح ، وأن يضع فى مواجهتهم مجموعة الناس الاسوياء . واخيرا نرى أن أبطال هذه المسرحية ، ايليز واورانى ودورانت ، يمهدون السبيل لظهور « فيلانت » فى مسرحية مبغض البشر .

استشاط المعارضون غضبا مما قرءوه فى النقد وازداد سخطهم على موليير ورغبتهم فى ايذائه حتى ليذكر بعض مؤرخيه أنه وصل الأمر بأحد الامراء وأحد النبلاء الآخرين الى الاعتداء عليه بالايدى ، ولكن البعض يشك فى صدق هذه الرواية .

وقد قدمت هذه المسرحية على الخشبة للمرة الاولى ومعها مدرسة الزوجات فى اليوم الاول من يونية سنة ١٦٦٣ . واتصل عرض المسرحيتين معا ٤١ مرة بنجاح كبير ، سواء أكان العرض فى مسرح الباليه رويال أم أمام الملك . وقد أثار هذا النجاح ثائرة المعارضين وأشعل نار المعركة من جديد . فسارع فيزيه بنشر مسرحية كان قد كتبها بعنوان « زيلانـد أو النقد الحقيقى لمدرسة الزوجات ونقد النقـد Zélinde ou la Véritàble Critique de l'Ecole des Femmes et Critique de la Critique وفيها يهاجم موليير تحت اسم « ايلومير » Elomire ويوجه اليه أبشع الشتائم ، وفى مقدمتها يستعدى عليه الكتاب الآخرين وجميع طوائف المتذمرين ، ومما قاله فى هـذا الصدد . » من الممكن جدا توجيه هجاء ضده (موليير) لا نظير له ، وذلك بمجرد جعل من يدافعون عن المسرحية يهاجمونها ، ومن يهاجمونها يدافعون عنها . . . ولست أظن أننا فى حاجة الى شارح لكى يعرفنا أنه يدعو (المؤلفين والممثلين) فى نقده بالجهلـة ، وأنه يريد اقناع الناس بأنهم لايستطيعون الحكم على مسرحيته . . . . ماذا ؟ أتخشون

من مهاجمة رجل لايتورع حتى عن الجنس! ان المؤلفين الذين يهاجمهم أيلوميز تحت اسم ليسيداس يتساوون فى الجبن مع رجال الحاشية الذين يهاجمهم تحت اسم تور لوبـــان (Turlupin) أما بورسو (Boursault)، المؤلف الشاب وحليف « الكوميديين الكبار » ، فقد عمد الى نثر موليير فى المسرحية ونظمه شعرا ، وقدم منه مسرحية الى هؤلاء الممثلين الكبار بعنوان صورة الرســـام ، أو النقد المضاد لمدرسة الزوجـــات Le Portrait du Peintre ou la Contre-Critique del'Ecole des Femmes وقد حولها وقلب ضروب السخرية فيها الى سخرية من موليير نفسه بتحويل صورته إلى صورة كاريكاتورية ، وجعل الحق فى جانب اعدائـــه .

وسيؤدى كل هذا بموليير ، كما سنرى ، الى اعادة الجولة وكتابة ارتجالية فرساى وقد صدرت الطبعة الأولى من مسرحية النقد فى السابع من أغسطس سنة ١٦٦٣ ،وعليها خطاب اهداء بالتطاول على الطقوس الدينية لم يكن من عمل هذا الحزب وسيجد القارئ هذا الاهداء فى آخر المجلـــد .

رسالة اهداء مسرحية
نقد مدرسة الزوجات

وهذه رسالة الاهداء الى الملكة الأم التى تدل على أن موليير الذى سبق له أن اهدى مسرحيات الى « السيد » والى الملك ، والى السيدة ، كان جد مرضى عنه فى القصر :

الى الملكة الأم

سيدتى

اعلم أن كل اهداء اننا لاتهم جلالتك فى قليل أو كثير ، وان كل هذه الواجبات المزعومة التى نقول ايضا اننا نفى بها نحو جلالتك ، ليست الاتحيات ، جلالتك على استعداد لاعفائنا منها عن طيب خاطر . ولكنى لا أتحرج عن الجرأة فى اهداء « نقد مدرسة الزوجات » الى جلالتك ، ولم استطع ترك هذه المناسبة الصغيرة دون أن اعبر لجلالتك عن ابتهاجى بهذا الشفاء السعيد (١) الذى يعيد الى أمانينا أعظم وأحسن اميرة فى العالم ، ويجعلنا نأمل لها فى سنين طويلة من الصحة السابغة . ولما كان كل انسان ينظر الى الأشياء من الناحية التى تمسه ، فانه مما يسر فى غمرة هذا الابتهاج العام ، انى لازلت أستطيع أن يكون لى شرف الترويح عن جلالتك ، جلالتك التى تبرهن جيدا ، يا سيدتى ، على أن التقوى الحقيقية لا تتعارض مطلقا وضروب التسلية الشريفة ، جلالتك التى تنزل

(١) يرجع الكلام عن صحة الملكة الام فى هذه الرسالة الى ان آن دوتريش كانت قد اصيبت بنوبات شديدة من الحمى ذكرتها « الجريدة » فى حينها ، كما اشارت بتاريخ ١٤ يوليو الى ان صحة الملكة الام « فى تحسن مستمر » .

عليا أفكارها ومشاغلها الهامة الى ملاهينا بروح انسانية سـامية ، ولاتحتقر أن تضحك من نفس هذا الفم الذي توجه منه الصلاة الى ربها ، أقول انى أمنى نفسى بالأمل فى هذا المجـد ، وانظر الى تلك اللحظة بكل ما فى الوجود من فروغ صبر ، وحينما أحظى بهذه السعادة ، فانها ستكون أعظم بهجة يستطيع أن يحظى بها ياسيدتى ،

من جلالتك ،

خادمك ورعيتك المتواضع جدا ، المطيع جدا ، الوفى جدا ،

ج . ب . ب . موليـير

شخصيات المسرحية

المشــــلون	الاشخاص
السيدة دى برى .	أورانى
أرما ند بيجــار .	الـــيز
السيدة دى بارك	كليمـــين
	جـــالوبان (خادم)
موليـــــير .	المركـــيز
بريكـــــور .	دورانت أو الفارس (شفالييه)
دى كروازى .	ليسيداس ، الشاعر (الكاتب)

المشهد فى باريس ، فى بيت اورانى

Uranie	Mlle de Brie.
Elise.	Arm. léjart.
Glémine.	Mlle du Parc.
Galopin, , laquais	
Le Marquis.	Moliere.
Dorante, ou le chevalier	Brécourt.
Lysudas	Du Croisy.

الفصل الأول

المنظر الأول

اوراني ، اليز

اوراني : ماذا ، يا ابنة عمي ! ألم يأت أحد لزيارتك ؟

اليز : لا أحد مطلقا .

أوراني : مما يثير دهشتي حقا أن نظل ، أنت وأنا ، وحيدتين طوال هذا اليوم .

اليز : ودهشتي أيضا ، لأننا لم نتعود على ذلك ، فبيتك ، والحمد لله ، يعتبر مأوى لجميع تنابلة القصر .

أوراني : الحقيقة ان فترة ما بعد الظهر قد بدت لى مسرفة في طولها .

اليز : أما أنا فقد وجدتها مسرفة في قصرها .

أوراني : ذلك لأن المثقفات ، يا ابنه عمي ، يفضلن الوحدة

اليز : أه ! ما أنا إلا سادنة متواضعة من سدنة الثقافة ، وأنت تعرفين أن هذا لم يكن قصدي .

أوراني : أما أنا ، فأحب الصحبة ، وهذا ما أعترف به .

السير : وأنا أيضا أحبها ،ولكني أحب أن تكون صحبةمنتقاة، وهذا العدد الكبير من الزيارات التافهة ،التى على الواحدة منا أن تتحملها بين غيرها من تفاهات الحياة ،هى السبب الغالب في أنى اشعر بالسرور حين اجدنى وحدى.

أوراني : تتجاوز الرقة حدها ، اذا كان الانسان لا يستطيع أن يتحمل غير الاشخاص المختارين .

السير : وتعتبر المجاملة مسرفة في العموم اذا كانت تقضى بأن يتحمل المرء جميع الأشخاص دون تفرقة .

أوراني : انى أستمتع بصحبة اصحاب العقول الرزينة ، وأتسلى بالمهرجين خفاف العقول .

السير : في اعتقادى ان خفاف العقول لا يلبثون طويلا حتى يصيبوك بالملل ، ومعظم هؤلاء الناس لايعودون مسلين منذ الزيارة الثانية . ولكن بمناسبة الكلام على خفاف العقول هؤلاء ، ألا تريدين أن تعفينى من مركيزك الثقيل ؟ هل تعتزمين أن تتركيه لى الى الأبد تنوء بحمله كتفاى ، وأن استمر في معاناة تهريجه الذى لا ينقطع؟

أوراني : هذه اللغة تعتبر زِىّ العصر ، وهم في القصر يتخذونها مادة للضحك .

السيز : هم وشأنهم أولئك الذين يفعلون ذلك ، والذين يقتلون انفسهم يوميا بالكلام بهذه العجمة المريبة . وياله من شئ جميل أن تلوث أحاديث اللوفر بتلك العبارات الكذائية العتيقة التى التقطت من أوحال سوق باريس، وميدان موبير !وما أحلى أن يلجأ رجال القصر الى التفكه بهذه الصورة ! وأن يعتبر من خفة الروح أن ينبرى أحد الرجال ليقول : « سيدتى ، أنت في الميدان الملكى وكل الناس يرونك على بعد ثلاثة فراسخ من باريس ، لأن كل واحد ينظر اليك بعين الرضا »، وذلك لأن بونى قرية تقع على بعد ثلاثة فراسخ من هنا! أليس ذلك مثالا طيبا للمجاملة الرقيقة وخفة الروح ؟ وأولئك الذين يعثرون على هذه الاكتشافات الجميلة ، أليسوا جديرين بالفخر ؟

أورانى : ان ذلك لايقال على أنه ثقافة ، ومعظم الذين يتخذون هذه اللغة يعرفون ، هم انفسهم ، أنها مضحكة .

السيز : هذا أسوأ ، أن يكلف المرء نفسه قول الحماقات ، وأن يكون سميرا رديئا عن عمد وسبق اصرار . وهذا يجعلهم أقل جدارة بالغفران عنهم ، ولو كنت قاضيا لعرفت أى حكم اصدره على كل هؤلاء السادة المهرجين .

أورانى : لندع هذه المسألة التى تثير أعصابك أكثر من اللازم بعض الشئ ، ولنقل إن دورانت قد تأخر ، في رأيى ، عن موعد العشاء الذى دعوناه إليه معا .

السيز : ربما يكون قد نسيه ، وأن يكون . . .

المنظر الثاني

جالويان ، اوراني ، اليز

جالويان : ها هى كليمين ، التى جاءت إلى هنا لزيارتك ، ياسيدتى

أورانى : أخ يا إلهى ! وأى زيارة !

السيز : انت تشكين من الوحدة : والسماء تعاقبك على ذلك .

أورانى : بسرعة ، قولوا لها انى غير موجودة .

جالويان : سبق ان قيل لها انك هنا .

أورانى : ومن المعتوه الذى قال ذلك ؟

جالويان : أنا ، يا سيدتى .

أورانى : خسئت ، أيها الصعلوك الصغير سأعلمك كيف تجيب من تلقاء نفسك .

جالويان : سأذهب ، يا سيدتى لأخبرها انك تريدين أن تكونى قد خرجت .

أوراني : توقف ، أيها الحيوان،ودعها تصعد ، ما دامت الحماقة قد ارتكبت !

جالويان : انها لا تزال تتكلم مع رجل في الشارع .

أوراني : آه ، يا ابنة عمى ! ان هذه الزيارة تحرجنى في الساعة التى نحن فيها .

السيز : الحقيقة أن هذه السيدة محرجة بطبيعتها ، وقد كنت دائما أشعر نحوها بفتور شنيع ، ومع الاعتذار لمحتدها النبيل ، فإنها أغبي بهيمة حشرت نفسها يوما بين المثقفين .

أوراني : الوصف شديد بعض الشئ .

السيز : هيا ، هيا ،انها تستحق ذلك ، وأكثر منه ، إذا أردنا أن نوفيها حقها . هل هناك شخص أشد منها إيغالا فيما يسمى حقا بالحذلقة ، اذا حملنا الكلمة على أسوأ معانيها ؟

أوراني : ومع ذلك فانها تنفى عن نفسها هذا الاسم .

السيز : هذا حق ، تنفى عن نفسها الاسم ، وليس المضمون لانها كذلك في الحقيقة من قمة رأسها إلى أخمص قدمها ، كما انها اكثر النساء تكلفا في العالم ،ويبدو

كما لو كان كلّ جسمها مفككا، وأن حركات إليتيها وكتفيها ورأسها لا تتم الا على زنبرك ودائما تتكلف الشعور با لملل في نغمة صوتها ، وتكوّر شفتيها لتبدو ضيقة الفم ، وتدير عينيها لجعلهما تظهران واسعتين .

اوراني : اخفضي من صوتك : فانها اذا سمعت . . .

السيز : لا ، لا ، انها لن تصعد الآن . لاأزال أذكر ذلك المساء الذى تاقت نفسها فيه إلى دعوة دامون بناءً على الشهرة التى ذاعت عنه والأشياء التى رآها الجمهور فيه . أنت تعرفين الرجل وكسله الطبيعى في مشاركة الناس الحديث . لقد دعته إلى العشاء با عتباره من رجال الثقافة . ولكنه لم يتأت له قط أن يظهر بهذا القدر من العته الذى ظهر به بين نصف الدستة من الاشخاص الذين دعتهم للاحتفاء بحضوره والذين راحوا يحملقون فيه بعيون مشدوهه ، كما لو كان شخصا لم يخلق على غرار الآخرين ، وظنوا أنه لم يأت إلا ليحمل عبءَ الحديث عن الحاضرين وان كل كلمة تخرج من فمه لابد أن تكون عجيبة ، وعليه أن يقذف بالمرتجلات حول كل مايقال وألا يطلب ماء للشرب مثلا الا بنكته لاذعة . ولكنه خيب أملهم

بصمته ، وكانت السيدة غير راضية عنه بقدر عدم رضائي عنها .

أوراني : اسكتي ، سأذهب لاستقبالها على باب الغرفة .

اليز : كلمة أخرى . كم أود أن تتزوج المركيز الذي كنا نتكلم عنه منذ قليل . سيكون زواجا جميلا ، هذا الذي يجمع بين متحذلقة ومهرّج .

أوراني : ألا تريدين أن تصمتي ؟ ها هي ذي .

المنظر الثالث

كليمين ، أوراني ، اليز ، جالويان

أوراني : الحقيقة ، أن الوقت متأخر بالنسبة . . .

كليمين : هه ! أتوسل اليك يا عزيزتي ، أن تأمري بالمسارعة باعطائي مقعدا .

أوراني : (بالجالوبان) فوتيا في الحال .

كليمين : آه ! يا الهي !

أوراني : ماذا بك ؟

كليمين : لم أعد أستطيع الاحتمال .

أوراني : ماذا عندك ؟

كليمين : قلبي هرب مني .

أوراني : أتكون تلك الابخرة التي رانت عليك ؟

كليمين : كــــلا .

أوراني : أتريدين أن نفك لك الأزرار ؟

كليمين : كلا ، يا الهي ! أه !

أوراني : ما الذى يتعبك اذن ؟ ومنذ متى شعرت به ؟

كليمين : منذ أكثر من ثلاث ساعات ، وقد جئت به من مسرح الباليه رويال .

أوراني : كيــــف ؟

كليمين : كنت أشاهد ، من سوء بختي ، هذه المسرحية المنحلة الشريرة التي تسمى « مدرسة الزوجات » ، ولاأزال خائرة القوى من جراء حالة الاشمئزاز التي أصابتني بها ، وأعتقد أني لن أعود الى حالتي الطبيعية الا بعد أكثر من خمسة عشر يوما على الأقل .

الــيز : انظرى ، كيف تنقض الامراض على الإنسان مــن حيث لا يدرى .

أوراني : لا أدرى على أى مزاج جبلنا ابنة عمى وأنا ،فقد شاهدنا نفس المسرحية أول أمس ، ورجعنا منها بكل صحة وعافيـــة .

كليمين : ماذا ؟ هل رأيتماها ؟

أوراني : نعم ، وأنصتنا اليها من اولها إلى آخرها .

كليمين : دون أن يصل بكما الحال إلى حد التقلصات العصبية ، يا عزيزتى ؟

أوراني : لم أصل إلى هذه الدرجة من الارهاف ، والحمد لله، وفي رأيى ، أنا شخصيا ، أن هذه المسرحية جديـــرة بأن تشفى الناس بدلا من أن تمرضهم .

كليمين : أه ! يا إله السماء ، ما هذا الذى تقولينه ؟ أيمكـــن صدور هذا الكلام من شخص لديه ذرة من حســـن التقدير العادى ؟ هل يمكن لأى شخص أن يغتـــال المنطق على هذا النحو ، كما تفعلين ، دون مخاطرة ؟ وفي حقيقة الأمر ، هل يوجد عقل يستطيع — مهما بلغ من تعطشه للفكاهة — أن يلامس هذه السخافات التى تُبّلت بها تلك المسرحية ؟ أما من جهتى ، فانى أعترف لك بأننى لم أجد حبة ملح واحدة في كل ذلك . فعبارة « الأطفال من الأذن » لا يمكن أن تصدر كما بدالى،

الا عن ذوق بغيض ، و « الفطيرة با لقشدة » أصابت قلبي با لغثيان وكدت أتقيأ من « الحساء » .

السيز : يا إلهى ! ما أحسن ما تعبرين عما تريدين ! كنت أعتقد أنها مسرحية جيدة ، ولكن بلاغة السيدة على درجة عالية من حسن الاقناع ، انها تدير الاشياء بصورة جذابة لا يسع المرء معها الا أن يكون من رأيها بالرغم من أنه لا يعدم شجاعة الرأى .

أوراني : أما أنا ، فلم أصل إلى هذا الحد من حب المجاملة ، وفي اعتقادى ان هذه المسرحية من أمتع ما أنتج المؤلف

كليمين : أه ! انك تثيرين اشفاقي عليك حين اراك تتكلمين هكذا . ولست ارضى لك هذا الاختلاط في التمييز ، والا فهل يمكن لشخص يتمسك بالفضيلة أن يجد متعة في مسرحية تجعل الحياء دائما في حالة ذعر ، ولا تكف لحظة واحدة عن تدنيس الخيال ؟

السيز : هذا هو الجمال في طرائق الكلام ! يالك من وخاّذة مرحة في النقد يا سيدتى ، ولشد ما أرثى لموليير أن كنت من بين اعدائه !

كليمين : صدقيني ، يا عزيزتى ، اذا نصحتك أن تقبلى بكل اخلاص على تصحيح احكامك ، وان تحاذرى — من

أجل شرفك — أن تذكرى بين الناس أن هذه المسرحية أعجبتك .

أوراني : أنا لا أدرى ماذا وجدت فيها مما يخدش الحياء .

كليمين : وا أسفاه ! كل ما فيها ، وأستطيع أن اقرر بانه لا يمكن لامرأة شريفة أن تراها دون خجل ، لكثرة ما اكتشفت فيها من أدناس وقاذورات .

أوراني : اذن لابد أن تكون لديك أفكار عن القاذورات ليست لدى الآخرين ، لأنى أنا لم أر فيها شيئا من ذلك .

كليمين : ذلك لانك لاتريدين أن ترى فيها شيئا من ذلك ، بكل تأكيد ، لان كل هذه القاذورات توجد فيها مكشوفة الوجه ، والحمد لله . وليس عليها أى غلاف يغطيها ، وان أكثر العيون بحاجة لترتاع من شدة عريها .

الـسيز : هو ! هو ! هو !

أوراني : ولكن ، من فضلك ، عينى لى إحدى هذه القاذورات التى تتكلمين عنها .

كليمين : وا أسفاه ! هل من الضرورى أن أعينها لك ؟

أوراني : نعم ، أسألك فقط أن تعينى لى موضعا واحدا صدمك بوجه خاص .

كليمين : أتريدين منظرا آخر غير منظر هذه الأنييس ، وهــى تقول ماذا أخذ منها . ؟

أورانى : حسن جدا ! وماذا ترين في ذلك من قذارة ؟

كليمين : مــاذا ؟

أورانى : أتوسل اليك !

كليمين : أف !

أورانى : ولكن أرجوك !

كليمين : ليس عندى ما أقوله لك .

أورانى : أنا شخصيا لا أرى فيه أى حرج .

كليمين : لســوء حظك

أورانى : بل با لأحرى لحسن حظى ، على ما يبدو لى . فأنــا أنظر إلى الأشياء من الجهة التى تقدم بها ، ولســت أديرها لكى أفتش فيها عما لا يصح أن أراه .

كليمين : شرف المرأة . . . .

أورانى : شرف المرأة ليس في قلب ملامح الوجــه . ومــن المفارقات المضحكة ان تريد احدى النساء أن تكــون أنظف ممن هن نظيفات . وأن التكلف في هذا المجال

أسوأ منـــه في أي مجال آخر . ولست أجد أدعى إلى السخرية من هذه الحساسية في معنى الشرف التي تتناول كل شئ من وجه سئ وتعطى معنى إجراميا لأكثر الكلمات طهرا ، وتصدمها ظلال الأشياء . صدقيني إذا قلت ان اولئك اللائى يبدين الكثير من التظاهـــر لا يعتبرن أكثر فضلا من غيرهن . بل على العكس من ذلك ، نرى أن صرامتهن المريبة وتقلصات ملامحهن المتكلفةمن شأنها أن تثير نقد الناسجميعا لسلوكهن في الحياة. ونراهميطيرونسرورا كلما اكتشفوافيهمايصلح موضوعا للقيل والقال ، واذا اردنا مثلا مشخصا على ذلك فقد كان هناك ، في أحد الأيام ، بعض النساء في هذه المسرحية ، وكن يجلسن في المقصورة التى تقابل مقصورتنا ، وقد أثرن بحركات ملامحهن التى كن يتكلفنها طوال عرضالمسرحية وبادارة رؤوسهن وتغطية وجوههن ، جميع الحاضريـــن إلى تبادل السخافات عن سلوكهن،ولم يكونوا ليفوهوا بها لولا ما كان يصدر عنهن،بل إن أحد الخدم الموجودين في القاعة قد صاح بأعـــلى صوته قائلا : ان عفة آذانهم اعلى منها في أى موضع آخر من أجسادهن .

كليمين : في الحقيقة يجب أن يكـون الانسان أعمى في هـذه المسرحية ، وأن يتظاهر بأنه لايرى ما فيها من أشياء .

أورانى : بل يجب ألا يعمد الى أن يرى فيها ما ليس فيها .

كليمين : أه ! أكرر مرة اخرى ان القاذورات التى فيها تفـقأ العيون .

أورانى : ما زلت غير متفقة معك في الرأى .

كليمين : ماذا ؟ أترين أن ماتقوله أنييس في الموضع الذى نحـن بصدده لا يخدش الحياء بكل وضوح ؟

أورانى : كلا ، في الحقيقة . انها لا تقول كلمة واحدة لاتعتبر في حد ذاتها مثالا للعفة ، فاذا كنت تريدين أن تفهمى من ورائها شيئا آخـر ، فانك انت التى تصنعـين القاذورات ، وليست هى ، ما دامت لاتتكلم الا عن شريط أخذ منها .

كليمين : نعم . شريط ما دام يحلو لك أن يكون شريطا ، ولكن هذه الـ « ال » التى توقفت عندها لم تذكر عبثا . بل إن هذه الـ « ال » تحمل معها أفكارا غريبة . هذه الـ « ال » فضيحة كبرى . ومهما طال بك القول ، فلن تستطيعى الدفاع عن وقاحة هذه الـ « ال » .

السير : هذه هى الحقيقة ، يا ابنة عمى ، وأنا مع السيدة ضد هذه ال » ال » فهذه ال » ال » وقحة الى اقصى حدود الوقاحة ، وأنت مخطئة اذ تدافعين عن هذه ال » ال » .

كليمين : انها تنطوى على فحش لا يمكن احتماله .

السير : كيف تقولين هذه الكلمة ، يا سيدتى ؟

كليمين : فحش ، يا سيدتى .

السير : أه ! يا اله السماء ! فحش ! أنا لا أدرى ماذا تعنى هذه الكلمة ، ولكنى أجدها الطف كلمة في العالم .

كليمين : نعم ، ها أنت ذى ترين أن دمك قد انحاز الى جانبى .

أورانى : أوه ، يا اله السماء ! انها محدثة تقول غير ما تعتقده . لا تثق فيها كثيرا ، اذا اردت الحقيقة .

السير : أه ! يالك من شريرة ، اذ تريدين ان تجعلى سيدتى تنظر بعين الريبة ! انظرى ، ماذا يكون حالى ، اذا صدقت ما تقولين . سأكون تعسة جدا ، يا سيدتى ، لواخذت عنى هذه الفكرة !

كليمين : كلا ، كلا ، أنا لا آخذ بكلامها ، وأعتقد أنك اكثر جدية مما تقول هى .

السير : أه ! انت على حق ، يا سيدتى ، وانك لتنصفيننى ، اذ

تعتقدين أني أراك اكثر الأشخاص في هذا العالم اقناعا وسحرا ، وإني أمتزج بكل مشاعرك ، وقـــد أخذت بجميع العبارات التي تخرج من فمك !

كليمين : نعم ، اني اتكلم دون أي تكلف .

الـــيز : من السهل أن يرى المرء أن كل ما فيك طبيعي . كلماتك ونغمة صوتك ونظارتك وخطواتك وافعالك وهندامك، فيها لا أدرى ماذا من سمات النبل التي تخلب ألبـــاب الناس . إني أتابع دراستك بعيني وأذني ، وقد امتلأت نفسي بك ، الى درجة اني أحاول أن أكون قردك وأن احاكيك في كل شيء .

كليمين : أنت تسخرين مني ، ياسيدتي .

الـــيز : عفوك ، يا سيدتي . من هي التي تريد أن تسخر منك ؟

كليمين : أنا لست نموذجا صالحا ، ياسيدتي .

الـــيز : أوه ! بلى ، يا سيدتي !

كليمين : انك تجاملينني يا سيدتي .

الـــيز : مطلقا ، يا سيدتي .

كليمين : لا تخجلي تواضعي ، يا سيدتي .

السير : أنا أيضا لا أنسى مراعاة تواضعك ، يا سيدتى ،ولذلك لا أقول حتى نصف ما أعتقد يا سيدتى .

كليمين : أه ! يا الهى ! لنقطع هذا الحديث ، أرجوك . انك تلقين بى في بحر من الخجل الرهيب . (لأورانى) وأخيرا ، ها نحن اثنتان ضدك ، والعناد لا يليق بالأشخاص المثقفين . . .

المنظر الرابع

المركيز ، كليمين ، جالوبان ، اورانى ، اليز

جالوبان : (على باب الغرفة) توقف ، من فضلك ، يا سيدى .

المركيز : أغلب الظن انك لا تعرفنى .

جالوبان : بلى ، أعرفك ، ولكنك لن تدخل .

المركيز : أه ! ما كل هذه الضجة ، أيها الخادم الصغير !

جالوبان : ليس من اللائق ان تصمم على الدخول رغم ارادةالناس

المركيز : أريد أن أرى سيدتك .

جالوبان : قلت لك إنها غير موجودة .

المركيز : ها هى ذى في غرفتها .

جالوبان : صحيح . ها هى ذى ، ولكنها ليست هنا .

أورانى : ماذا هنا لك ؟

المركيز : هذا خادمك ، يا سيدتى يلعب دور الأبله .

جالوبان : قلت له ، يا سيدتى ، انك غير موجودة ، وهو يصر على الدخول .

أورانى : ولماذا تقول للسيد انى غير موجودة ؟

جالوبان : لانك أنبتنى ، منذ أيام ، حين أخبرته بأنك موجودة.

أورانى : أترى هذا الوقح ! أرجوك ، يا سيدى ، ألا تصدق ما يقول . انه مجنون صغير ظنك شخصا آخر .

أورانى : هذا ما قدرته ، يا سيدتى ، ولولا احترامى لك ، لعلمته كيف يتعرف على الأشخاص ذوى المكانة العالية .

السير : ابنة عمى تدين لك بالعرفان على هذه الرعاية .

أورانى : (لجالوبان) كرسى بسرعة ، أيها الوقح .

جالوبان : وهذا أليس كرسيا ؟

أورانى : قرّبــه .

(الخادم الصغير يدفع الكرسى بفظاظة ويخرج)

المركيز : خادمك الصغير ، يا سيدتى ، يكنّ الاحتقار لشخصى .

السير : انه مخطئ ، بكل تأكيد .

المركيز : لعلى بمثل ذلك أدفع رسوم سحنتى القبيحة (يضحك) ها ! ها ! ها ! ها !

السير : من شأن السن أن يزيد السحنة نورا لدى الناس الشرفاء.

المركيز : أين كنتن . سيداتى ، حين قطعت عليكن حبل الكلام؟

أورانى : في مسرحية مدرسة الزوجـــات .

المركيز : أنا خارج منها في التو والساعة .

كايمين : حسن جدا ! وكيف وجدتها ، من فضلك ، يا سيدى؟

المركيز : في غاية الوقاحة .

كليمين : آه ! أنا سعيدة بهذا الرأى !

المركيز : انها أسوأ شئ في العالم . كيف يتأتى ، وحق الشيطان ألا أجد مكانى الا بكل صعوبة ! ظننت أنى على وشـــك الاختناق ، وأنا لم اتجاوز بعد عتبة الباب . لم يحدث لى قط أن ديست اقدامى بهذا القـــدر . انظرى ، مـــن فضلك : الى الحالة المزرية التى صارت اليها اشرطتى وزيناتى .

السير : حقا ، ان كل ذلك لينادى بالثأر العاجل ضد « مدرسة

الزوجات » . ويعطيك الحق كل الحق في ان تنهــال عليها باللعنات .

المركيز : لا أظن ان هناك مسرحية اخرى انحدرت الى هذا الحد من السوء .

أورانى : أه ! ها هو دورانت الذى ننتظره .

المنظر الخامس

دورانت ، المركيز ، كليمين
اليز ، أورانى

دورانت : لا تتحركوا ، أرجوكم ، ولا تقطعوا حديثكم. فانتم هنا تناقشون موضوعا يكاد يطغى ، منذ أربعة أيام ، على كل ما يجرى في بيوت باريس من أحاديث ، ولم يحدث قط أن شاهدنا أمتع من الاختلاف في وجهات النظر حول هذه المسرحية . لانى في الحقيقة سمعت أناسا يصبون اللعنات عليها لنفس الأسباب التى مــن أجلها يتبارى آخرون في إطرائها .

أورانى : ها هو ذا السيد المركيز ، يرميها بكل سوء.

المركيز : نعم ، أنا أرى انها بغيضة ، ماذا ؟ أبغض ما يكــون البغيض ، انها ما يمكن وصمه حقا بوصمة البغض .

دورانت : أما أنا ، يا عزيزى المركيز ، فأرى أن هذا الحكم بغيض .

المركيز : ماذا يا شفاليه ، هل تتبنى الدفاع عن هذه المسرحية؟

دورانت : نعم ، أتبنى الدفاع عنها .

المركيز : ياللشيطان ! أنا أراهن على أنها بغيضة .

دورانت : الرهان من تقاليد البرجوازية . ولكن ، أيها المركيز ، ما السبب من فضلك ، في انك تصف هذه المسرحية بما تصفها به ؟

المركيز : لماذا هى بغيضة ؟

دورانت : نعم .

المركيز : انها بغيضة لانها بغيضة .

دورانت : وبعد ذلك ليس لديك ما تقوله ، وعلى هذا النحو تستحق المسرحية أن يحكم عليها . ولكن نطلب منك ان تعلمنا ، أن تبين لنا ما فيها من عيوب .

المركيز : وما يدريني ؟ أنا لم أحمل نفسى حتى مشقة الانصات اليها . ولكنى أعرف جيدا انى لم ارفي في حياتى شيئا على هذه الدرجة من السوء ، والعياذ بالله ! وقد كان دوريلا من رأيي ، بالرغم من أنى كنت ضده .

دورانت : حجة قوية ، ها أنت ذا لا تعدم السند .

المركيز : يكفى أن نرى تلك النوبات المتلاحقة من الضحك التى تنبعث من رواد الصالة طوال العرض وبعد ذلك لست فى حاجة إلى شئ آخر للتدليل على أنها لا تساوى شيئا .

دورانت : أأنت اذن أيها المركيز ، من أولئك السادة ذوى المحتد النبيل الذين لا يريدون أن يكون لدى رواد الصالة شئ من سلامة النظرة ، والذين يرون من سوء الطالــع أن يشتركوا معهم فى الضحك ، ولو كان الأمر يتعلق بأحسن شئ فى العالم ، لقد رأيت ذات يوم واحدا من اصدقائى جعل نفسه أضحوكة للضاحكين لهذا السبب . فقد ظل ينصت للمسرحية حتى آخرها بسحنة عابسة كل العبوس ومزاج كالح الى اقصى حدود الكلاحة . وكان كل ما يبهج الآخرين يزيده تقطيبا ، وكلما تعالت نوبة الضحك هز كتفيه ، ونظر إلى الصالة باشفاق وفى بعض الاحيان أيضا باشمئزاز ، ويقول بأعلى صوته «اضحكوا اذن ، يارواد الصالة ! اضحكوا » وقد كان حزن صديقنا هذا عبارة عن مسرحية ثانية ، لعبها ، كرجل مجتمع رقيق ، أمام كل الحاضرين . وقد انعقد إجماع

الحاضرين على أنه لعبها كما لا يمكن لأحد غيره أن
يلعبها . اعلم ، أيها المركيز ، وهذا رجاء مني إليك ،
وليعلم غيرك ايضا ، أن سلامة الفطرة ليس لها مكان
معين في المسرح ، وأن الفرق بين نصف الجنيه الذهبي
والقطعة ذات الخمسة عشر مليما لا علاقة له مطلقا بحسن
الذوق ، وأن يتأتى للشخص أن يكون سيئ الحكم ،
سواء أكان واقفا أم جالسا ، هذا الى أني — كقاعدة
عامة — أثق بدرجة كافية في حكم الصالة ، لأنه يوجد
بين أولئك الذين تتكون منهم ، بعض الأشخاص
الجديرين بالحكم على مسرحية ما بمقتضى القواعد
والبعض الآخر يصدرون حكمهم تبعا للصورة الحسنة
التي يمكن اللجوء اليها في الحكم ، وهي أن يتركوا
لأنفسهم عنان التلاحم مع الأشياء ، وأن يكونوا
بعيدين كل البعد عن النفور الأعمى والمجاملة المتكلفة
والرقة المضحكة .

المركيز : أنت اذن ، يا شفالييه ، من المدافعين عن الصالة ؟
وحق الشيطان هذا مما يسعدني ! ولن اقصر في اخبارها
بأنك واحد من اصدقائها . ها ! ها ! ها ! ها ! !

دورانت : اضحك ما شئت . فأنا نصير الفطرة السليمة ، ولا

أطيق هذه الفقاقيع المخّية لدى مركيزاتنا الذين عرف بهم مسرح مسكارى . وتثير اعصابى رؤية هؤلاء الناس الذين يأبون الا أن يصبحوا أضحوكة الآخرين رغم القابهم النبيلة ، هؤلاء الناس الذين لا يترددون في أن يحسموا وأن يتكلموا دائما بجرأة معدومة النظير في كل شئ دون يعرفوا أى شئ ، الذين اذا رأوا مسرحيـــة انطلقوا بالصياح ضد المواضع السيئة ، ولا يحركون ساكنا بالنسبة للمواضع الجيدة ، واذا رأوا لوحة أو حضروا حفلة موسيقية انهالوا عليها باللوم أو المديح دون أى منطق بل ضـــد كل منطق ، ويلتقطو ن المصطلحات الفنية من هنا وهناك ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . ثم لا ينفكون يشوهونها ويضعونها في غير موضعها . هيه ! استحلفكم أيها السادة أن تلوذوا بالصمت ما دام الله لم يفتح عليكم بمعرفة أى شئ ، لاتثيروا ضحك كل من يسمعكم ، واعلموا انكم إذا لم تتفوهوا بكلمة واحدة ، فلربما اعتقد الناس فيكـــم الحذق واللباقة .

المركيز : يا للشيطان ! انك ، ياشفاليه ، تتخذ من هذا الموضوع

دورانت : ورب السماء ، إنك لست أنت الذى أوجه اليه كلامى

بل دستة من السادة الذين يلطخون رجال القصر بالعار عن طريق تصرفاتهم الشاذة ، ويوحون إلى الشعب بأننا كلنا سواء . فأنا بذلك أريد أن ابرئ نفسى من هــذه الوصمة بقدر الامكان ، وسأواصل السخرية منهم في كل مجلس حتى ينتهى بهم الأمر إلى أن يصبحوا مــن العقــلاء .

المركيز : قل لى يا شفالييه ، أتعتقد أن ليز اندر مثقف موهوب

دورانت : نعم ، بلاشك ، وعلى نطاق واسع .

أورانى : هذا شئ لا يمكن لأحد انكاره .

المركيز : اطلب منه أن يقول لك رأيه في مدرسة الزوجات : وسترى انه سيخبرك بانها لم تعجبــه .

دورانت : نعم . ان هناك كثيرا من الناس الذين تفسدهم كثرة الثقافة وتضخم الموهبة ، الذين يسيئون روية الأشياء بسبب كثرة الضوء ، بل ويسوءهم أن يتفقوا في الرأى مع غيرهم ، ليكون لهم مجد القول الفصل .

أورانى : هذا حق . فصاحبنا من هولاء الناس في أغلب الظن يريد أن يكون صاحب الرأى الأول ، وأن ينتظر الناس حكمه بكل احترام . وكل حكم يشيع قبل حكمــه

هو ، يعتبر جريمة في حق معارفه ، ينتقم منها انتقاما مدويا باتخاذ الرأى المضاد . ويريد أن يستشار في كل ما يتعلق بالثقافة ، وأنا واثقة من أنه لو كان المؤلف قد أطلعه على مسرحيته قبل عرضها على الجمهور لرأى فيها أجمل مسرحيه في العالم .

المركيز : وماذا تقول في المركيزة آرامانت التى تعلن في كل مكان انها مرعبة ، وتقول انها لم تستطع أبدا ان تطيق القاذورات التى هى مفعمة بها ؟

دورانت : أقول ان هذا جدير بالشخصية التى انتحلتها لنفسها. وإن هناك أناسا يثيرون الضحك عليهم من حيث يريدون أن يكونوا أشرف من كل شريف . فبالرغم من انها مثقفة ، فانها تتبع المثال السيئ لأولئك اللائى لما رأين انهن قد بلغن سن اليأس؛ أردن أن يستعضن بشئ ما عن الشئ الذى فقدنه ، زاعمات ان تقطيبات وجوههن الحنبلية المتشددة تقوم مقام الشباب والجمال . وهذه المركيزة تتمادى اكثر من غيرها في هذا السبيل. وقدرتها على هذه الحنبلة تكشف عن قاذورات لم يتأت لانسان قط أن يرى مثلها . فيقال ان هذه الحنبلية تذهب الى حد تشويه لغتنا ، وانه لا تكاد توجد كلمة دون أن

تعمد قسوة هذه السيدة الى قطع إما رأسها وإما ذيلهامن أجل المقاطع المشبوهة التى توجد بها .

أورانى : شفالييه ، أنت مجنون بلا مراء .

المركيز : ولكنك ، يا شفالييه ، تريد أن تدافع عن مسرحيتك بهجاء من يهاجمونها .

دورانت : كلا ، ولكنى اصر على أن هذه السيدة تخطئ اذ تدعى غضبها للشرف . . .

الـيز : ليكن ، يا سيد شفالييه ، فقد يكون هناك أخريات غيرها يرين نفس رأيها .

دورانت : أعرف أنك ، لست متهن على الأقل ، وأنك حين شاهدت هذه التمثيلية . . .

الـيز : (تشير الى كليمين) هذا صحيح ولكنى غيرت رأيى ، فهذه السيدة تعرف كيف تعضد رأيها بحجج كانت من قوة الاقناع بحيث جرفتنى الى جانبها .

دورانت : (لكليمين) آه ! سيدتى ، أرجوك المعذرة ، واذا أردت ، فانى مستعد للرجوع في كل ما قلت .

كليمين : لا أريد أن يكون ذلك من أجلى ، بل من أجل العقل

والمنطق ، لأن هذه المسرحية ، اذا أنعمنا النظر فيها ، لا يمكن الدفاع عنها ، وأنا لا أتصور . . .

أوراني : أه ! هذا هو المؤلف ، السيد ليسيداس : لقد جاء في وقته ، بالنسبة لهذه المسألة ،خذ كرسيا ، ياسيد ليسيداس وأجلس هنــا .

المنظر السادس

ليسيداس ، دورانث ، المركيز ، اليز
اوراني ، كليمين

ليسيداس : لقد تأخرت قليلا ، يا سيدتى ، ولكن كان على أن اقرأ مسرحيتى التى كنت قد كلمتكم عنهــا ، لدى سيدتى المركيزة وقد احتجزتني التقريظات التى قيلت ، فيها ، ساعـــة أكثر مما قدرت .

الـــيز : التقاريظ أفعل من السحر في احتجاز المؤلف .

أوراني : أجلس ، يا سيد ليسيداس ، وسنقرأ مسرحيتك بعـــد العشاء .

ليسيداس : كل اولئك الذين كانوا هنـــاك سيحضرون العـــرض

الأول ، وقد وعدونى بانهم سيؤدون واجبهم كما ينبغي.

أورانى : اعتقد . ولكن مرة أخرى أرجوك أن تتفضل بالجلوس إننا نتكلم في موضوع يسرنى أن نتابعه .

ليسيداس : أعتقد ، يا سيدتى ، أنك ، أنت أيضا ، ستحجزين مقصورة في هذا اليوم .

أورانى : سنرى . لنتابع حديثنا من فضلكم .

ليسيداس : ألفت نظرك ، يا سيدتى ، الى أنها كلها تقريبا محجوزة

أورانى : هذا عظيم . ولكنى في حاجة اليك ، حينما أقبلت . كل من هنا كانوا ضدى .

السير : (لأورانى ، ومشيرة الى دورانت) في أول الأمر انضم إلى جانبك ، أما الآن بعد أن عرف أن سيدتى (مشيرة الى كليمين) على رأس الحزب المعارض ، فاعتقد أنه يتحتم عليك البحث عن نصير آخر .

كليمين : كلا ، كلا ، أنا لا أريد أن يسئ ملاطفة السيدة ابنة عمك ، وأسمح لفعله أن يكون في الجانب الذى فيه قلبه .

دورانت : هذا الإذن ، يا سيدتى ، سيمدنى بالجرأة التى أدافع بها عن رأيى .

أورانى : ولكن أولا وقبل كل شئ دعونا نعرف مشاعر السيد ليسيداس .

ليسيداس : عن أى شئ ، يا سيدتى ؟

أورانى : عن موضوع « مدرسة الزواجات » .

ليسيداس : ها ! ها !

دورانت : ماذا ترى فيها ؟

ليسيداس : ليس عنـــدى ما أقوله عنها ، وانتم تعلمون أنه مـــن المتعارف بيننا ، نحن المؤلفين ، ألا نتكلم عن مؤلفات بعضنا البعض الا بكثير من التحفظ .

دورانت : ولكن ، فيما بيننا ، ماذا ترى في هذه المسرحية .

ليسيداس : أنا ، يا سيدى ؟

أورانى : قل لنا رأيك ، بكل اخلاص .

ليسيداس : أنا أجد انها في غاية الجمال .

دورانت : حقيقـــة ؟

ليسيداس : حقيقة . ولم لا ؟ أليست في الواقع أجمل مسرحية في العالم .

دورانت : هوم ! هوم ! أنت شيطان خبيث ، يا سيد ليسيداس، انك لا تقول رأيك الحقيقى .

ليسيداس : أعفـــنى .

دورانت : دعنا من هذا . ، فأنا اعرفك جيدا ، ولا يصح أن نلعب بعضنا على بعض .

ليسيداس : أنا ، يا سيدى ؟

دورانت : أرى جيدا أن ما تقوله فيها من خير لا تقوله باخلاص، وأنك في قرارة قلبك من رأى الكثيرين من الناس الذين يجدونها سيئة .

ليسيداس : ها ! ها ! ها !

دورانت : اعترف ، أرجوك ، بأن هذه المسرحية شئ كريه .

ليسيداس : صحيح أن العارفين غير راضين عنها .

المركيز : في اعتقادى ، يا شفاليبه ، انك لا تزال تتمسك برأيك، وهأنت ذا تتلقى جزاء سخريتك . أه ! أه ! أه ! أه !

دورانت : صاعد ، يا عزيزى المركيز ، صاعد .

المركيز : ها أنت ترى أن العلماء في جانبنا .
حقيقة أن حكم السيد ليسيداس شئ يعتد به ، ولكن السيد ليسيداس نفسه لا يرضى بأن أستسلم من أجل هذا

ولما كانت لدى الجرأة للدفاع عن نفسي (مشيرا الى كليمين) ضد آراء سيدتى ، فانه لن يجد غضاضة في أن أقاوم آراءه .

السيز : ماذا ؟ أنت ترى السيدة والسيد المركيز والسيدليسيداس كلهم ضدك ، ولاتزال تجد في نفسك الجرأة على المقاومة ؟ أمرك عجيب ! هذه قلة ذوق !

كليمين : ان ما يحيرنى أنا شخصيا ، أن يستطيع أشخاص عقلاء تعريض انفسهم للدفاع عن حمقاقات هذه المسرحية .

المركيز : عليّ لعنة الله ، يا سيدتى ، اذا لم تكن هذه المسرحية فاشلة من أولها حتى آخرها .

دورانت : من السهل أن يقال مثل هذا الكلام ، ايها المركيز . لا شئ أيسر من القطع في الحكم على هذا النحو . ولست ارى فيما تقوله أى شئ يصلح عضدا وقوة لاحكامك .

المركيز : يا للشيطان ! كل الممثلين الذين ذهبوا لرؤيتها قالوا فيها جميعا كل ما هو شائن .

دورانت : آه ! الى هنا ، ولم يعد لدى شئ ، أقوله ، أنت على حق ، أيها المركيز . ما دام الممثلون الآخرون قد قالوا

عنها كل ما هو شائن ، فلا بد من تصديقهم ، بشكل تأكيد . فهم أناس مستنيرون وكلامهم منزه عن الغرض لم يعد لى أن اقول شيئا بل أستسلم .

كليمين : استسلمت أم لم تستسلم ، فأنا أعرف جيدا انك لن تستطيع اقناعى مطلقا بقبول ما في هذه المسرحية من قاذورات ، ولا بهذا السباب المثير الذى نسمعه يوجه فيها ضد النساء . . .

أورانى : أما انا ، فإنى أرفض أن أرى في ذلك ما يجرحنى ، أو أن ألصق بنفسى شيئا مما يقال فيها . فهذه الأهاجى تنصب على العادات بصورة مباشرة ، ولا تصيب الاشخاص الا عن طريق الانعكاس . وليس لنا أن نطبق على أنفسنا سمات نقد عام ، ولنستفد من تلك الدروس بقدر المستطاع ، دون أن نتظاهر بأن الكلام موجه الى أشخاصنا . ذلك لأن الصور المضحكة التى تعرض على المسارح يجب النظر اليها دون امتعاض من أى انسان . انها مرايا عمومية لا ينبغى لأحد الادعاء بأنه يرى نفسه فيها ، واننا لنصم أنفسنا علنا بالمعايب ، حين نقرر أنها تخدش كرامتنا .

كليمين : أنا لا أتكلم عن هذه الأشياء باعتبار ما قد ينطبق على

منها ، وأعتقد أنى اعيش في المجتمع على نهج لا أخشى معه أن يتجــه أحد للبحث عنى بين هــذه الصورالتى تخطط للنساء اللائى يسئن السيطرة على سلوكهن .

الــيز : من المؤكد ، يا سيدتى ، انه لن يفتش عنك فيها أحد بأى حال . فان سلوكك معروف بمــا فيه الكفايــة ، وهذه من أنواع الاشياء التى لا يمارى فيها أحد .

أورانى : (لكليمين) لذلك يا سيدتى ، لم أقل شيئا يمسّك ، وان كلماتى ، كأهاجىّ المسرحية ، لا تخرج عن نطــاق القضية العامة .

كليمين : هذا ما لم أشك فيه ، يا سيدتى . ولكن لندع هذهالنقطة جانبا والواقع انى لا أدرى بأى شعور تستقبلين الشتائم التى توجه الى جنسنا في بعض مواضع المسرحية ،أماأنا فاعترف بانى اشعر بالغضب الجارف حين أرى هــذا المؤلف الوقح يدعونا « بالحيوانات » .

أورانى : ألا ترين أن هذا الكلام يصدر على لسان شخصيــــة مضحكة ؟

دورانت : ثم ، ألا ترين ، يا سيدتى ، أن شتائم العشاق ليس من شأنها أبدا أن تثير الضيق ، وان هناك انواعا من الحب

العنيف ، كما أن هناك انواعا من الحب المعسول، وانه في مثل هذه الحالات تؤخذ اغرب العبارات ، بل وما هو أسوأ منها ، على انهـــا علامات للملاطفة من قبل اولئك الذين يتلقونها ؟

الـــيز : قل كل ما تريد أن تقول ، فلن أستطيع أن اهضـــم ذلك ، كما لن أستطيع أن اهضم «الحساء» ولا الفطيرة بالقشدة اللتين تكلمت عنهما السيدة منذ قليل .

المركيز : أه ! والله با لنسبة إلى « الفطيرة با لقشدة » فنعم ! وهذا ما لاحظته منذ قليل ، « فطيرة با لقشدة » ، كم أنا مدين لك ، يا سيدتي أن ذكرتني « بالفطيرة با لقشدة ! » هل هناك قدر كاف من التفاح في نورمانديا من أجل « الفطيرة با لقشدة ؟ » « فطيرة با لقشدة » يا للشيطان ! « فطيرة با لقشدة ! » .

دورانت : ليكن ، ولكن ماذا تريد أن تقول بعبارة « فطيرة با لقشدة ! » ؟

المركيز : ياللشيطان ! « فطيرة با لقشدة » ، يا شفالييه .

دورانت : نعم ، ولكن ماذا ؟

المركيز : فطيرة با لقشدة !

دورانت : اشرح لنا اسبابك ، بعض الشئ .

أورانى : لكن يجب على الواحد أن يشرح فكرته ، على ما يبدو لى .

المركيز : « فطيرة با لقشدة » يا سيدتى !

أورانى : ماذا تجد في ذلك مما يستحق اللوم . ؟

المركيز : أنا ، لا شئ ! « فطيرة با لقشدة ! » .

أورانى : أه ! أنا تخليت .

اليز : السيد المركيز يعرف كيف يتصرف بلباقة ، فهو يلقمكم الحجر باحسن صورة . ولكنى أريد من السيد ليسيداس أن يجهز عليهم ، أن يوجه اليهم بعض الضربات الخفيفة على طريقته .

ليسيداس : ليس من عادتى أن أطعن في شئ . ولكن دون أن أمس العطف الذى يظهر السيد شفالييه نحو المؤلف ، لابد للمرء أن يعترف بأن هذه الأصناف من المسرحيات ليست بمسرحيات بالمعنى الحقيقى للكلمة ، وأن هناك فرقا عظيما بين كل هذه التفاهات وجمال المسرحيات الجادة ، ومع ذلك فان الناس في أيامنا هذه لايقبلون إلا عليها ، لم يعودوا يجرون الا وراءها ، فبينما

لا يجد الانسان حول المؤلفات العظيمة غير الوحدة القاتلة ، يرى كل باريس تسارع إلى هذه البلاهات. الحقيقة أن قلبي ينزف دما من جراء ذلك في بعض الأحيان ، وهذا عار على فرنسا .

كليمين : مما لاشك فيه أن ذوق الناس في هذا المجال قد أصابه فساد غريب ، وأن أهل عصرنا هذا يتصعلكون بشكل مزعج

السيز : هذا التعبير ، ما أجمله ! « يتصعلكون » ! أهو من ابتكارك . يا سيدتى ؟

كليمين : إيه .

السيز : هذا هو ما جال بخاطرى .

دورانت : أنت ترى اذن ، يا سيد ليسيداس ، أن الثقافة كلها والجمال كله ينحصران في القصائد الجادة ، وأن المسرحيات الهزلية ليست الا تفاهات لا تستحق أى اطراء ؟

أورانى : أما أنا فليس هذا من رأيى . نعم ، لاشك أن المسأساة شئ جميل إذا كانت متقنة ، ولكن الكوميديا أيضا لها سحرها ، وأعتقد أن الواحدة ليست أقل صعوبة من الأخرى .

دورانت : بكل تأكيد ، يا سيدتى ، أما من حيث الصعوبة
فانك لو أضفت كلمة أكبر إلى الكوميدية ، لربما لم
تكونى متجنية . لأ ن الاقبال الوقور على مجال العواطف
السامية ، ومجابهة القدر في أبيات من الشعر واتهام
الاقدار وشتم الآلهه أسهل بكثير من الدخول الناجح في مجال
المضحكات البشرية وعرض عيوب الناس جميعا على
المسرح بصورة مرضية . ! اننا حينما نصور بطلا ،
نعمل ما نشاء ، فهذه صور ترسم تبعا للمزاج الشخصي
حيث لا يتحتم علينا أن نسعى الى تحقيق التشابه ، بل
يكفى أن نتتبع الخطوط التي يرسمها أمامنا خيال فائر
من شأنه في غالب الأحيان ان يترك ما هو حقيقى إلى
ما هو عجيب ، ولكن حينما نصور البشر يتحتم
علينا أن نرسم من الطبيعة ، نريد أن تكون هذه الصور
مشابهة ، ولن نعتبر أننا قد عملنا شيئا إذا لم يتعرف
المشاهدون فيها على أهل العصر الذى نعيش فيه .
بالاختصار يكفى في المسرحيات الجادة — لكيلا يوجه
الينا اى لوم — أن تكون الأشياء التى نكتبها مما
لا يرفضه الطبع السليم وأن تكتب بأسلوب جيد .
ولكن ذلك لا يكفى في المسرحيات الأخرى ، اذ لا

بد فيها من الممازحة ، ولا شك انه من أصعب الأمور أن ننجح في اضحاك الانسان السوى .

كليمين : أعتقد أنى أعد من الناس الاسوياء ، ومع ذلك فانى لم أجد الكلمة التى تضحك في كل ما رأيت .

المركيز : في الحقيقة ، ولا أنا .

دورانت : با لنسبة اليك ، أيها المركيز ، هذا لا يدهشنى : ذلك انك لم تجد فيها تهريجا .

ليسيداس : الحقيقة ، يا سيدى ، انها لاتمتاز عن ذلك الذى تسميه تهريجا ، وكل ما فيها من نكات تتسم با لبرود .

دورانت : القصر لم يجدها كذلك .

ليسيداس : آه ! القصر ! يا سيدى !

دورانت : أكمل ، يا سيد ليسيداس . أرى جيدا انك تريد القول بأن القصر لا يفهم في هذه الأشياء . ذلك هو ملجوكم المعتاد ، انتم أيها السادة المؤلفون ، فكلما حاق الفشل بأعمالكم ، رحتم تتهمون انحياز اهل القصر ، وجهل اناس الحاشية . ولكن اعلم ، يا سيد ليسيداس ، من فضلك ، أن اناس الحاشية يتمتعون بسلامة الأبصا ر التى يتمتع بها الآخرون ، وأن من يتزينون بالريـــش

ودنتلة البندقية ، يتساوون في المهارة مع من يلبسون الباروكة قصيرة الشعر والياقة البيضاء مثنية الاطراف، وأن اعظم بلاء تصطدم به كل كوميدياتكم هو حكم القصر ، وأن ذوق القصر هو الذى يجب أن يدرس من أجل الوصول إلى فن النجاح ، وأنه لا يوجد مكان آخر يفوقه في عدالة الأحكام ، وأننا ، حتى إذا لم ندخل في حسابنا جميع من فيه من العلماء ، نجد أن كونه موطنا لصدق الحس الطبيعى وملتقى لأرقى طبقات المجتمع من شأنه أن يؤدى إلى تكوين نوع من التى العقلية لا نظير لها والتي تستطيع الحكم على الأشياء بأرق مما تستطيع جميع تلك المعرفة الصدئة التى يتشدق بها المتحذلقون .

أورانى : في الحقيقة يكفى أن يقيم الإنسان فيه ولو بعض الوقت لتمر أمام بصره أشياء كثيرة كافية لأن تربى لديه التعود على معرفتها ، ولا سيما با لنسبة للفكاهة السيئة والفكاهة الجميلة .

دورانت : القصر لايخلو من مضحكات ، أنا لا أنكر ذلك ، وأنتم ترون أنى أول من يشاغبها . ولكن الحقيقة ايضا أن فيه عددا كبيرا من المثقفين المحترمين ، وإذا كان يطيب للفنان أن يلعب بعض المركيزات ، فأنا أعتقد

أن هناك ما يدعوه إلى لعب المؤلفين ، وانه يكون من المسلى جدا أن يضع على خشبة المسرح تقطيبات ملامحهم المتعاليةورقتهم المضحكة ، وعادتهم المرذولة في ذبح أهل حرفتهم ونهمهم للمديح وملاطفتهم لأفكارهم واتجارهم بالشهرة وأخلاقهم الهجومية والدفاعية ، وكذلك حروبهم الثقافية وتراشقهم بالنثر والشعر .

ليسيداس : لاشك ، ياسيدى ، ان موليير سعيد أن يكون له محام في درجة حماسك . ولكن لنرجع إلى موضوعنا ، والأمر يتعلق بمعرفة ما إذا كانت مسرحيته جيدة ، وأنا على استعداد لأن أبين لكم فيها مئات العيوب التى تتزاحم فيها من أولها إلى آخرها .

أورانى : من اغرب ما تمتازون به ، أيها السادة الشعراء ، انكم دائما وأبدا تهاجمون المسرحية التى يتزاحم الناس على رؤيتها ، ولا تقولون مطلقا كلمة طيبة الا في المسرحية التى لا يقبل عليها أحد . الأولى تكنون لها بغضا لا يمكن قهره ، والثانية تخصونها بعطف لا يمكن فهمه .

دورانت : لانه من المروءة ان يأخذ المرء بجانب المنكوبين .

أورانى : ولكن أرجوك ، ياسيد ليسيداس ان تبين لنا تلك العيوب التى لم استطع أنا أن المحها .

ليسيداس : أولئك الذين يعرفون أرسطو وهوراسى جيدا يرون أولا أن هذه المسرحية أجرمت في حق جميع قواعد الفن .

أوراني : أعترف لك بأني لا أتعامل مطلقا مع هذين السيدين ، ولا أعرف ماهى قواعد الفن .

دورانت : ان امركم يدعو إلى العجب بقواعدكم هذه التى التى تربكون بها الجهلة ، وتحطمون رؤوسنا كل يوم . يبدو لمن يسمع كلامكم ان قواعد الفن هذه أعتى الغاز العالم . والواقع انها ليست الا بضع ملاحظات بسيطة وضعها الحس السليم عما يمكن أن يقلل من المتعة التى ينتظرها المرء في هذا النوع من المسرحيات . ونفس هذا الحس السليم الذى وضع تلك الملاحظات فيما مضى مستمر في عمله هذا كل يوم دون الحاجة الى نجدة من هوراسى وأرسطو . والآن أريد أن أعرف ما إذا لم تكن القاعدة العظمى لجميع القواعد تنحصر في الإقناع ، وما إذا كنت تعتبر ان المسرحية التى وصلت إلى هدفها قد ضلت طريقها . أتريد أن تتهم جمهوراً بأسره بالانخداع في هذه الأنواع من الأشياء ، وألا يكون كل شخص هو نفسه الحكم على ما يجد فيها من متعة؟

أوراني : لقد لاحظت شيئا لدى هؤلاء السادة ، وهو أن من يتكلمون منهم في القواعد أكثر من غيرهم ، ومن يعرفونها أحسن مما يعرفها الآخرون يكتبون مسرحيات لا يرى فيها احد شيئا من الجمال .

دورانت : معنى هذا ، يا سيدتى ، انه لا يصح للمرء أن يتوقف كثيرا عند مناقشاتهم المملة . لأنه إذا كانت المسرحيات التى تكتب تبعا للقواعد لا تعجب ، وتلك التى تعجب لاتسير على القواعد ، فلا بد أن تكون هذه القواعد بالضرورة سيئة الصنع . فلنسخر اذن من هذه الاشكالات التى يريدون أن يخضعوا لها ذوق الجمهور ، ولنعتمد في المسرحية على الأثر الذى تحدثه فينا دون سواه . ولندع انفسنا نسير بكل إخلاص نحو الأشياء التى تستولى على اعجابنا ، ولا نحاول البحث عن حجج وأدلة تحول بيننا وبين السرور والمتعة .

أوراني : بالنسبة الى، إذا شاهدت احدى الكوميديات ، فانى لا أنظر الا الى الأشياء التى تحرك نفسى ، وإذا وجدت انها قد سرت عنى لم أحاول البحث عما إذا كنت قد أخطأت ، وما إذا كانت قواعد ارسطو تحرم على الضحك .

دورانت : هذا بالضبط كشخص ذاق صلصة ممتازة ، ثم أراد أن يبحث عما إذا كانت جيدة تبعا للقواعد المسطورة في كتاب « الطباخ الفرنسى » .

أورانى : هذا صحيح ، وانى لأعجب لتلك المماحكات المتكلفة التى يلوكها بعض الناس عن أشياء يجب أن نحسها نحن أنفسنا .

دورانت : أنت على حق ، يا سيدتى حين تعتبرين أن كل هذه المماحكات المعقدة من غرائب الأمور . لانه لو كان لها محل ، لانتهى بنا الحال إلى عدم تصديق أنفسنا ، ولأصبحت حواسنا نفسها تتسم بطابع التبعية في كل شئ ، حتى في الأكل والشرب ، ولم يعد لنا الحق في أن نجد شيئا جيدا الا بعد إذن السادة الخبراء .

ليسيداس : خلاصة القول ، ياسيدى ، أن حججك تنحصر في أن « مدرسة الزوجات » قد لاقت الإعجاب ، وبعد ذلك لا يهمك أن تكون مطابقة للقواعد ، ما دامت . . . .

دورانت : مهما يكن من شئ ، فحتى هذا ياسيدى لا أسلم لك به . فأنا أقول بكل وضوح إن الفن العظيم هو إثارة الاعجاب ، وأنه إذا كانت هذه المسرحية قد أعجبت من كتبت من أجلهم ، فانى أجد أن ذلك يكفيها ،

وليس عليها أن تهتم بالباقي . ولكني ، مع ذلك ، أقرر
أن هذه المسرحية لم تجرم في حق أى قاعدة من القواعد
التي تتكلم انت عنها . لقد قرأتها كلها كأى عمل
آخر ، والحمدلله ، وأستطيع أن أبين أنه ربما لايوجد
لدينا أى مسرحية أخرى تعدلها في مراعاة القواعد .

السير : تشجع ، ياسيدى ليسيداس ، اننا سنخسر قضيتنا إذا
تراجعت .

ليسيداس : ماذا ! والبروتاز والايبياز والانفساح ، ياسيدى ؟

دورانت : ياسيد ليسيداس . انك تسحقنا بهذه الكلمات الضخمة .
لاتظهر بكل هذا العلم ، أرجوك ، تكلم بلغة
البشر ، وتكلم من أجل أن نفهم . أتظن أن استخدام
اسم يونانى يزيد من قيمة حججك ؟ هل تجد أن
حديثك كان يصبح أقل جمالا ، لو استعملت «العرض»
بدل « البروتاز » و « العقدة » بدل « الايبيتاز »
و « الحل » بدل « الانفساح » ؟

ليسيداس : هذه مصطلحات فنية من حق الانسان ان يستخدمها .
ولكن إذا كانت هذه الكلمات تجرح أذنيك ، فسأعبر
عن نفسى بطريقة أخرى وأرجوك أن تجيب بالإيجاب
على ثلاثة أشياء أو أربعة سأطرحها عليك : هل يستطيع

إنسان أن يقبل مسرحية تتعارض والاسم نفسه الذى
يسمى به أى مؤلف مسرحى ؟ لأن اسم القصيدة
« الدرامية » جاء من كلمة يونانية معناها « يفعل »
لبيان أن طبيعة هذه القصيدة تنحصر في الفعل ، وهذه
المسرحية تخلو من الأفعال خلوا تاما ، وكل ما فيها
يتكون من احاديث يحكيها إما هوراسى واما أنييس .

المركيز : أه ! أه ! يا شفالييه .

كليمين : هذه حقا ملاحظة مثقفة ، وهنا قد وصلنا إلى نهاية
النهاية .

ليسيداس : هل يمكن أن يكون هناك أقل سموا ، أو بتعبير
أحسن ، هل يمكن أن يكون هناك أكثر انحطاطا من
تصنع الكلمات التى يضحك منها الجميع ، ولا سيما
عبارة « الأطفال من الأذن » . ؟

كليمين : ممتـــاز .

الـــير : أه !

ليسيداس : ومشهد الخادم والخادمة داخل البيت ، أليس مملا في
طوله وغاية في الوقاحة ؟

المركيز : هذا صحيح .

كليمين : بالتأكـــيد .

الـــيز : عنده حق .

ليسيداس : ألا ترى أن أرنولف يغدق من ماله على هوراسى بكرم زائد عن الحد ؟ وإذا كان هو الشخصية المضحكة في المسرحية ، فهل كان يصح أن تجعله يفعل فعل إنسان سوى ؟

المركيز : حسن ! وهذه أيضا ملاحظة جيدة .

كليمين : عاليـــة .

الـــيز : هائلـــة .

ليسيداس : ثم الخطبة الوعظية والوصايا ، أليست أشياء مضحكة ، ومن شأنها أن تخدش الاحترام الواجب علينا نحو معجزاتنا الدينية ؟

المركيز : عظـــيم .

كليمين : هذا هو الكلام .

الـــيز : لايمكن أحسن من ذلك .

ليسيداس : وأخيرا ، هذا السيد دى لاسوش الذى يصور لنا على أنه رجل مثقف ، ويبدو على جانب كبير من الجدية في كثير من المواضع ، ألست تراه منحدرا الى شيء مـــن

الهزلية المبالغ فيها ، بل المثيرة لأعلى درجات السخط ، وذلك في الفصل الخامس حين يشرح لأنييس حبـــــه العنيف ، بهذه النظرات الزائفة الغريبة ، وهذهالزفرات وتلك الدموع الخرقاء التي تثير الضحك لدىالجميع ؟

المركيز : يا للشيطان ! هائل !

كليمين : معجـــز !

الـــيز : يعيش السيد ليسيداس !

ليسيداس : وأترك مئات الاشياء الاخرى خشية الملل .

المركيز : يا للشيطان ! هأنت ذا ، أيها الفارس ، وقد وقعت بين المطرقة والسندان .

دورانت : ســنرى .

المركيز : الحقيقة أنك قد وجدت الرجل الذى يصلح لك .

د ورانت : ربمـــا .

المركيز : أجب ، أجب ، أجب ، أجب .

دورانت : بكل سرور . انه . . .

المركيز : أجب ، اذن ، أرجوك .

دورانت : دعني ، اذن ، أفعل . اذا . . .

المركيز : يا للشيطان ! أنا اتحداك أن تجيب .

دورانت : طبعا ، اذا كنت أنت الذى تتكلم باستمرار .

كليمين : لنسمع حججه من فضلكم .

دورانت : أولا ، ليس صحيحا أن يقال إن المسرحية لا تتكون الا من أحاديث . ففيها كثير من الأحداث التى تجرى على خشبة المسرح ، كما أن الاحاديث نفسها تعتبر ، فيها أحداثا تبعا لبنية الموضوع ، خصوصا وأنها كلها تجرى دون افتعال على لسان الشخص المعنى الذى يدخل عن طريقها لدى كل خطوة يخطوها في نوع من الخلط يبهج المشاهدين ، ويتخذ لدى كل خبر يسمعه جميع ما يستطيع من إجراءات لتجنب الكارثة التى يخشاها .

أورانى : أما من جهتى ، فإنى اجد ان الجمال في « مدرسة الزوجات » ينحصر في هذه المباتة المتواصلة ، ومما يبدو لى ممتعا بما فيه الكفاية ان هذا الرجل المثقف الذى تصله كل الاخبار عن طريق فتاة ساذجة ، هى محبوبته ، وشاب أرعن ، هو غريمه ، لا يستطيع ، مع كل هذا أن يتجنب ما يحدث له .

المركيز : شئ تافه ، شئ تافه .

كليمين : رد ضعيف .

السيز : حجج واهية .

دورانت : أما عبارة « الأطفال من الأذن » فانها ليست مسلية ، الا من انعكاسها عن أرنولف ، وقد أتى بها المؤلف لا لتكون كلمة جيدة في حد ذاتها ، ولكن باعتبارها شيئا يصور لنا شخصية الرجل ويصور غرابة اطواره فقط حين نراه يحكى هذه الحماقة التافهة التى قالتها أنييس على أنها اجمل ما في العالم ، ويستمد منها بهجة لا يمكن تصورها .

المركيز : رد سيئ .

كليمين : غير مقنع .

السيز : كلام لا معنى له .

دورانت : وأما عن النقود التى يقدمها بكل سخاء ، فان لديه الضمان الكافي لها في خطاب صديقه الحميم ، كما أنه لا تعارض في أن يكون الشخص مضحكا في بعض الأشياء وانسانا سويا في البعض الآخر . ومن جهة مشهد آلان وجورجيت في البيت الذى اتهمه البعض بالطول والبرودة ، فمما لا شك فيه أنه لم يوضع اعتباطا ،

ذلك أنه اذا كان أرنولف قد خدع في غيابه بسبب سذاجة محبوبته ، فانه يظل وقتا طويلا أمام بابه بسبب سذاجة خدمه ، من أجل أن ينال العقاب في كل مكان من طرف نفس الاشياء التى ظن أنها تضمن لهالاطمئنان

المركيز : هذه حجج لا تساوى شيئا .

كليمين : كل ذلك لمجرد التبرير .

لـيز : هذا يثير الاشفاق .

دورانت : ومن جهه الخطبة الاخلاقية التى تسميها بالخطبة الوعظية ، فمن الأكيد أن بعض المتدينين الحقيقيين سمعوها ولم يجدوا انها تخدش ما تكلمت عنه . ولا شك ان « الجحيم » و « مراجل الماء الغالى » لها ما يبررها في غرابة أطوار أرنولف وسذاجة من يخاطبها . أماعن حماسه الغرامى في الفصل الخامس الذى يتهم بأنههزلى ومثير للسخط الى أقصى حد ،فانى أريد أن أعرف ما اذا لم يكن ذلك هجاء للعشاق ، وما إذا لم يكن الأشخاص السويون أنفسهم وأكثر الناس تشبثابالرزانة لا يفعلون ، في مثل هذه المناسبات ، أشياء . . .

المركيز : أعتقد أنك تفعل خيرا ، لو سكت .

دورانت : ليكن . ولكن اذا نظرنا نحن الى انفسنا ونحن في حالة غرام . . .

المركيز : لا أريد حتى أن انصت اليك .

دورانت : أنصت إلى ، إذا أردت . ألا يقع عندما يصل الغرام إلى قمة عنفه . . .

المركيز : لا ، لا ، لا ، لا ، لا ،لا ،لا ،لا ،لا ،

(يغـــنى)

دورانت : ما هـــذا ؟

المركيز : لا ، لا ، لا ،لا ،لا ، لا، لا ، لا ، لا ، لا ، لا، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ،

دورانت : لا أدرى ما إذا . . .

المركيز : لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، .

أورانى : يبدو لـــى . . .

المركيز : لا، لا ، لا ، لا ، لا ، لا، لا ، لا، لا ، لا، لا، لا، لا، لا، لا ، لا ، لا، لا، .

أورانى : تحدث أشياء مسلية في نقاشنا هذا . أعتقد أنه يمكن

عمل كوميديا صغيرة منه ، وانها لن تكون نشازا صارخا إذا جعلت ذيلا لـ « مدرسة الزوجات » .

دورانت : عندك حـــق .

المركيز : ياللشيطان ! انك في هذه الحال ، ستلعب فيها دورا في غير مصلحتك .

دورانت : هذا صحيح ، أيها المركيز .

كليمين : أنا اتمنى أن يحدث ذلك ، بشرط أن نعالج المسالة على النحو الذى تمت عليه .

الـسيز : وأنا ، اقدم شخصيتى بكل طيب نفس .

ليسيداس : مادمنا كلنا راضين ، فلتكتب ، يا شفاليه ، مذكرة بكل ما حدث ، وقدمها لموليير الذى تعرفه ، ليصنع منها مسرحية . قد يرفض ، في اغلب الظن ، لأنها لن تكون أشعارا في مديحه .

أورانى : كلا ، كلا ، أنا أعرف طباعه ، انه لايهتم بان تهاجم مسرحياته ، مادام الناس يقبلون عليها .

دورانت : نعم . ولكن أى حل يستطيع العثور عليه لذلك العمل ؟ لانه لن يكون هناك زواج ولا اعتراف ، ولست أدرى بماذا يمكن انهاء النقاش .

أورانى : من أجل هذا يجب أن نفكر في حادثه .

المنظر السابع والاخير

جالوبان ، كليمين ، ليسيداس ، دورانت

المركيز ، اليز ، اوراني

جالوبان : سيدتى ، المائدة جاهزة .

دورانت : أه ! هذا بالضبط ما يلزم من أجل الحل الذى نبحث عنه ، وليس في المستطاع ايجاد شيء أكثر طبيعية منه . سنتناقش بقوة وحزم من كلا الجانبين ، كما فعلنا ، دون أن يتنازل أحد عن موقفه ، سيقدم خادم صغير ليقول : المائدة جاهزة ، سننهض ، وسيذهب كل شخص لتناول العشاء .

أوراني : ولا يمكن للمسرحية أن تنتهى باحسن من ذلك ، ونحن نحسن صنعا أن نقف عند هذا الحد .

الجزء الثالث

ارتجالية فرساي

كوميديا

مثلت للمرة الاولى في فرساي
في اليوم الرابع عشر من اكتوبر سنة ١٦٦٣
على مسرح الباليه رويال
في اليوم الرابع عشر من نوفمبر ١٦٦٣

مقدمة ارتجالية فرساي
للمترجم

ذكرنا فى المقدمتين السابقتين أن « الممثلين الكبار » كانوا يشعرون بأشد أنواع الحسد نحو فرقة « السيد » . وقاموا ، فعلا منذ يونيه سنة ١٦٦٢ ، بالسعى لدى الملكة « آن دوتريش » لكى تعمل على مساعدتهم فى الحصول على امتياز خدمة الملك » . وكانوا قد طلبوا من بورسو أن يكتب لهم صورة الرسام التى تهاجم موليير المؤلف والممثل ، بل وموليير الرجل فى حياته الخاصة .

ولكن كل هذه المساعى قد باءت بالفشل ، يدل على ذلك أن الملك قد استدعى موليير الى فرساى فى التاسع عشر من اكتوبر سنة ١٦٦٣ ، على أكثر الاحتمالات ، ليقدم عدة مسرحيات ، منها ارتجالية فرساى التى كان قد طلب اليه كتابتها .

وفى المسرحية نرى موليير يقف فى صالة مسرح « الكوميدى دى فرساى » يقود تجربة المسرحية الجديدة التى كان على الفرقة أن تقوم بتمثيلها امام الملك ، وليس هناك من أحد (من مدعين ومتحذلقات) ، وكلهم فى حالة ارتياع . وحينئذ تسأله السيدة بيجار لماذا لم يكتب « كوميديا الكوميديين » ، كما كان فى عزمه أن يفعل ، من أجل الانتقام لنفسه ضد ضروب النقد التى وجهت اليه ، ويأخذ موليير فى محاكاة كوميديى مسرح « الاوتيل دى بورجونى » ، ثم يعود الى تجربته ، فيدلى الى كل ممثل بالنغمة التى يجب أن يتخذها من اجل أبراز الشخصية التى يمثلها . وتبدأ التجربة الحقيقيــة حين يلتقى مركيزان (موليير ولاجرانج) ويأخذان فى الجدل حول أى منهما يعنيه موليير فى مدرسة الزوجات ، ويحتكمان الى « رجل سوى » (ريكور) ، فيقنعهما بأن موليير)

انما يرسم صورا عامة . وتصل اثنتان من المتحذلقات (السيدة موليير والسيدة دى بارك)، تتبعهن احدى الحفرات المزيفات (السيدة دى برى) مصحوبــة بليسيداس (دى كروازى) احد المدعين ، ويبدأ الجميع (من مدعين ومتحذلقات) فى كيل المديح لصورة الرســام ، وحينئذ يتدخل موليير مشبها بورسو بآيات احتقاره ، ومفندا ما وجه اليه من اتهامات ظالمة . ويصل الملك فيؤدى قدومه الى نوع من النصر والارتياح ، ولكن لايلبث أن يصل رسول يخبرهم بأن صاحب الجلالة وافق على تأجيل تمثيل المسرحية الجديدة .

والارتجالية تكمل نقد مدرسة الزوجات . والواقع أنه اذا كان موليير يدافع عن نفسه فى النقد فانه فى الارتجالية ينتقل الى الهجوم فى وثوق بالنصر وشموخ زاد منه نجاح مسرحياته .

وفى الجزء الاول من هذه المسرحية نجد انفسنا فى « كواليس » مسرح موليير ، ونجد أن موليير نفسه يحتل مكانه على الخشبة بشخصه ، وباعتباره مؤلفا وممثلا ومدير فرقة ، ويظهر كل عضو من أعضاء الفرقة بالصفة التى تميزه بخفتها وثرثرتها ، مادلين بيجار بسلطانها وهيلمانها ، ولاجرانج ، ذلك الفنان الرائع الصامت . . . . الخ . وفى الجزء الثانى نرى موليير يحاكى منافسيه من ممثلى الاوتيل دى بورجونى فى أدوار تمثيلية عديدة سبق لهم تمثيلها وعرفوا بها ، وينقل ذلك بصورة كاريكاتورية تجعلهم اضحوكة المشاهدين . وفى القسم الثالث يعود المؤلف الى بعض ماجاء فى النقد مع التركيز عليه بصورة أشد . ولكن هل يجوز لنا أن نصدق موليير حين يؤكد انه لم يرسم صورا واقعية قط ، ؟على كل حال ، الذى لاشك فيه أن هجــاءه الشخصى لبورسو ، « ذلك الهجاء القاسى البالغ فى العنف » على حد تعبير فولتير ، يتجاوز الحــد ، ولكن لا يصح أن ننســى أن موليير يدافع هنا عن مركزه وشرفه ومستقبله .

وقد نجحت الارتجالية فى المسرح الملكى وفى الباليه رويال على السواء ، وكان أول عرض لها فى المدينة فى اليوم الرابع من أغسطس سنة ١٦٦٣ ، وقد تكرر عرضها خمســا وعشرين مرة .

ولكن ظهور هذه المسرحية ونجاحها أججا النار ضد موليير من جديد ، وأطلقا ضده حملات مسعورة . فقد طبع بورسو مسرحيته مصحوبة بمقدمة كلها شتائم موجهة ضد مؤلفنا ، وأهداها الى نجل الدوق دى جران كرنديه . ونشر دونو دى ڤيزيه ، هو الآخر رسالة الرد على ارتجالية فرساى La Regcnse a I anqromptu de Verspilles حيث يصف«مادلين بيجار » بأنها«مومس عجوز » ، وموليير بأنه«ديوث». ثم ما لبث أن أتبعها بنشر خطاب عن شئون المسرح يمتدح فيه المركيزات « زينة الدولة » ويستعديهم على موليير . وكتب انطوان جاكوب مونتفلورى الصغير ، (ابن ممثل الاوتيل دى بورجونى « السيدين ذى الكرش ») مسرحية قدمها لمسرح الاوتيل وضمنها ارتجالية الأوتيل دى كونديه ، وفيها يعيب على موليير أنه ممثل فاشل فى ميدان التراجيديا. أما مونتفلورى الأب ، فقد بعث بشكوى الى الملك يتهم فيها موليير بأنه تزوج ابنة خليلته . وقد كان رد الملك على هذه الشكوى مخيبا لآمال صاحبها ، اذ قبـل أن يكون عرابا لأول طفل يولد لموليير من أرماند ، كما كانت العرابة « السيدة » زوجة أخى الملك .

وقد قام اثنان من أنصار موليير بالرد على هذه الموجة من الشتائم والمناورات الرخيصة ، أحدهما اسمه « شيفالييه » كان يعمل ممثلا فى فرقة « الماريه» فكتب مسرحيـة سماها حب كالوتان Les Amours de Galotin وعرضها على مسرح فرقته ، وفيها يدافع دفاعا حارا عن مؤلفنا . والثانى شخص مـــا ، اسمـه فيليب دى لاكروا Fhilipe de Ia Groix الذى كتب محاورة مزج فيها بين الشعر والنثر وسماها : الحرب الكوميدية (أى حرب الكوميديين) أو الدفاع عن مدرسة الزوجات .

أما موليير نفسه ، فقد لاذ بالصمت فى هذه المرة ، مكتفيا بما كان يغمره به الملك ، وبوالو ، والجمهور من تشجيع وتكريم .

ولم تطبع مسرحية ارتجالية فرساى الا فى سنة ١٦٨٢ ، بعـد موت صاحبها بفترة غير قصيرة .

أسماء الممثلين وأدوارهم

موليـــير	مركيز مضحك .
بريكـــور	رجل ذو مزايا .
دى لا جرانـــج	مركيز مضحك .
دى كروازى	شاعر (مؤلف) .
لا توريير	مركيز مزعـــج .
بيجـــار	رجل يقوم بما يعتقد أنه ضرورى.
السيدة دى بارك	مركيزة متكلفـــة .
السيدة بيجـــار	مدعية الطهـــارة .
السيدة دى برى	متأنقة عاقلـــة .
السيدة موليـــير	هجاءة مثقفـــة
السيدة دى كروزاى	شريرة معسولة .
السيدة هرفيـــه	خادمة متحذلقـــة .

المنظر فى فرساي ، فى قاعة المسرح

NOMS DES ACTEURS

Moliere, marquis ridicule.

Bécourt, homme de qualité.

Du la Grange, marquis ridicule.

Du Groisy, poete.

La Thorillere, marquis facheux.

Bejart, homme qui fait le necessaire.

Mademoiselle du Parc, marquise faconniere.

Madmoiselle Béjart, prude.

Mademoiselle de Brie, sage coquette.

Mademoiselle Moliere, satitique, spirituelle.

Mademoiselle du Croisy, peste doucereuse.

Mademoiselle Hervé, servante precieuse.

الفصل الاول

المنظر الاول

موليير ، بريكور ، لاجرانج ، دي كروازي
السيدات ؛ دى بارك ، بيجار ، دى برى
موليير ، دى كروازى ، هرفيه

موليـــير : (وحده يكلم زملاءه الذين خلف المسرح) هيا اذن ، أيها السيدات والسادة ، أتسخرون مني بهذا التباطؤ ؟ ألا تريدون أن تأتوا هنــا جميعا ؟ ليذهب الطاعون بهؤلاء الناس ! هيا هنا ! يا سيد دى بريكور !

بريكور : (من خلف المسرح) ماذا ؟

موليـــير : يا سيد لا جرانج !

لا جرانج : (من خلف المسرح) ما الخبر ؟

موليـــير : يا سيد دى كروازى !

دى كروازى : (من خلف المسرح) نعم ؟

موليـــير : يا سيدة دى بارك !

السيدة دى بارك : (من خلف المسرح) هيه ؟ نعم ؟

موليـــير : السيدة بيجـــار !

السيدة بيجار : (خلف المسرح) ماذا هنا لك ؟

موليـــير : السيدة دى برى !

السيدة دى برى : (خلف المسرح) ماذا تريدون ؟

موليـــير : السيدة دى كروازى !

السيدة دى كروازى : (خلف المسرح) ما هى المسألة ؟

موليـــير : السيدة هرفيـــه !

السيدة هرفيه : (خلف المسرح) حالا .

موليـــير : أعتقد أنى سأجن بصحبة كل هؤلاء النـــاس
(يدخل بريكور ولا جرانج ودى كروازى)
يا للشيطان ! أتريـــدون ، أيها الســـادة ، أن
تخرجونى عن طورى هذا اليوم ؟

بريكور : ماذا تريد منا أن نعمل ؟ اننا لا نعرف أدوارنا ،
وأنت الذى تخرجنا عن طورنا باجبارنا عـــلى
اللعب بهذا الشكل .

موليـــير : أه ! ان ترويض الممثلين ليس أقل غرابة من ترويض الحيوانات ! (تصل السيدات بيجار ودى بارك ودى برى وموليير ودى كروازى وهرفيه) .

السيدة بيجار : هيه ، ها نحن أولاء ، ماذا تريد منا أن نعمل؟

السيدة دى بارك : ما هى فكرتك ؟

السيدة دى برى : بماذا يتعلق الأمر ؟

موليـــير : من فضلكم ، لنبق هنا ، وما دمنا كلنالابسين ملابسنا ، وأن الملك لن يأتى الا بعد ساعتين ، فلنستخدم هذا الوقت في تجربة حكايتنا ولـــنر الطريقة التى يجب أن نلعب بها الأشياء .

لا جرانج : الوسيلة الى لعب ما لا نعرفه ؟

السيدة دى بارك : أما من جهتى ، فانى أعلن لكم بأنى لا أتذكر حرفا واحدا من شخصيتى .

السيدة دى برى : وأنا أعرف تمام المعرفة أنه لا بد من تلقيـــنى دورى من أوله الى آخره .

السيدة بيجار : أما أنا فانى أعد نفسى للامساك بدورىفي يدى.

السيدة هرفيه : أما أنا فليس لدى شئ كثير أقوله .

السيدة دى كروازى : ولا أنا أيضا ، ولكنى مع ذلك لن أكون مسئولة عما قد أنساه .

دى كروازى : أنا مستعد لدفع عشرة جنيهات ذهبية مقابل إعفائى .

بريكور : أنا مستعد لتلقى عشرين جلدة ، هذا ما أؤكده لكم .

موليير : ها أنتم أولاء جميعا مرتاعون من لعب دور هزيل ! ماذا كنتم تعملون اذن لو كنتم في مكانى ؟

السيدة بيجار : من ؟ أنت ؟ ليس من حقك أن تشكو ، لانك ، وأنت الذى عملت المسرحية ، لا تخاف ان تخطئ فيها .

موليير : أليس من حقى أن اخشى خطأ الذاكرة ؟ الا تدخلون في حسابكم القلق على نجاح لايسأل عنه أحد سواى ؟ هل تظنون من الأمور السهلة أن يعرض المرء شيئا كوميديا أمام اجتماع كهذا؟ أن يأخذ على عاتقه اضحاك اشخاص يفرضون علينا الاحترام ولا يضحكون الا اذا ارادوا ؟ هل هناك مؤلف لا ترتعد فرائصه اذا تحتم عليه

أن يمر بهذا الامتحان ؟ الست أنا الذى يجب على
أن اقول انى اود التخلص ولو كلفنى كل ما في
العالم ؟

السيدة بيجار : لو كان ذلك يجعلك ترتعد لا حسنت اتخاذ احتياطاتك ، ولما اخذت على عاتقك ان تفعل ما فعلت في ثمانية أيام .

موليير : وما وسيلتى للدفاع عن نفسى ، اذا كان الملك هو الذى امرنى به ؟

السيدة بيجار : الوسيلة ؟ أن تقدم اعتذارا كريما قائما على استحالة انجاز هذا العمل خلال الوقت القصير الذى حُدد لك ، وان إنسانا في مكانك لا بدأن يكون احرص منك على سمعته ، وأن يمتنع عن توريط نفسه كما تفعل أنت الآن . ماذا ، من فضلك ، سيكون موقفك اذا فشل المشروع ؟ ثم ألا ترى أى فائدة كبرى قد يجنيها اعداؤك من وراء ذلك ؟

السيدة دى برى : في الواقع ، كان يجب أن تعتذر بكل احترام إلى الملك ، أو ان تطلب مزيدا من الوقت .

موليير : والله ، ياسيدتى ، إن الملوك لا يحبون شيئا أكثر من الطاعة الفورية ، ولا يسرهم بأية حال أن تقابلهم عقبات . وليست الأشياء طيبة في نظرهم إلا إذا وقعت في نفس الوقت الذى أرادوها فيه ، وإذا اريد منهم تأجيل لتسليتهم ، كان معنى ذلك ، بالنسبة لهم ، تجريدها من كل سحرها . انهم يحبون المتع التى لا تتطلب الانتظار ، ودائما أقل الأشياء إعدادا اكثرها متعة في عرفهم . ولا يصح لنا مطلقا أن نحسب أى حساب لانفسنا فيما يرغبونه منا ، فنحن لسنا هنا الا من أجل ادخال السرور على قلوبهم ، وإذا امرونا بشئ ، فما علينا الا أن نسارع بالاستفادة من من الرغبة التى هممتلبسون بها ،وخير لنا الا نبلغ حدّ الاتقان في تنفيذ ما يطلبونه الينا ،من الانفذه بالسرعة الكافية ، وإذا كان على المرء ان يتحمل عار عدم النجاح ، فان من نصيبيه دائما مجد الطاعة الفورية لوصاياهم . ولكن لاننسى التجربة ، من فضلكم .

السيدة بيجار : ماذا تريد منا أن نعمل ، إذا كنا لانعرف أدوارنا ؟

موليـــير : قلت لك إنك ستعرفينه ، وحتّى إذا لم تعرفيه معرفة تامة ، أفـــلا تستطيعين أن تكملى من وحى عقلك ، مادام التمثيل بالنثر ، وأنت تعرفين موضوعك ؟

السيدة بيجار : انى خادمتك : النثر أسوأ من النظم بكثير .

السيدة مو ليـــير : أتريد أن اصارحك ، ؟ كان يجب أن تعمل مسرحية تلعب فيها وحدك .

مولـــيير : اسكتى ، يازوجتى ، أنت غبية .

السيدة موليير : شكرا جزيلا ، ياسيدى الزوج . هذه هى جلية الأمر : الزواج من شأنه أن يغير الناس ، وما كنت لتقول لى ذلك منذ ثمانية عشرشهرا .

موليـــير : اسكتى ، أرجوك .

السيدة موليير : شئ غريب أن يستطيع جعـــل صغير أن يجردنا من كل صفاتنا الجميلة ، وأن ينظر الزوج والخطيب إلى نفس الشخص بأعين تختلف كل هذا الاختلاف .

موليـــير : ما كل هذا الخطب !

السيدة موليير : .الحقيقة أنى لو عملت مسرحية.لعملتها عن هذا الموضوع ، ولأنصفت الزوجات في كثير من الاشياء التى يتهمن بها ، ولجعلت الأزواج يخشون الاختلاف الذى يوجد بين طرائقهم الرعناء وبين مجاملات الخطاب المهذبة .

موليـــير : يوه ! لندع هذا ليس هذا وقت الكلام : فلدينا شئ آخر علينا أن نعمله .

السيدة بيجار : ولكن إذا كنت قد امرت بأن تشتغل على موضوع النقد الذى وجه اليك ، فلماذا لم تعمل مسرحية الممثلين ، تلك التى كلمتنا عنها منذ زمن طويل ؟ هذه مسألة جاهزة وتتناسب تماما مع الشئ ، لا سيما وأنهم إذا اخذوا على عاتقهم تصويرك ، فقد قدموا لك الفرصة في أن تقوم أنت أيضا بتصويرهم،هم الآخرين ، وسيكون ذلك ما يمكن أن يسمى بصورتهم الحقيقية ، في الوقت الذى لايمكن أن يطلق على كل ما قاموا هم بعمله اسم صورتك . لانك إذا أردت ان تقلد ممثلا كوميديا في

أداثه لدور كوميدى معين ، فانك لا تصور
هذا الشخص نفسه ، وانما تصور الشخصيات
التى يمثلها في الصورة التى يمثلهم عليها ،
وتستخدم نفس السمات ونفس الألوان التى
يضطر هو لاستخدامها في اللوحات المختلفة
للشخصيات المضحكة التى يحاكيها هو من
الطبيعة ، أما في تقليدك اياهم في أدوار جادة ،
فانك تصور عيوبهم الخاصة بهم في جملتها
وتفصيلها ، وهذه الأنواع من الأشخاص لا
تحب الحركات ولا نغمات الصوت التى
يعرفهم الناس بها .

موليــير : هذا صحيح ، ولكن لدى من المبررات ما
دعانى إلى العدول عن هذا العمل ، فبينى
وبينك لم أكن اعتقد أن الأمر يستحق كل
هذه العناية ، ثم كان لا بد لى من وقت
أطول لتنفيذ تلك الفكرة ، ولما كانت الأيام
التى يشتغل فيها هؤلاء الممثلون هى نفس
ايامنا ، فانى لم أكد أراهم منذ وجودنا في
في باريس الا ثلاث أو أربع مرات ، ولم
التقط من طريقتهم في الالقاء الا ما قفز إلى

عينى قفزا منذ الوهلة الأولى ، فكنت أحتاج لمزيد من الدراسة لرسم صورهم مطابقة .

السيدة دى بارك : من جهتى أنا ، لقد تعرفت على بعضهم من فمك .

السيدة دى برى : أنا لم أسمع عن شئ من هذا قط .

موليـــير : هذه فكرة طرأت في خاطرى مرة واحدة ، ولكنى طرحتها جانبا باعتبارها شيئا تافها ، أو نوعا من المزاح الذى قد لا يثير الضحك .

السيدة دى برى : كلمنى قليلا عن ذلك ، ما دمت قد تكلمت عنه مع الآخرين .

موليـــير : ليس لدينا وقت الآن .

السيدة دى برى : كلمتين اثنتين ، لا اكثر .

موليـــير : كنت قد فكرت فى مسرحية كوميدية يكون فيها احد الشعراء الـــذى كنت سأقوم بتمثيل دوره أنا نفسى ، ويكون قد جاء لتقـــديم مسرحية لفرقة من الممثلين الذين وصلوا حديثا من الريف . فيسأل قائلا : « هل لديكم مـــن الممثلين والممثلات من هم جديرون بابراز احد

الاعمال ؟ ان مسرحيتى مسرحيـــة . . . . »
ويجيب الممثلون : أجل ! يا سيدى : عندنـــا
رجال ونساء برهنوا على أنهم معقولون في كل
مكان مروا به . ويواصل : » ومن منكـــم
يقوم بدور الملوك ؟ ــ هاك مثلا يؤدى هـــذا
الدور في بعض الاحيان . ــ من ؟ هذا الشاب
البديع القوام ؟ أأنتم تمزحون ؟ لا بد من ملك
بدين مكتنز بالشحم ، يمكن أن نفصل منـــه
أربعـــة ، ملك ، ماذا أقول أكثر مـــن ذلك؟
يكون ضخم الكرش كما ينبغى، ملكا مترامى
الاطراف يستطيع أن يمـــلأ عرشا بصورة
لائقة ! ملك جميل التكوين ممشوق القـــوام!
هذه غلطة كبرى . ومـــــع ذلك ، فليسمعنى
طائفة من الابيات . » وهنا يلقى الممثل بضعة
أبيات من مسرحية الملك نيكوميد ، مثلا :

أأقول لك ذلك ، يا آراسب ؟ لقد بلغ الذرى
في خدمتى ،

فبازدياد سلطانى . . .

ويلقيها بكل ما يستطيع من طبيعة . ويعلـــق

المؤلف : « ماذا ! أتسمى ذلك القاء ؟ هـذه مسخرة ، يجب أن تقول الاشياء بكل تفخيم . انصت الى .

(محاكيا منغلورى ، وهو ممثل ممتاز من مسرح الاوتيل دى بورجونى) .

أأقول لك ذلك ، يا آراسب ؟ . . . الخ .

اترك هذا الوضع ؟ هذا هو ما يبعث عـلى الاستحسان ، ويثير التصفيق الصاخب . هنا اضغط ، كما ينبغى ، على الأبيات الاخيرة. — ويجيب الممثل : ولكن يبدو لى ، ياسيدى، أن ملكا يحادث قائد حرسه وحدهما يتكلـم بصورة اكثر بشرية ، ولا يحتاج الى اصطناع نغمة الممسوسين هذه .— أنت لا تعرف شيئا . اذهب والق على النحو الذى تفعله ، وسـترى انك لن تحظى بآهة واحدة ! لنجرب قليـلا منظرا بين عاشق وعاشقة ، وعند ئذ تقـوم ممثلة وممثل بمشهد معا ، وليكن مشهد كاميليا وكورياس : هل ستذهبين ياروحى الغالية ، وهل يروقك هذا الشرف المشئوم على حساب

سعادتنا كلها ؟ وا أسفاه ! إني أرى جيدا...، الخ . وكما في المشهد السابق ، يلقى الممثلان بكل ما في مقدورهما من طبيعية . فيسارع الشاعر قائلا : » هذه مسخرة ! . أنتما لا تعملان شيئا له أى قيمة ، وهذا هو كيف ينبغي أن يكون الالقاء :

(يحاكى السيدة بوشاتو ، من ممثلات مسرح الاوتيل دى بورجنى) هل ستذهبين ، يا روحى . . . الخ .

كلا ، فانى اعرفك خيرا . . . الخ .

الا تريان كم ذلك طبيعى وملتهب ؟ استمتعا بذلك المحيا الضاحك الذى يحتفظ بهفي احلك حالات الحزن . على كل حال ، هذه هى الفكرة . وكان يستعرض على هذا النحوجميع الممثلين وجميع الممثلات .

السيدة دى برى : انها فكرة مسلية ، وقد تعرفت على البعض من أول بيت .

موليير : (محاكيا بوشاتو ، وهو ممثل أيضا ، في مقطوعات السيد . وقد طعن في صميم قلبه . . . ، الخ .

وهذا ، ألا تتعرفين عليه في دور بومبيه مـــن سرتوربوس ؟

(محاكيا هوتروش ، وهو ممثل أيضا .)

ان العداء الذى يسود بين الطرفين ، ليس ممـــا يخلع عليها الشرف . . . الخ .

السيدة دى برى : أتعرف بعض الشئ ، على ما اعتقد .

موليـــير : وهـــذا ؟

(محاكيا فلين ، وهو كوميدى أيضا .)

سيدى ، مات بوليب . . . الخ .

السيدة دى برى : نعم ، أعرف من هذا ، ولكن اعتقدأن هناك بعضا منهم يصعب عليك تقايدهم .

موليـــير : الحقيقة انه لا يوجد واحد منهم لا يستطيـــع المرء أن يصيده في بعض المواضع ،لو أنى كنت قد درستهم جيدا. ولكنك تضيعين علينا وقتا ثمينا ، فلنفكر في انفسنا ، مـــــن فضلكم ، ولنكلف منذ الآن عـــن التسلى بالاحايث . (مخاطبا لا جـــرانج .) حاول بكل حرص أن تمثل معى دور المركيز .

السيدة موليير : دائما مركيزات !

موليـــير : نعم ، دائما مركيزات . من تريدين ، وحق الشيطان ، أن نعرضه على المسرح كشخصية مسلية ؟ المركيز ، في أيامنا هذه ، هوالشخصية المسلية في الكوميدية . وكما أنه كان يوجـــد دائما في الكوميديات القديمـــة خادم مهـــرج يضحك الحاضرين ، فكذلك يوجد الآن دائما في مسرحياتنا مركيز مضحك يسلى الجماعة .

السيدة بيجار : هذا صحيح ، انه لا يمكن الاستغناء عنه .

موليـــير : بالنسبة لك ، ياسيدة . . .

السيدة دي بارك : والله ، بالنسبة لى ، فأنا سأمثل دور شخصيتى أسوأ تمثيل ، ولست أدرى لماذا اعطيتنى دور المتكلفة هذا .

موليـــير : ذلك ما يدهشنى منك ، ياسيدتى ، فهذا ما قلته يوم أعطيناك دور «نقد مدرسة الزوجات» ومع ذلك فقد قمت به خير قيام ، وقد انعقد الاجماع على أنه لا يمكن فعل أحسن مما فعلت . صدقينى في أن الأمر هنا سيكون نفس الشئ ، وأنك ستلعبين الدور أحسن مما تتصورين .

السيدة دى بارك : كيف يتأتى ذلك؟ اذ أنه لايوجد شخص في العالم أقل منى تكلفا .

موليـير : هذا صحيح ، وخير ما يبين انك ممثلة ممتازة كونك تجيدين تمثيل شخصية تتناقض مع طبيعتك . اذن فحاولوا جميعا أن تتمثلوا طباع ادواركم ، وأن تتخيلوا انكم انتم من تمثلونهم .

(لدى كروازى) انك ، انت ، تمثل الشاعر ، فعليك ان تتشبع بهذه الشخصية ، وأن تبرز طابع الحذلقة الذى يظل سائدا بين علاقـات العالم الراقي ونغمة الصوت القاطعـة المتعالية ، وتلك الدقـة في النطق التى تضغط على جميع المقاطع ولا تسقط حرفا واحدا من أعنف الكلمات هجاء .

(لبريكور) أما انت فتمثل الرجل السوى من بين الحاشية ، كما سبق أن فعلت في « نقد مدرسة الزوجات »، أعنى أن عليك ان تتخذ سمة الرزانة ونغمة الصوت الطبيعية ، وأن تقتصد ، ما أمكن ، في الاشارات باليدين .

(لدى جرانج) بالنسبة اليك ، لست في حاجة إلى قول أى شئ (للسيدة بيجار) وأنت ستمثلين واحدة من اولئك النساء اللائى ما دمن يرتكبن الفاحشة ، يعتقدن أنه مسموح لهن بكل ما تبقى ، من أولئك النساء اللائى يحتمين خلف تعاليهن بكل انفه وينظرن إلى كل من عداهن من اعلى إلى أسفل ، ويدعين أن كل المحاسن التى تستحوذ عليها الاخريات لا تساوى شيئا إذا قورنت بفضيلة رخيصة لا يهتم بها انسان . فليكن نصب عينيك دائما هذه الشخصية لتجيدى اظهار تعويجات ملامح وجهها . (للسيدة دى برى) أما أنت فستمثلين احدى هؤلاء النساء اللائى يعتقدن انهن افضل نساء العالم مادمن يحتفظن بالمظاهر ، من اولئك النساء اللائى يرين أن الخطيئة لا توجد الا في فضيحة انكشاف امرها ، اللائى يواصلن بكل هدوء ضروب السلوك التى يمارسنها في صورة ارتباط شريف ، ويطلقن اسم الأصدقاء على ما يسميهم الآخرون

بالعشاق ، ادخلى جيدا في رحاب هذه الشخصية .

(الى السيدة موليير) : وأنت تمثلين نفس الشخصية التى مثلتها في « النقد » وليس لدى ما أقوله لك ، ولا للسيدة دى بارك ايضا .

(للسيدة دى كروازى) أما أنت فستمثلين واحدة من أولئك الاشخاص الذين يوزعون افضالهم بهدوء على جميع العالم ، من أولئك الناس اللائى يتبرعن دائما بطعنة لسان في كل مكان ، ويغضبهن كثيرا أن يتحملن سماع كلمة طيبة عن انسان . واعتقد أنك ستقومين بدورك بصورة لا بأس بها . (للسيدة هرفيه.) وبالنسبة لك فانت تابعة المتحذلقة التى تتدخل في الحديث من حين لحين ، وتلتقط بقدر ما تستطيع عبارات سيدتها ، وهأنذا أقول لك جميع طباعك لكى تنقشيها بعمق في عقلك . فلنبدأ الآن في اجراء التجربة ، ولنر كيف سيكون الحال ، أه ! هذا أحد الثقلاء ، لم يكن ينقصنا الا ذلك .

المنظر الثاني

موليير ، لاتورير ... الخ .

لاتورير : يوم سعيد ، ياسيد موليير .

موليـــير : سيدى ، في خدمتك (جانبا) رماه الله بالطاعون !

لاتورير : كيف حالك ؟

موليـــير : حسن جدا ، من أجل خدمتك (للمثلاث) سيداتى ، لا . .

لاتورير : أنا مقبل الآن من مكان قلت فيه أشياء طيبة عنك .

موليـــير : أشكر لك جميلك ، . (جانبا) ليأخذك الشيطان !

(للمثلـــين) خذوا بالكم من . .

لاتورير : هل تلعب اليوم مسرحية جديدة ؟

موليـــير : نعم ، ياسيدى ، . (للمثلات) لاتنسين . . .

لاتورير : أهو الملاك الذى أوصاك بعملها ؟

موليـــير : نعم ، ياسيدى . (للمثلين .) من فضلكم فكروا . . .

لاتورير : ماذا سميتها ؟

موليـــير : نعم ، ياسيدى .

لاتورير : أسألك ماذا سميتها . ؟

موليـــير : أه ! في الحقيقة ، لا أدرى . (للممثلات) من فضلكن ، يجب عليكن أن ..

لاتورير : ماذا ستلبسون ؟

موليـــير : كما ترى (للمثلين) أرجوكم . . .

لاتورير : متى ستبدءون ؟

موليـــير : حينما يحضر الملك . (جانبا) . الى الجحيم ، هذا الفضولى !

لاتورير : متى تظنون أنه سيحضر ؟

موليـــير : ليخنقنى الطاعون، يا سيدى، اذا كنت أعرف.

لا تورير : هل تعرف ؟

موليـــير : اسمع ، يا سيدى ، أنا أجهل انسان في العالم . ولا أعرف شيئا مطلقا عما يمكن أن تسألنى عنه

اقسم لك بذلك . (جانبا) سأخرج عن طوری
هذا الجلاد يأتي بسحنة مطمئنة ، فيمطـــر ك
بالاسئلة ، ولا يهتم بأن يكون في دماغك مسائل
اخرى .

لا توريير : سيداتي ، أنا خادمكن .

موليـــير : أه ! حسن ، ها هو ذا قد اتجه الى ناحية اخرى

لا توريير : (للسيدة دى كروازى) : هأنت ذى جميلة
كالملاك الصغير . هل تلعبان اليوم انتما الاثنتان
(وهو ينظر الى السيدة هرفيه) .

السيدة دى كروازى : نعم ، يا سيدى .

لا توريير : بدونكما ، لا تساوى المسرحية شيئا .

موليـــير : (للممثلات بصوت منخفض) : ألا تعرفـــن
طريقة للتخلص من هذا المخلوق ؟

السيدة دى برى : (للاتوريير) : سيدى ، نحن اليوم عندنا شيء
سنجربه معا .

لا توريير : أه ! والله ! أنا لا أريد أن امنعكم ، ما عليكم
الا أن تواصلوا .

السيدة دى برى : لكـــن . . .

لا توريير : كلا ، كلا ، يسيئنى أن أضايق أحدا ، اعملوا ما تريدون عمله بكل حرية .

السيدة دى برى : نعم ، لكن . . .

لا توريير : أنا لست ممن يحبون التكليف ، هذا ما أقوله لك ، ويمكنكم السير في تجربتكم ، كما يحلو لكم .

موليير : هؤلاء السيدات يؤسفهن أن يقلن لك انهن لا يحببن أن يكون احدٌ هنا اثناء التجربة .

لا توريير : لماذا ؟ ليس هناك من بأس بالنسبة لى .

موليير : يا سيدى ، انها عادة يتمسكن بها ، أما أنت فيكون سرورك اشد حين تفاجأ بالاشياء.

لا توريير : سأذهب ، إذن ، لابلغ بأنكم مستعدون .

موليير : مطلقا ، يا سيدى ، لا تتعجل من فضلك .

المنظر الثالث

موليير ، لاجرانج ، الخ .

موليير : أه ! العالم مملوء بالوقحاء! والآن ، هيا ،لنبدأ. أولا تخيلوا أن المنظر في قاعة انتظار الملك ،

لأن هذا مكان تحدث فيه يوميا أشياء مسلية . ومن السهل أن تأتى فيه بكل الاشخاص الذين تريدهم ، بل ويمكن أيضا خلق الاسباب التى تسمح بمجىء النساء اللاتى اقدمهن . وتفتح المسرحية بمركيزين يتقابلان . (للاجرانج) تذكر جيدا أن تجىء إلى هناك ، كما قلت لك بتلك الطلعة التى تسمى بالطلعة المهيبة ، وقد رجلت شعرك وأخذت تدندن بين أسنانك بأغنية صغيرة .لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا . أفسحوا في المكان ، انتم الآخرون ، لأنه لابد من وجود فراغ لمركيزين ، وهما ليسا من الناس الذين يحضرون أشخاصهم في مكان ضيق . (للاجرانج) هيا ، تكلم .

لا جرانج : « يوم سعيد ، أيها المركيز » .

موليير : يا الهى ! ليست هذه نغمة مركيز : يجب أن تقولها بتعال أكثر من ذلك.فمعظم هولاء السادة يتكلفون الكلام بطريقة خاصة لكى يميزوا انفسهم عن عامة الناس : « يوم سعيد ، أيها المركيز . » أعد ثانية .

لا جرانج : يوم سعيد ، ايها المركيز .

موليـــير : آه ! أيها المركيز ، أنا خادمك .

لا جرانج : ماذا تعمل هنا ؟

موليـــير : يا الشيطان ! ألست ترى ! انتظر أن يفسح كل هؤلاء السادة طريق الباب ، حتى أطـــل بوجهى .

لا جرانج : يا للشيطان ! أى جمهور ! أنا لا أود الذهاب والتزاحم بينهم ، بل أفضل أن أكون آخـــر الداخلين .

موليـــير : هناك عشرات من الناس يعلمون علم اليقين أنهم لن يدخلوا ، ولا يتوانون عن التدافـــع لسد جميع الطرق المؤدية الى الباب .

لا جرانج : لنصح با علان اسمينا للحاجب حتى يدعونا.

موليـــير : هذا عمل طيب بالنسبة لك ، أما بالنسبة لى ، فأنا لا أريد أن ياعبنى موليير .

لا جرانج : ومع ذلك فانك انت ، ايها المركيز ، الذى يلعبه موليير في النقد .

موليـــير : أنا ؟ انمـــا أنا خـــادمك ، وأنت بشحمك ولحمك الذى يلعبه موليير .

لاجرانج : أه! الحقيقة انك رائع حين تخلع على شخصيتك...

موليـــير : والواقع أنى أجد من المسلى أن تعطينى ماهولك.

لاجرانج : (ضاحكا) ها ! ها ! ها ! هذا عجيب

موليـــير : (ضاحكا) ها ! ها ! ها ! هذا تهريـــج مضحك .

لاجرانج : ماذا ! أتريد أن تثبت انك لست أنت الذى يلعبه موليير في مركيز النقد ؟

موليـــير : الحقيقة أنه أنا كريه ، يا للشيطان ! كريـــه ! فطيرة بالقشدة ! انه أنا ؟ انه أنا ، بكل تأكيد ، انه أنا .

لاجرانج : نعم ، وحق الشيطان ! إنـــه أنت ، انك لا تجيد غير السخرية ، إذا أردت ، فلنراهن ، وسنرى من منا على حق .

موليـــير : وعلى كم تريد أن تراهن ؟

لاجرانج : أراهن بمائة جنيه زهبى ، على أنه أنت .

موليير : وأنا . بمائة جنيه ذهبي على أنه أنت .

لاجرانج : مائة جنيه ذهبي عدا ونقدا ؟

موليـــير : عـــدا ونقـــدا : تسعون جنيها على أمينتاس وعشرة أنقدا .

لا جرانج : أوافـــق .

موليـــير : اتفقنـــا .

لا جرانج : نقودك معرضة للضياع .

موليـــير : نقودك في أشد أنواع الخطر .

المنظر الرابع

موليير ، بريكور ، لاجرانج ، الخ .

موليـــير : (لبريكور) : هذا رجل يستطيع أن يحكم بيننا . شفالييه !

بريكور : مـــاذا ؟

موليـــير : حسن . وهذا الآخر يتخذ نغمة مركيز . ألم اقل لك انك تقوم بدور يجب أن يكون الكلام فيه طبيعيا ؟

بريكور : هذا صحيح .

موليـــير : هيا اذن . شفالييه !

بريكور : مـــاذا ؟

موليـــير : احكم بيننا في رهان اتخذناه .

بريكور : أى رهـــان ؟

موليـــير : أننا نتناقش حول من يكون مركيز موليير : وهو يراهن على أنه أنا ، وأنا أراهن علىأنههو

بريكور : وأنا أراهن على أنه لا أنت ولا هو . انكمـــ مجنونان ، كليكما ، حين تريدان تطبيق هذه الاشياء على نفسيكما ، وهذا هو ما رأيـــت المؤلف يشكو منه مر الشكوى ، ذات يوم ، وهو يتكلم عن الاشخاص الذين يتهمونه بمثل ما تتهمانه به الآن . كان يقول انه لاشيءيضايقه اكثر من اتهامه بانه يعني اشخاصا معينين في الصور التي يعملها ، وأن قصده هـــو رسم العادات دون أى مساس بالاشخاص ، وإن كل الشخصيات التي يمثلها شخصيات وهمية، أشباح بالمعنى الحقيقي للكلمة ، يلبسها عـــلى ما يشاء له هـــواه من أجل ابهاج المتفرجين ، وانه كان يشعر بأشد الأسف لو أنه اشار الى شخص بعينه أيا كان ، وإنه لا شيء يستطيع أن

يقززه من عمل المسرحيات ويغريه بالعدول
عنه ، الا هذه المشابهات التي يحاول بعض الناس
أن يعقدوها ، والتي يسعى اعداؤه الى تعضيدها
بكل خبث بقصد الايقاع بينه وبين بعض
الاشخاص الذين لم يردوا له على بال . والواقع
أني أجده على حق ، لأنه لماذا من فضلكما ،
يحاول البعض دائما تأويل كل حركاته وكل
عباراته ، ويسعون في خلق المشاكل له
اذ يقولون بأعلى صوت : « انه يلعب فلانا »
في حين أنها أشياء ، يمكن أن تنطبق على مئات
الاشخاص ؟ ذلك أنه لما كان من طبيعة
المسرحية أن تمثل كل عيوب البشر على وجه
العموم،وبوجه خاص عيوب أهل العصر الذي
نعيش فيه ، فقد أصبح من المستحيل على موليير
أن يرسم طبعا ما لا يوجد في هذا الشخص أو
ذلك من أشخاص العالم ، واذا كان لا بد من
اتهامه بأنه عنى جميع الاشخاص الذين يمكن
أن نعثر لديهم على العيوب التي صورها ،
اذن لتحتم عليه أن يعدل عن تأليف المسرحيات

موليـــير : في الحق ، يا شفاليبه ، انك تريد تبرئة موليير واعفاء اخينا هذا .

لا جرانج : مطلقا ، انك أنت الذى يعفيه ، وفي مقدورنا أن نجد حكاما آخرين .

موليـــير . : ليكن ، ولكن قل لى ، يا شفاليبه ، ألا تعتقد أن موليير قد نضب معينه ، الآن ، وأنه لـــن يعود يجد مادة من أجل . . . ؟

بريكور : لن يعود يجد مادة ؟ أه ! يا عزيزى المركـــيز المسكين ، إننا نقدم له دائما منها ما يكفى لكل ما يعمل وكل ما يقول ، ولا نحاول أن نسلك الطريق التى تجعلنا عقلاء بدرجة كافية .

موليـــير : انتظر ، يجب أن نبرز هذا الموضع اكثر من ذلك . أنصت اليه يقول : لن يعود يجد مادة ؟ أه ! يا عزيزى المركيز المسكين ، إننا نقدم له دائما منها ما يكفى لكل ما يعمل و كل مايقول ، ولا نحاول أن نسلك الطريق التى تجعلنا عقلاء بدرجة كافية . أتظن أنه استوعب في مسرحياته كل مضحكات البشر ؟ أليس لديه ، حتى ولو لم يترك القصر عشرات الطباع لاناس لم يمسهم

بعد ؟ اليس هناك ، مثلا ، اولئك الذين
يعقدون فيما بينهم أوثق الصداقات الممكنة ثم
لا يكادون يديرون ظهورهم بعضهم لبعض
حتى يتخذوا من تمزيق بعضهم بعضا مادة
لتظرفهم ؟. أليس هناك أولئك الذين يرتكبون
الفاحشة بصورة تثير السخط في النفوس ؟. أليس
هناك أولئك المتملقون المفضوحون الذين
لا يتبلون المدائح التى يقدمونها بحصاة واحدة
من الملح ، فيحس لتملقهم طعم من الحلاوة
يثير الغثيان في نفوس من ينصتون اليها ، أليس
هناك اولئك الجبناء الباحثون عن الحظوة من
رجال الحاشية ، اولئك المنافقون الغدارون من
عباد المال الذين يطلقون من حولك البخور في
حالة الرخاء ويحملونك بالآثام اذا فقدت
الحظوة ؟ أليس هناك متذمرو القصر المثابرون ،
اولئك التابعون غير المقيدين ، اولئك
المزعجون المداومون ، اقول اولئك الناس الذين
يضايقونك بالحاحهم الكريه في طلب الخدمات
ثم يطلبون ثمن محاصرتهم الامير خلال عشر
سنوات متواصلة ؟ أليس هناك أولئك الذين

يوزعون ملاطفاتهم على جميع الناس بالتساوى
وينثرون مجاملاتهم ذات اليمين وذات الشمال ،
ويجرون خلف كل من يلمحونهم بنفس
الاحضان المفتوحة ونفس الأيمان الحارة على
صداقتهم لهم وحبهم اياهم ؟ « سيدى ، أنا
خادمك المتواضع جدا . — سيدى ، أنا كلى
تحت تصرفك . — اعتبرنى ، يا عزيزى ،
واحدا من خلصائك . — تصرف فيّ ، ياسيدى ،
باعتبارى واحدا من اخلص اصدقائك . أنا
سعيد كل السعادة يا سيدى ، بأن احتضنك بين
ذراعى . — أه ! يا سيدى ، مالى لا أراك !
تفضل على بتكليفى بأى خدمة . — كن واثقا ،
يا سيدى ، بانى بكل مشاعرى وجوارحى
تحت تصرفك التام . — أنت آثر الناس في هذا
العالم باجلالى . — ليس هناك من شخص اكن
له من الاحترام قدر ما أكن لك ، استحلفك أن
تصدق ما أقول لك . أتوسل اليك ألا يراودك
أى شك في ذلك . — أنا خادمك . صبيك
المتواضع جدا . » هيا ، هيا ، أيها المركيز ،
إن موليير سيجد دائما من الموضوعات اكثر

مما يريد ، وكل ما مسه حتى الآن ليس الا قطرة مما تبقى . « بهذه الصورة ، على وجه التقريب ينبغى لعب ذلك الدور . »

بريكور : كفـــاية

موليـــير : واصـــل .

بريكور : ها هى كليمين واليز .

موليـــير : (للسيدتين دى بارك وموليير) : انتما الاثنتان ستفوقان ذلك . (للسيدة دى بارك) حاو لى جيدا أن تخلعى إليتيك كما يجب نحو هـــــذه الناحية أو تلك ، وأن تكونى متكلفة الى اقصى حد . ان ذلك سيشق عليك بعض الشئ ، ولكن ماذا بيدنا أن نعمل ؟ في بعض الاحيان يتحتم على المرء أن يرهق جسمه واعضاءه كل الارهاق

السيدة موليير : تأكدى يا سيدتى أنى عرفتك من بعيد ، ورأيت من سمتك أنه لا يمكن أن تكونى أخرى غيرك

السيدة دى بارك : جئت هنا ، كما ترين ، لا نتظر خروج رجل لى معه مسألة أريد تصفيتها .

السيدة موليير : وأنا أيضا .

موليـــير : سيداتي : اليكن هذه الصناديق لتتخذن منهـــ كراسي .

السيدة دى بارك : هيا ، يا سيدتى ، تفضلى بالجلوس .

السيدة موليير : بعدك ، يا سيدتى .

موليـــير : حسن . بعد هذه الاحتفالات الصغيرة الصامتة سيتخذ كل منكم لنفسه مكانا ، ويتكلم جالسا فيما عـــدا المركيزين اللذين ســـيقومان تارة ويجلسان اخرى تبعا لما يتميزان به من قلـــق طبيعى .

بريكور : كيف ذلك ؟

موليـــير : انها في حالة صحية سيئة .

بريكور : خادمك في التهريج !

السيدة موليير : سبحان الله ! يا لبياض بشرتك الذى يخطـــف الابصار ، يا سيدتى ، أما لون شفتيك فنـــار وهاجة !

السيدة دى بارك : آه ! ماذا تقولين ، يا سيدتى ؟ لا تنظرى الى ، فانى ، اليوم ، اقبح من القبح .

السيدة موليير : يا سلام ! ارفعى غطاء رأسك قليلا ، ياسيدتى .

السيدة دى بارك : لا ! قلت لك ان شكلى مخيف ،أنا نفسى أخاف ، أخاف منه .

السيدة موليير : بل ، ما اجملك !

السيدة دى بارك : مطلقا ، مطلقا .

السيدة موليير : اكشفى عن جمالك .

السيدة دى بارك : أه ! لا تخجلينى ، أرجوك .

السيدة موليير : أتوسل اليك .

السيدة دى بارك : لا ، والله .

السيدة موليير : بل ، اظهرى جمالك .

السيدة دى بارك : انك تثيرين اشجانى .

السيدة موليير : لحظة واحــــدة .

السيدة دى بارك : هـــا هو !

السيدة موليير : اكشفى بكل انطلاق . لا يستطيع الانسان أن يحرم نفسه من النظر اليك .

السيدة دى بارك : يا الهى ، ما أغرب أطوارك ! ان ما تريدينه ، تريدينه بكل إصرار .

السيدة موليير : ليس لديك ما يعيبك ظهوره في وضح النهار ،

اقسم لك . يؤكد الحاقدون انك تضعين شيئا !
والحقيقة انى الآن سأكذبهم .

السيدة دي بارك : وا أسفاه ! أنا لا أعرف مجرد معرفة ما يسمونه بوضع شئ . ولكن اين تذهب هؤلاء السيدات

المنظر الخامس

السيدة دي بري ، السيدة دي بارك ، الخ .

السيدة دي بري : سيداتى ، أعتقد أنكن لا تمانعن في أن أبلغكن ، في سرعة بأمتع خبر في العالم ، اخبرنا السيد ليسيداس لتوه ، أنه قد كتبت مسرحية ضد موليير ، وسيقوم بلعبها كبار الممثلين .

موليير : هذا صحيح ، وكانوا قد أرادوا أن يقرؤوها على . والذى كتبها شخص يدعى بر . . . برو . . . بروسو .

دي كروازى : سيدى ، أنها كتبت في الاعلانات تحت اسم بورسو ، ولكنى ، لا أخفى عليك سرا ، اذا قلت لك ان كثيرا من الايدى ساهمت في هذا العمل الذى ينتظر أن يكون له دوى هائل .

اذ لمـــا كان جميع المؤلفين وجميع الممثلـــين ينظرون الى موليير على أنه ألد أعدائهم ، فقد اجتمعنا كلنا على الاضرار به . فساهم كل منا في رسم صورته بجرة فرشة ، غير اننا حرصنا على ألا تذكر فيها اسماؤنا ، لأنه من الفخر الذى لا يستحقه موليير ان يعرف الناس انه لم يهدم الا بمجهود آلهة الفن كلهم مجتمعين ، وقد عمدنا الى اختيار مؤلف لا شهرة له لكـــى يجعل هزيمته أمرا منكرا .

السيدة دى بارك : أما من جهتى ، فأنا أعترف لكم بانى أكـــاد اطير من الفرح .

موليـــير : وأنا أيضا ، وحق الشيطان ! الساحر سيصبح مسخورا منه . في الحقيقة أنه سيتلقى على أصابعه

السيدة دى بارك : هـــذا سيعلم كيف يطعن في كل شئ . شئ عجيب ! هذا الوقح لا يريد للنساء أن يكـــن مثقفات ؟ أنـــه يستهجن كل تعابيرنـــا ذات الاسلوب الرفيع ، ويريـــد ألا نتكلم الا في التوافه ! .

السيدة دى برى : اللغة أمرها سهل ، لكنه يعترض على علاقاتنا

كلها ، مهما كانت بريئة ، ومن يسمعه يتكلم يعتقد أنه من الاجرام أن تكون للواحدة منا أية مزايا .

السيدة دى كروازى : هذا لا يطاق . لم يعد في وسع امرأة أن تفعل أى شئ . الا يترك أزواجنا في حالهم ، ولا يفتح أعينهم ويحذرهم من أشياء لا يدركونها ؟

السيدة بيجار : كل ذلك يهون ، لكنه لا يعفى حتى السيدات الفضليات من طعنه ، وهذا المازح الشرير يلقبهن « بالشيطانات الشريفات » .

السيدة موليير : هذا رجل وقح ، ويجب أن يذوق كل أنواع الاهانة .

السيدة دى كراوزى : تمثيل هذه المسرحية ، يا سيدتى ، سيحتاج الى تعضيد ، وممثلو الاوتيل . . . .

السيدة دى بارك : ليطمئنوا كل الاطمئنان ، أنا أضمن لهم نجاح مسرحيتهم جملة وتفصيلا .

السيدة موليير : أنت على صواب ، يا سيدتى ، فكثيرون جدا من الناس يهمهم أن يجدوها جميلة . ذلك أن تتصورى أن جميع اولئك الذين يعتقدون أن

موليير أصابهم بسبابه سينتهزون الفرصـــة للانتقام منه بالتصفيق والتهليل لهذه المسرحية.

بريكور : (متهكما) بلاشك أنا أضمن ، من جهتي ، أن دستة مركيزات وعشر متحذلقات وعشرين غانية وثلاثين ديوثا لن يعدموا أن يصفقوا لها بالأكف .

السيدة موليير : في الواقع . لماذا جرح شعور كل هؤلاء الأشخاص ، وبوجـــه خاص الديوثين الذين هم أحسن الناس في العالم ؟

موليـــير : يستحق ! قيل لي انهم سيهزءون به هو وجميع مسرحياته على أشنع وجه ، وأن جميع الممثلين وجميع المؤلفين ، من أكبرهم لأصغرهم ، متحفزون ضده بشكل شنيع .

السيدة موليير : هذا يليق به . لماذا يكتب مسرحيات شريرة تذهب باريس كلها لمشاهدتها ، ويصور فيها الناس أحسن تصوير مما يجعل كل شخص يتعرف فيها على نفسه ؟ لماذا لايكتب مسرحيات مثل مسرحيات السيد ليسيداس ؟ في هذه الحال لن يقف احد ضده ، وسيقول فيه

جميع المؤلفين كل خير . نعم ان مثل هذه
هذه المسرحيات لايتهافت على رؤيتها الجمهور
ولكنها ، في مقابلة ذلك ، جيدة التأليف ،
ولا يكتب أحد ضدها ، وكل الذين يشاهدونها
يتحرقون غيظاً من أجل أن يجدوها جميلة .

دى كروازى : الحقيقة أنى أحظى بهذه الميزة ، وهى أنى لا أخلق لى أعداء ، كما أن جميع مؤلفاتى تنال رضاء العلماء .

السيدة موليير : أنت على صواب اذ ترضى عن نفسك ، هذا يفوق كل اعجاب الجمهور وتصفيقه ، وكل الفلوس التى يمكن أن تربحها مسرحيات موليير ، ماذا يهمك من أن يقبل الناس على مسرحياتك ما دامت تنال القبول لدى السادة زملائك ؟

لاجرانج : لكن متى تعرض « صوت الرسام » ؟

دى كروازى : لا أدرى . ولكنى استعد جيدا لأكون بين أوائل من يظهرون على المقاعد ، وأصيح قائلا : « هذا هو الجمال ! »

موليير : وأنا أيضا ، وحق الشيطان !

لاجرانج : وأنا كذلك ، حفظنى الله !

السيدة دى بارك : أما أنا فسأبذل من ذات نفسى ، كما ينبغى ، وأضمن وجود شجاعة في الاستحسان كفيلة باشاعة الفوضى في صفوف الاحكام المعادية . فان اقل ما يجب علينا فعله هوأن نساند باطرائنا من ينتقم لمصالحنا .

السيدة موليير : هذا قول حســـن .

السيدة دى بارك : وهو ما يجب علينا جميعا أن نعمله .

السيدة بيجار : بكل تأكيـــد .

السيدة دى كروازى : بلا شـــك .

السيدة هرفيه : لا رحمة لهذا المقلد للناس .

الحقيقة ياشفالييه ، ياصديقى ، أنه يجب على مليرك هذا أن يختفى .

بريكور : من ؟ هو ؟ بل أؤكد لك ، ايها المركيز ، انه يعتزم الذهاب إلى المسرح ، ليضحك مع غيره من الناس من الصورة التى رسمت له .

موليـــير : يا للشيطان . لا بد اذن أن يكون ضحكه عليها من اطراف اسنانه .

[illegible] لعله أجد فيها موضوعات الضحك

أكثر مما تظن ، لقد إطلعوني على المسرحية ،

ولما كان كل ما فيها مما يبعث البهجة : ينحصر

بالفعل في الأفكار التى نقلت عن موليير ،

فان البهجة التى يمكن أن تشع من ذلك لن

يكون من شأنها أن تثيره ، في أغلب الظن ،

لانى أكون مخدوعا فوق كل حد إذا رضى

أحد عن المواضع التى عملت للحط من

[illegible] جميع اولئك الناس الذين

حاولوا [illegible] بسبب [illegible] أنه

يرسم صورا شبيهة الشبه بالأصل ، فانى لا

أرى شيئا أدعى إلى اثارة الضحك من ذلك ،

ولم يكن قد دار بخلدى حتى الآن أن تصبح

الاجادة في رسم الصور البشرية موضع ملام

بالنسبة للعمل [illegible] .

[illegible] أنهم ينتظرون منه الجواب

[illegible]

[illegible] لوشتى على نفسه بالرد

[illegible] مجنونا ، كبير [illegible]

[illegible] الذى يصدر عنه هذا

السباب ، وخير جواب يرد به عليه هو
مسرحية تعرض وتنجح كجميع مسرحياته
الأخرى . هذه هي الوسيلة الحقيقية للانتقام
منهم كما ينبغي . واذ كنت اعرف طبيعتهم
حق المعرفة ، فاني واثق من أن مسرحية
جيدة تسحب منهم الجمهور كفيلة بأن
تسبب لهم من الألم أكثر مما يسببه أي هجاء
موجه إلى أشخاصهم .

ولكن ، يا شابيل . . .

أرجو السماح بايقاف التجربة قليلا . (لموليير)
أتسمح بأن أقول لك رأيا ؟ لو كنت مكانك ،
لدفعت الأمور في اتجاه آخر . فكل الناس
ينتظرون منك ردا صارما . وبعد الطريقة التي
قيل لي انهم عاملوك بها في هذه المسرحية ،
يعتبر من حقك ان تقول اى شئ ضد هؤلاء
الممثلين ، وليس لك أن تستثنى منهم أحدا .

إن كلامك هذا يخرجني عن طوري . وذلك
هو شأنكن يا معاشر النساء ، تردن أولا
أن تشعلن النار ضدهم ، ثم لا ألبث أن

انفجر بالسباب والشتائم ، على مثالهم ، ويا لعظيم الشرف الذى اجنيه من ذلك ، ويا لفداحة الألم الذى اصيبهم به ! ألم يوطنوا انفسهم عن طيب خاطر لكل هذه الانواع من الأشياء ؟ وعندما راحوا يتداولون فيما إذا كانوا سيلعبون « صورة الرسام » واظهر بعضهم خوفه من صرامة الرد ، ألم يجب البعض الآخر بقولهم « فليوجه الينا من الشتائم ما يريد ، ما دمنا سنربح نقودا ؟ » أهذه سمة نفوس شديدة الحساسية با لنسبة للعار ، وهل يجوز لى أن أنتقم منهم . با عطائهم ما يريدون الحصول عليه ؟

السيدة دى بری : ومع ذلك فقد اشتكوا مر الشكوى من ثلاث أو اربع كلمات قلتها عنهم في النقد وفي متحذلقــات .

موليــير : صحيح أن هذه الكلمات الثلاث أو الأربــع كانت جارحة جــدا ، وأنهم على حق إذ يذكرونها . دعينا ، دعينا ، فليس هذا هو بيت القصيد . ان أشد ضرر أصبتهم به هو أنه كان من حسن حظى أن أنال من الاعجاب أكثر مما

أرادوا ، ولقد دل مسلكهم منذ قدومنا الى باريس على نوع اهتماماتهم . ولكن دعوهم يفعلوا ما يشاءون : فليس في كل مشروعاتهم ما يستطيع أن يقلق بالــى . انهم ينتقلدو ن مسرحياتى ، فضل من الله وبركة ! وأدعوه أن يحفظنى من أن يصدر عنى عمل يسرهم . لأ نه يكون صفقة خاسرة با لنسبة لى .

السيدة دى برى : ومع ذلك فليـــس مما يسر الإنسان أن يــرى اعماله تمزق .

موليـــير : وماذا يهمنى من كل هذا ؟ ألم أحصل مــن مسرحيتى على كل ما كنت ابتغــى الحصول عليه ، ما دمت قد حظيت بشرف الرضى من قبل أصحاب الفخامة الأشخاص الذين أسعى لنيل اعجابهم بوجه خاص ؟ أليس من حقى أن أرضى بمصيرها ، ثم ألا ترين أن شتائمهم قد جاءت بعد فوات الأوان ؟ قولى لى مــن فضلك : أنا الذى يعنيه هذا الأمر الآن ؟ واذا سفهت مسرحية نالت نجاحا ، أفلايعتبر ذلك تسفيها لحكم اولئك الذين اعجبوا بها ، أكثر مما هو تسفيه لفن من ألفها ؟

السيدة دى برى : أما أنا ، فكنت أرى أنه لابد من اللعب بهذا السيد المؤلف الصغير الذى يكتب ضد أناس لا يحلمون به .

موليير : أنت مجنونة . إذ ما أحلى هذا السيد بورسو من موضوع يصلح لتسلية القصر ! أريد أن أعرف بأى صورة يستطاع ضبطه على المسرح لكى يصبح مقبولا . وحتى لو نكسناه على المسرح ، لشعر بسعادة غامرة لأن الناس ضحكوا منه . انه لشرف لايستحقه أن يلعب على المسرح أمام جمع له هذا الجلال ، وهو نفسه لايطمع في أكثر من ذلك ، بل انه يهاجمنى ، عن طيب خاطر ، لكى يسمع به الناس على أى صورة كانت . فهذا رجل ليس لديه ما يخشى عليه الضياع ، ولم يطلقه علىّ الممثلون ! إلا ليورطونى في حرب حمقاء ويشغلونى ، بهذه الحيلة عن المؤلفات الاخرى التى أنوى انجازها فأنتن ساذجات إذ تنسقن جميعا الى الوقوع في هذا الفخ . لانى سأعلن على الملأ قرارى في هذا الموضوع .أنا لاأريد أن ارد على كل من نقدهم، ونقدهم المضاد . فليلصقوا

المسرحيات كل العيوب التى في العالم ، وأنا
موافق على ذلك ، وليتقولوا عليها بعدنا ،
وليقلبوها كما يقلب الجلباب القديم من أجل
أن يظهروا ذكاءهم على المسرح ، وليحاولوا
أن يستفيدوا من بعضهم البعض الملاحة التى
توجد فيها ، وبقليل من السعادة التى أتمتع بها
انى أقبل كل ذلك : فهم في حاجة اليه ،
ويسرنى أن أسهم في الابقاء عليهم ، بشرط
أن يقنعوا بما أسمح لهم به في لياقة . ذلك أن
المجاملة يجب أن يكون لها حدود ، وهناك
أشياء لا تضحك المتفرجين ولا الشخص الذى
الذى يدور الكلام حوله . وأنا أترك لهم بكل
سرور مؤلفاتى أو وجهى واشاراتى وكلماتى
ونغمة صوتى وطريقتى في الإلقاء ، ليصنعوا بها
ما يحلو لهم ، إذا كان ذلك يعود عليهم
بشيء من المنفعة . ولن أعارض مطلقا في كل
هذه الأشياء ، بل سأكون سعيدا إذا كان في
مقدور ذلك أن يبهج الناس . ولكنى اذ أترك
لهم كل هذا ، فانه يجب عليهم أن يتفضلوا
بأن يتركوا لى ما تبقى ، وألا

يمسوا مواد من طبيعة تلك التى قيل لى إنهم يهاجموننى عليها في مسرحياتهم .
هذا ما التمسه بكل أدب من ذلك السيد الفاضل الذى أخذ على عاتقه أن يكتب لهم ، وهذا هو كل ما سيتلقونه منى من جواب .

السيدة بيجار : ولكـــن في النهاية . . .

موليــير : ولكن في النهاية ستنتهين بى إلى الجنون . لنكف عن مواصلة الكلام في هذا الموضوع ، إننا نتسلى بالقاء الخطب بدلا من تجربة مسرحيتنا . أين كنا ؟ لم أعد أذكر .

السيدة دى‌برى : كنت في الموضــــع . . .

موليــير : ياالهى ! أسمع ضوضاء : انه الملك الذى قد وصل بكل تأكيد ، وأرى اننا لن نستطيع المسير إلى ابعد من ذلك ، وهذا جزاء من يضيع الوقت في التسلى أوه ، ليكن ! بالنسبة للباقي حاولوا أن تدبروا أمركم بقدر ما تستطيعون .

السيدة بيجار : أقسم لكم بأن الرعب قد استولى على ، ولـــن أستطيع أن العب دورى الا اذا جربته بتمامه.

موليـــير : كيف ، ألا تستطيعين أن تلعبي دورك ؟

السيدة بيجار : كـــلا .

السيدة دى بارك : ولا أنا أيضا .

السيدة دى برى : ولا أنا الاخرى .

السيدة موليير : ولا أنـــا .

السيدة هرفيه : ولا أنا .

السيدة دى كروازى : ولا أنا .

موليـــير : ماذا تحسبن إذن أن نعمل ؟ أكلكن تسخرن منى

المنظر السادس

بيجار ، موليير ، الخ .

بيجار : أيها السادة ، جئت ابلغكم أن الملك قد حضر ، وأنه ينتظر أن تبدءوا .

موليـــير : آه ! انك تراني ، يا سيدى ، في أشد انـــواع العذاب ، وأنا يائس تماما في هذه اللحظة التى اكلمك فيها ! فهؤلاء النساء قد استولى عليهن الرعب ، ويقلن إنه لا بد لهـــن مـــن تجربة

الحواريين قبل أن يبدأ. لذلك نطلب التيكو
بلحظة اخرى ، وان الملك لرحيم ، ويعـرف
أن المسألة كلها قامت على العجلة . هيه ! أتوسل
اليكن أن تحاولن الرجوع الى حالتكن الطبيعية ،
تذرعن بالشجاعة أرجوكن .

السيدة دى بارك : يجب أن تذهب وتعتذر عن عدم العرض .

مولييـر : كيف اعتـذر ؟

المنظر السابع

موليير ، السيدة بيجار ، الخ .

تابع

التابـع : أيها السادة ...

مولييـر : بعد قليل ، يا سيدى ، اعتقد أنى سأفقد عقلى

المنظر الثامن

موليير ، السيدة بيجار ، الخ .

تابع ثان

التابع الآخر : أيها السادة ... !

موليـــير : بعد لحظة ، يا سيدى . (لزملائه) ماذا ، اذن؟ أتريدون أن يكون لدى من الوقاحة ؟ . . . .

المنظر التاسع

موليير ، السيدة بيجار ، الخ .

تابع ثالث

التابع الثالث : هيا ، أيها السادة ، ابدءوا !

موليـــير : نعم ، يا سيدى ، ها نحن سنبدأ . هيه ! كم من أناس يعتبرونه يوم عيدهم ، ويأتـــون صائحين . . ابدءوا اذن ! بما لم يأمرهم به الملك

المنظر العاشر

موليير ، السيدة بيجار ، الخ .

تابع رابـع

التابع الرابع : هيا ، أيها السادة ، ابدءوا !

موليـــير : فورا ، يا سيدى . (لزملائه) ماذا ؟ أأتلــقى العار . . .

المنظر الحادى عشر

بيجار ، موليير ، الخ .

موليـــير : سيدى ، جئت لتقول لنا أن نبدأ ، ولكن . .

بيجار : كلا ، أيها السادة ، بل جئت لا قول لكم إن الملك قد بلغ بحالة الارتباك التى انتم فيهـــا ، وأنه ، بناء على ارادة رحيمة خاصة ، قد أجل عرض المسرحية الجديدة لمدة اخرى ، ويكتفى اليوم بأية مسرحية تستطيعون عرضها .

موليـــير : أه ! سيدى ، انلك ترد الى الحياة . لقد أسدى الينا الملك اعظم معروف يتصوره شخص في العالم ، حين منحنا من الوقت ما ينبغى لماتمناه ، وسنذهب جميعا لتقديم الشكر اليه على آيات الرحمة السابغة التى اظهرها نحونا .

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١ ـ مقدمة عامة بقلم المترجم	٧
٢ ـ مقدمة طبعة ١٦٨٢ لمؤلفات السيد دى موليير كاملة	٥٩

الجزء الأول

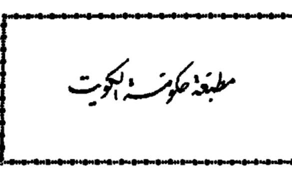
الموضوع	رقم الصفحة
٣ ـ مقدمة « مدرسة الزوجات » للمترجم	٧٥
٤ ـ رسالة اهداء مسرحية « مدرسة الزوجات »...	٨١
٥ ـ مقدمة « مدرسة الزوجات » للمؤلف	٨٣
٦ ـ شخصيات المسرحية	٨٥
٧ ـ الفصل الأول ـ المنظر الاول	٨٧

الجزء الثانى

الموضوع	رقم الصفحة
٨ ـ مقدمة « نقد مدرسة الزوجات » للمترجم	٢٠٣
٩ ـ رسالة اهداء مسرحية« نقد مدرسة الزوجات» ...	٢٠٦
١٠ ـ شخصيات المسرحية	٢٠٩
١١ ـ الفصل الاول ـ المنظر الاول	٢١١

الجزء الثالث

الموضوع	رقم الصفحة
١٢ ـ مقدمة « ارتجالية فرساى » للمترجم... ...	٢٧٢
١٣ ـ اسماء الممثلين وأدوارهم	٢٦٩
١٤ ـ الفصل الأول ـ المنظر الاول	٢٧٤


مطبعة حكومة الكويت

فى العـدد القادم

مسرحية : عسكر ولصوص — تاليف : دوجلاس ستيوارت

ترجمـة : عبد الله فاضل فارع — تقـديم : د . علي الحديدى

جرت عادتنا في سلسلة من **المسرح العالمي** أن تكشف لقرائها من آن لآخر عن جوانب وقطاعات من المسرح العالمي بقيت محجوبة عنهم لزمن طويل . وقد سبق أن قدمت السلسلة في عددها الثالث **البرج** للكاتب هال بورتر فكانت أول مسرحية استرالية تنقل الى العربية . والآن تتابع السلسلة خطتها فتقدم مسرحية استرالية اخرى . واذا كانت « **البرج** » فى بعض قسماتها تعكس طموحـا ارستقراطيا وتشبثا بالجاه والسلطنة واصطراع هذا الطمـوح بنزعات وعواطف خاصة . فان مسرحية **نيد كيللي** او **عسكر ولصوص** كما سميناها بالعربية تصور جانبا خشنا من جوانب الحياة فى قارة ترامت أطرافها وبعد فيها البون بين المدن العامرة الآهلة بسلطات الامن والنظام وبين الادغال والاحراش التى تغزى عزلتها على التمرد على السلطة المركزية ، الصراع هنا بين القانون وشق العصا على القانون ان حقا وان ظلما . وقد شاد مؤلف المسرحية الشعر ليضفي على موضوعه ابعادا ملحمية . وشاء م[illegible] أن يحتفظ بالجـو الملحمي فادى كثيرا من مشاهدها يشعر عربي رصين .

فى هذا العدد

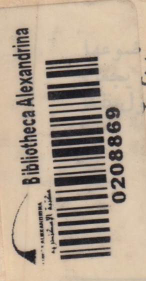
1 ـ مدرسة الزوجات
2 ـ نقد مدرسة الزوجات
3 ـ ارتجالية فرساى

تأليف : موليير • ترجمة : د • محمد القصاص

قل أن يوجد من رواد المسرح فى العالم أجمع من لم يعشق موليير • وهو بلا منازع أول واطول عشق بين الجمهور العربى والمسرح فى العصر الحديث • فأول تمثيلية على الاطلاق يشاهدها جمهور عربى عرضت فى لبنان حوالى ١٨٤٨ كانت ترجمة او اقتباسا من مسرحية لموليير • ومنذ ذلك الوقت صار موليير ركنا ثابتاً من اركان النشأة المسرحية فى العالم العربى أقبل عليه كتابه ومخرجوه وممثلوه ينهلون من منابعه بالتعريب والتمصير والاقتباس والاعداد والتقليد تلبية لحب الجماهير .

وبرغم العشرات والمئات من « المولييرات » العربية لم ينل موليير حقه الوافى من الترجمة الفنية الدقيقة الا فى فئة قليلة من مسرحياته وذلك فى بضع السنين الاخيرة • ونحن اذ ندرج اعماله الكامله فى مشروعنا لنشر الاعمال المختارة انما نوفى ديناً طال استحقاقه .

ويقدمه هذه المرة كاملا الى قراء العربية واحد من أعلام النهضة المسرحية المعاصرة ، ذلك هو الدكتور القصاص .



والمسرحيات التى يشملها هذا العدد تشكل ثلاثية بحكم مو
ويتجلى فيها موليير كأعظم كوميدى عرفه المسرح قادر على ان
من نقده لعيوب معاصريه نقدا خالدا لعيوب الانسانية وان يحو
خصومه له الى فن مسرحى على أرقى المستويات .

السعر ١٠٠ فلس أو ما يعادلها

مطبعة حكومة